تفسیر بیضاوی

تفسیر بیضاوی

۶۵۲
۲۱۱۰۳۶

تفسیر بیضاوی

سطعه
حدیث صحیح فی
بعض التصدق فی الفضل و الله وفا و علاه
ان الله یحب التصدق علیه و الله علیکم
احسن الحبیب صلی الله علیه
مطلقا ربنا وله صدقة تصدق الله بها علیکم
فی القصر هذه صدقة عرفا بما ینبغی
صدقة لکنه اختصر
من الله تعالی

در عهده ... و اشتری ... فی [illegible] ۱۳۱۳

[illegible]

لانهما كما في الصلاة له مرور حقق
مرار مرور لحقيقتها ان ذكر الاب
لا ينبغي ان لا ينفع الا بالدفع

يقيمون الصلاة أي يعدّلون
أركانها ويحفظونها من أن
يقع زيغ في أفعالها [illegible]
اعوجاج
تفسير بيضاوي در اول سوره بقره
تعالى يهدي و يضل

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب
العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا
انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته
وليتذكر اولو الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر
متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم
خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من
نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس اهل البيت ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفى نبراسه يعش
ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي
غناءه وجازه عن عنائه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا   فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها
شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها

وافض علينا من بركاتهم واسلكنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا

لهم

فيها تفكيرا

لا يليق

لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف
في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم
من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من
افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني
عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم عزمي على الشروع
فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل
فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها
تشتمل على اصول ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده
ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك
الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز
والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة
لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية
والشفاء لقوله عم هي شفاء لكل داء وسبع المثاني لانها سبع ايات
بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم ومنهم من
عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت

مفتتحه

الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تع
ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص بسم
من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهائهما
وابن المبارك والشافعى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام
وفقهائها ومالك والاوزاعى ولم ينص ابو حنيفة فيه بشئ فظن
انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن الشيبانى عنها فقال
ما بين الدفتين كلام الله تع ولنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة
انه ص قال فاتحة الكتاب سبع ايات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقول ام سلمة رض قرأ رسول الله صلعم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف فى انها آية برأسها او بما
بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها
فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء
متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذى يتلوه مقروء وكذلك
يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدء له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ
لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائى لزيادة الاضمار فيه وتقديم
المفعول ههنا اوقع كما فى قوله تع بسم الله مجريها ومرسها وقوله
اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق
للوجود فان اسمه تع مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها

من حيث

من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تع لقوله ع م
كل امر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد
ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما
كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر
كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين
لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدأ
بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن
ويشهد له تصريفه على اسماء واسامى وسمى وسميت ومجى سمى
كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار
له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على
ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذى
فى كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف
من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار
ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشئ

فهو المسمّى ولكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبّح اسم ربك المراد به اللفظ
لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الا
الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه
مقحم كما في قول الشاعر ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة الى الحول
كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده
الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما
قال باسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه
او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط
لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت
الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا
انه يختص بالمعبود بالحق والاله في اصله يقع لكل معبود ثم غلب
على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية
بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول
تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب
تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع
من امر نزل عليه وآلهه غيره اي اجاره اذ العايذ يفزع اليه وهو
يجيره حقيقة او بزعمه كما في عايذ الصنم فانه زعم انه يجيره او
اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه

في الشدائد

في الشدائد
او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو
همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل
اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل
اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى
محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به
ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه
لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله
لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعلم
مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث
هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن
ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد
ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا
ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر
في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وا

ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه

اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح
اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم
كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب
وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على
ما فيها واسماء الله تعالى انما توخذ باعتبار الغايات التي هي
افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ
من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع
وكبار وكبار وذلك انما يوخذ تارة باعتبار الكمية واخرى
باعتبار الكيفية وعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا والاخرة
ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم
الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى
الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا او لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف
به غيره لان معنا المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك
لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه
منعم يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنس او حب المال
عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة

على ايضا

على ايصالها والداعية الباعثة والتمكن من الانتفاع بها
والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه
لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلايل
النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون
كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الاي والاظهر
انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مونث
على فعلانة او فعلى الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص
التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان
يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو
مولي النعم كلها عاجلها واجلها وحقيرها فيتوجه بشراشره
الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشتغل بسره
بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد هو الثناء على الجميل
الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل
المطلق تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته
على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة
النعمة قولا وعملا واعتقادا قال الشاعر افادتكم النعماء
مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما
من وجه واخص من الاخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع

للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر
والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد
والكفران نقيض الشكر ورفعه على الابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما
عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من
التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له
اذ ما من خير الا وهو موليه بواسطة او بغير واسطة كما قال وما بكم من نعمة فمن
الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان
هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام او بالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما
يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهو
تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو
نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم
اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم
وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل
الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل

على نظائر

على نظائرها في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير
ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح
او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث
حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة
اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في
الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك
بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين
يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما
دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له
الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة
وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه
او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله من كونه ربا للعالمين موجدا لهم للعالمين وربا ج
منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة احد سواه

فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف
بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا من ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف
الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل
بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى
يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف
بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من
هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان
والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا
بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الآئه
والاستدلال بصنائعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض
في لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من
الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول
من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة
الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد ∴ ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ∴ كليلة ذي العائر الارمد ∴ وذلك من نبأ جاءني وخبرته
عن ابي الاسود ∴ وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت

وهو الايجاد
والانعام

لبيان التكلم

لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل
ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وهو شاذ
لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في
غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية
او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل
ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا
القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة وقدم المفعول للتعظيم
والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم
في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين
الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى
انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه
ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه
حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الا
ستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى

بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل

او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في
تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم
لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا
شرعت الجماعة

الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة

الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا و

معنى ويتفاوتان

معنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكمل وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهم السلام قبل التحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كان لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لكن تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي فالموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان

آكد

والنسخ

والكسبي

ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوأه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابدا الآ
بدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك الى م
يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على
معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او
مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين نعمة السلامة
من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به
معهود كالمحلى باللام في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم انى لامر على الرجل
مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل
انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس
ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم
ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وامتنع انا زيدا
مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله
عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى
فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة
والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل

في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم م

فاسق مغضوب

فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال
لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين
وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا
بعدا وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرئيل
امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه قول امير المؤمنين علي م
امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية
لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها
صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس
مالك والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله لقوله عم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين فمن وافق تأمينه تأمين م
صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه
ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في فيقرأ م
الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب

اربعين سنة

والم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها
الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو
ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي واما انشا انها لا اقول الم حرف ولام وميم حرف فالمراد به
غير المعنى والحاء وما روى ابن مسعود عليه السلام من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف ولام وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه
به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كان مسمياتها حروفا وحدانا
وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان
الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية من الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه
لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين
ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها
افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم
مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم
عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء
الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق
للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه
وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف
حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر

من المهموسة

يتهجى بها

من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء
والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية
المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس
على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها
ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف
والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها
ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد
طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى
وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجدف والعين في اعن
والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة
الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة
والهاء والعين والصاد والطاء والميم والفاء والياء والخاء والغين والقاف والظاء
والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها
الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة و
الفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي و
السين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة
يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة
الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد
العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة

والظاء

في مثله ولا يدغم

مركبة من حرفين فصاعدا الى خمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلث سور لانها توجد في
الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف
كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف وبه كمن وفي تسع سور لوقوعه
في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال
قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في
الاقسام الثلاثة في ثلثة عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها
في الاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل
وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة
مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت
بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون
معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان
يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت ويستهلها
له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى
بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه و
للدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار واستئنافه
الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام
لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك
في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم
اي القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال

بحساب الجمل

بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا
عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون
سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر
والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم
وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها
لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس
او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء
الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة
العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم
والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة
لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف
يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في
حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول
ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه
المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير
ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع

اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد
فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء
حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث
ذاتها ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور لان الوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع
واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن
ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان
عليا عليه السلام كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل
الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها
والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه
واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله بعلمه وقد روي عن
الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار
بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا
يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السورة كان لها حظ من الاعراب
اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير الفعل القسم على طريقة الله لافعلن
بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما
كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك
وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت

بالمؤلف

بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما
بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة
قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف
التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها
وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس
وحم آية وحمعسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس
فيه   اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر
بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل اليه صار متباعدا — الى المرسل
اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب
فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود
انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة
وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق
على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة
معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد
النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى
قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد الريب عنهم
بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه

وبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال
للشبهة ولا مدخل للريب فالاصل وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى
حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل
مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به
الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه

يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة
مطلقا وقيل الدلالة الموصلة الى المطلوب لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى
لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب
واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته
عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه
لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في
المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا
ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل
والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم
فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن
يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد

بالبراء

بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما
يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع
وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن
الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته
وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة والاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون
الم مبتدا على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص
من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه
البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفته وان يكون الم خبر مبتدا
محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في القراءة المشهورة مبني لتضمنه
معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء
لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله
لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثم او صفته
وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك
مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته
وما بعده خبره والجملة خبر الم وان يكون الم خبر مبتدا محذوف والاولى ان يقال انها اربع
جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة
دلت ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب

جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي
الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة
تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها
استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس
كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم
ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك
كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز

الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف صح

والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين دون
سائر الناس لان الانتفاع به يختص بهم فيكون باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى
متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه

اما موصول بالمتقين على انه
صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر التقوى بما يعم فعل الحسنات
وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبع لسائر
الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص
الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت
اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول

عنه

عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في
اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا
امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع
فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه واله كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن
اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة
والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه
العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا
ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه
من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء
هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام
لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند
اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه

الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله
تعـ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته
موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفا
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال
والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الآية وقيل المراد بالغيب
القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلوة**
اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا
قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة
قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ
عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد
فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة
لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح
من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع

والاقبال

والاقبال بقلبه الى الله تعـ لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق
المدح والمقيمين الصلوة في معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا
كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء
وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا
اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ
قال تعـ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع
به وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله ان يمكن من الحرام لانه منع من
الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعـ اسند الرزق ههنا
الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم
المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم
لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله
عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن
المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعـ وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه
فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق
صرف

فسبيل الجمع بين العرف والنقل ونشيره بالركوع ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه
به لاقترانها بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رءوس الآي
وإدخال التبعيضية عليه للكف عن الإسراف المنهي عنه ويحتمل أن يراد به الإنفاق
من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله
علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه وإليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من
أنوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول أخصين تحت أعم إذ المراد بأولئك
الذين آمنوا عن شرك وإنكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا
للمتقين وهو قول ابن عباس أو على المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك
والذين آمنوا من أهل الكتاب ويحتمل أن يراد بهم الأولون بأعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام ∴ وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث ∴ الصابح فالغانم فالآيب على معنى أنهم الجامعون
بين الإيمان بما يدركه العقل جملة والإتيان بما يصدقه من العبادات البدنية
والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين
السبيلين أو طائفة منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب ذكرهم مخصصين
عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا
لأمثالهم والإنزال نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل وهو إنما يلحق المعاني

بتوسط لحوق

بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الإلهية على الرسل بأن يتلقفه الملك
من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه إلى الرسول
والمراد بما أنزل إليك القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وإنما عبر عنه بلفظ الماضي
وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره
قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى فإن الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
منزلا كله وبما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وغيرهما من سائر الكتب السابقة
والإيمان بهما فرض عين وبالأول دون الثاني تفصيلا من حيث إنا متعبدون
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد يوجب الحرج
وتشويش وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون أي يوقنون إيقانا زال معه
ما كانوا عليه من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى وأن
النار لن تمسهم إلا أياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة أهو من
جنس نعيم الدنيا أو غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء
يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب وبأن اعتقادهم في
أمر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن إيقان واليقين إتقان العلم بنفي الشك
والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى
ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة وإلقاء
حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها إجراء لها مجرى

لضم

المنصوبة فى وجوه وقفت ونظيره قول الشاعر احب المؤقدين الى مؤسى وجعدة
اذا ما خبا الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين — اذا اضاءهما م
مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا
بذلك فاجيب بقوله تعالى الذين يؤمنون الى اخر الآيات والا فاستئناف — ان جعل م
لا محل لها من الاعراب وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب
سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف
بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من
بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له
ومعنى الاستعلاء فى قوله على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه
بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به فى قولهم امتطى الجهل والغوى
واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما
نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل ونكر هدى للتعظيم
فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي — ضرب من الهدى م
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان
الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فى الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم
المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل
واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف فى تميزهم (اى المؤمنين) بها عن غيرهم ووسط العاطف

اى الفلاح والهداية

المتقين ههنا لاختلاف مفهوم

الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة
للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء
والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما
يشاركه فى الفاء والعين مثل فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون
فى الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل
كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على
اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم
والترغيب فى اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية (اى المعتزلة) فى خلود الفساق من اهل القبلة فى
العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح
لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده
وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة
المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم
على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباينهما فى الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة
لشرح تمردهم وانهماكهم فى الضلالة وان من الحروف التي شابهت الفعل فى عدد الحروف

[illegible]

والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على
اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع
في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية
الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف
وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة
وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال
المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب عن سؤال
قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه وهو
سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وآله
به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق
الرسول صلى الله عليه وآله لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة
بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه
مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءا

الغيار علامة اهل الذمة

سواء

ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى قل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع
به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه
خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا
اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث
المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى
واذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد
وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه
دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع
الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى
وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو
لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف
بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها
والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه
من الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض

بامر قد علم الحكيم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم
بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان
بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء
عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي
من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم** غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ
آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت
لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان
يحدث الله تعالى في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل
قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها
بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لها في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين
المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة
ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع

بها ختما

ختما وتغشية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات
باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة
مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم
واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن
الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن
او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا
طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه
باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر
واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على
غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تماديهم في الغي
وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء
بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب منفكين الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما
اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

عمياً وبكماً وصماً السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم
وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام من قبلنا فيما يضاف الى الله تعالى من طبع
واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه
وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل
ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص
بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من
اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى
حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة
الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند
الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم
غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة
وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم

نكالا

نكالا اي عقابا لما يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما
ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه
قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة
ليس مما يتعارفه الناس وهي التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم
لا يعلم كنهه الا الله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر**
~~لما افتتح سبحانه~~ لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين
الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب
بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة
وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء
ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم
وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان
المنافقين في الدرك الاسفل وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين
والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة
حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد
يجمع بينهما وقوله ∴ ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو

وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس
لانهم يستانسون بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون
ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه
للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس
يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد
بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق
دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة
زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع
بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني
واختصاص الايمان (بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان) وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به
النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع

وجه الخداع

وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد
قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال
بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي
والمذهب مجازا واليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل
اهل الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة **وما هم**
بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله
وما آمنوا ليطابق قوله في شان الفعل دون الفاعل لكنه
عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد
النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء
ويحتمل ان يقيد بما قيد به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان
وخالفت قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية
في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا** الخدع
ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من
قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم
الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع
للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين
اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية
ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف

المضاف

المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته
كما قال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين
امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه
بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة
فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه
كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده
قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما
يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من
الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها
الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخدعون الا**
انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع
راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما
غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم
على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخادعون لان
المخادعة لا يتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح

لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به
وللماء لفرط حاجتها اليه وللراي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه
ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم
ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم **وما يشعرون** وما يحسون
ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في
الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس
ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض**
فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه
عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض
النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة
الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات
عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء
شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره
ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها
فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر
وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل
ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة
المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه
بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب**

تقرفا

أليم أي مؤلم يقال ألِم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب
للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جدّ جدّه
بما كانوا يكذبون قرأ عاصم والكسائي وحمزة والمعنى بسبب كذبهم
أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذّبون من كذّبه لأنهم كانوا
يكذّبون الرسول بقلوبهم وإذا خلوا إلى شياطينهم أو من كذّب الذي
هو للمبالغة والتكثير مثل بيّن الشيء وموّتت البهائم أو من كذّب الوحشي
إذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فإن المنافق متحيّر متردد والكذب
هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لأنه علّل به استحقاق
العذاب حيث رتّب عليه وما روي أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لمّا شابه الكذب في صورته سمّي به وإذا قيل لهم
لا تفسدوا في الأرض عطف على يكذبون أو يقول وما روي عن سلمان
أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا
فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده
وكلاهما يعمّان كل ضارّ ونافع وكان من فسادهم في الأرض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم وإفشاء الأسرار إليهم
فإن ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض من الناس والدواب والحرث
ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين فإن الإخلال بالشرائع والإعراض
عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخلّ بنظام العالم والقائل هو الله
تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل بإشمام
الضم الأول قالوا إنما نحن مصلحون جواب لإذا وردّ للناصح على سبيل

المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس إلا
الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لأن إنما يفيد قصر ما
دخله على ما بعده مثل إنما زيد منطلق وإنما ينطلق زيد وإنما قالوا ذلك
لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما
قال تعالى أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا ألا إنهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون ردّ لما ادّعوه أبلغ ردّ للاستئناف به وتصديره بحرفي
التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن همزة الاستفهام التي للإنكار
إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك
لا يكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدّرة بما يتلقى به القسم وأختها أما التي
هي من طلائع القسم وإنّ المقرّرة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لردّ ما في قولهم إنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والإرشاد فإن
كمال الإيمان بمجموع أمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله
لا تفسدوا والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن
الناس في حيّز النصب على المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في
ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية العا
ملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسمّاه مطلقا يستعمل لما يستجمع
المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال
زيد ليس بإنسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد
جمعهما الشاعر في قوله شعر إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد
والمراد به الرسول ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام

واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق
مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار
باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة
فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالٍ كصهيب وبلال او للتجلد
وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
والسفه خفة وسخافة راى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل
بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما
النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما
يشاهد من اقوالهم وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم وافعالهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد
نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر وقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا

يا ابن عم الرسول وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من
خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك
ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه
وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان
في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر
او كبار المنافقين وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على القائلون
انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا
معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية
والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى
احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم
يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا
توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين و
الانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزئون تاكيد
لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف وكان الشياطين قالوا لهم
لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان
فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت
بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال

هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف الله
يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة
السيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع
وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى
هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا
باجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة
على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى
الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله
تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم
يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان
يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم
يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايذانا بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد
حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم
يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى طغيانهم يعمهون من مد
الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا اصلحتهما
بالزيت والسماد لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه
قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا
لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم
واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا
وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم
فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف

الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك
انه لما اسند المد الى الشيطان اطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى
وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا ويطيعوا فما
زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى بنفسه كما فى قوله تعالى واختار
موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم
والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العصيان والغلو
فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم
والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه
وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله
بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين
من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين
تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان
من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من
المعانى او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه
فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى
جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا
اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم
ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم
ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش فى وكريه جاش له صدرى والتجارة

ينتبهوا

والسماد

اوله وعمه اطرافه وعمه

طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك يسمى
شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل
او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح
وقد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف
فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال
يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين
للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها
بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم
الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه
الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل
ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا
يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال
او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي
وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال
من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان
جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع
القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى
وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع
اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة
زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها

التنزيل

التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه
فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين
او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب
الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها و
اشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية
والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء
واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف
او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه
يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على
المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم بحال مستوقد
انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز
وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله
او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة
ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب
والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه
فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور
فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما
يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك

شبهت حالهم

الشبح الشخص المرئي

واكد بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور
وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى
فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن
معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول
الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان
تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة
الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين والمومنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة
العقاب السرمدي ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان
الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه
ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية
الاولى ويدخل تحت عمومه هولاء المنافقون لانهم اضاعوا ما نطقت به
السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم
ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما
امن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق
عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن
الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام
بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالها
بالمنافقة اياها واذهاب نورها **صم بكم عمي** لما سدوا مسامعهم
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت

او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة صح

لم

به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشي الذي لا اريده واسمع خلق الله
حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها
ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم
ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف
المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة هذا
اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين
فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها
قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز
الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة
السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء
يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان
يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون** لا يعودون الى الهدى
الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون
لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدوا منه كيف يرجعون
والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم
او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله
يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها
فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى

الافلاق بسبب فصيح شعر

المستعار الصعود للعلو في الرتبة وبني عليه بني العلو في المكان منه حسب الجهول بان له حاجة في

برهم نشتت اوداء الكاعم

وكأنما يقع منهم آنفا او كفونا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب
العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة
بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر
وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما
وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام
مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة
منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة
من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام
لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر
فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله
مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان
اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها
بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب
والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها
الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما
مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم في آذانهم** الضمير
لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه
باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء
بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل

فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من
العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه
من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت و
قرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين
في التصرف ~~وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته~~
~~الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت و~~ فيقال صقع الديك
وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت
زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى
التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل
لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم** استئناف ثان كانه جواب لمن يقول
ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة
الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع
وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت بخلاف عسى وخبرها
مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير
ان ليؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى
كما يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف

العيمة شهوة اللبن

الاسحم السحاب الاسود دان اى قريب من الارض

الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطّف على انه يختطف فنقلت فتحة
التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف
كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استئناف ثالث كأنه
قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما
متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نوّر لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما
لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل
ويشهد له قراءة أُظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء
العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة
كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت
وقام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول
لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر
الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما ولو من حروف الشرط و
ظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم
عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم
وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تأثير الاسباب في
مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع
بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء

يخطّف م

فينتهزون

الوميض اللمع

لبكيته م

لانه على هذه القراءة متعدى بنفسه ... الاعمال ... فالباء زائدة

يختص

يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ
يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى
مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة
وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا
مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب
والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص
بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد
الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء
ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر
لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه
مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدور وان مقدور العبد مقدور الله لانه شيء وكل شيء مقدور لله
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه
كيفية منتزعة من مجموع تضامّت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا
واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار
في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة
والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته
السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق

مثنوية م

من الاستثناء

لله خ

المكابدة الشدة والتعب

ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها
بامثالها كقوله وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وقول امرئ القيس شعر كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه فى الاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من
حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما
حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء
حالهم وابقائهم فى الخسار الدايم والعذاب السرمد باطفاء نارهم
والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط
للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان
نافعا فى نفسه لكنه لما وجد فى هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم
حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة
بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا
يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق
خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة
ثم اذا خفى وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه
الايمان والقرآن وساير ما اوتى الانسان من المعارف التى هى
سبب الحيوة الابدية بالصيب الذى به حيوة الارض وما ارتكبت بها
من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة
بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات

الباهرة

الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد
فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى
قوله تعالى وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم
وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين يعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم
اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح
ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها
الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف
امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له
واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة
ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة
البعيد اما لعظمته كقول الداعى يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من
حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث
عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل واى جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين
حرفى التعريف فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود
بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت
بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه
وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد

ارتبكت اى اختلطت

وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا
لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد
الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه
صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم
الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى
خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه
الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس
فمكي ويا ايها الناس فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار
ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة
فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر
لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين
ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي
التربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل
التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم
من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء
على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات
او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة

الذين آمنوا

اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول
الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي
لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون
حال عن الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا
في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله
تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري
من كل شيء سوى الله الى الله تعالى وان العابد ينبغي ان لا يغتر
بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف
عليه بمعنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح
امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي
تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم
يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال
بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجب عليه شكرا
لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي
جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع
او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه

بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله لقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله
تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين
كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة
وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين
الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش
المبسوطة وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها
واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة
عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم
وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء
ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل
وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته
بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء
قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو
قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد
فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة
ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او

الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة
من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله تعالى واخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء
ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج
بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع
موضع الكثرة لانه اراد به جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه
ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض
كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة
باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له
ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق
باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له
او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير
موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت
به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت
عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات
العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي
ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته

خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوى بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان يدفع عنهم باس الله ويمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراى فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله لقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهى عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى بيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة

اوله
اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور

الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة** لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراط عصبيتهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلث آيات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى

بذه يبذه بذا اى غلبه صح
عازه اى غالبه صح
المعازة المغالبة والمعارة ... من المعرة وهى الاثم

منها القارى او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب
القراة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة
من الشى والحكمة فى تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال
وتجاوب النظم وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه
اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا
والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز
بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها
من الفوايد **من مثله** صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة
مماثلة للقران فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى
بسورة كائنة ممن هو على حاله فى كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم
العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق
لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير آيات التحدى ولان الكلام فيه لا فى
المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة
الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى
التحدى من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز
فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم
امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله **وادعوا شهداءكم
من دون الله** فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه

سمى لانه يحضر النوادى ويبرم بحضوره الامور اذ التركيب للحضور اما
بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه
حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من
الشى ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من
ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف
ومنه الشى الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد
وتخطى امر الى امر قال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من
دون المومنين اى لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين
قال امية يا نفس مالك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله
فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من
حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه
لا يقدر ان ياتى بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم
بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز
عن البيان واقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه
اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم
بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهى
دونه ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القران
غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اى من دون اوليائه
يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله
وان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله

والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما
علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو
انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه
ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد
لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي ~~يعم الاتيان المكيف بالفعل~~
يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية
تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز و
صدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل
سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط
والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل
لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه و
الخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند
الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر
وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا

عاليا والاسم بالضم وقيل انه مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين
بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر
فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع
حجر كالجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها
وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه
او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة
التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا
النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص
بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا
عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر
النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في
سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار
ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها
وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه
الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة
بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر

ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا

سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم
على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج
والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء
لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل
عصر والثالث انه صلى الله عليه وسلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال
من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما
جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه
حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا
لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك
فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف
هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر
على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما
لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء
للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه
يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول
حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه
فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم

بعذاب اليم على التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع و
الصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى
الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام
بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها
على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان
مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع
الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق
والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك
قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن الايمان اذ الاصل
ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض
وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن
وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل
لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كأن
عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم
البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها
من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة
عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليين وفي
كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان
والعمل الصالح

والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا
وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل
بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت
ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها هنا استغناء بها
تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت
الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير
اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء
الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار
من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد
بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها
مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا
محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع
اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على
الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
الحال واصل الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدا
من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه
منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية
ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت

وهو كافر

اخدود شق المستطيل

والاشتباه في اللون والطعم

منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار
هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع
المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى
هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك
ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمرة الجنة
من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة
الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان
جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه
الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى
فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم
مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل من
اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة
رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت
العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول
عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا
والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت

حادث

بالصحفة

التي هي مناط الاسم م

التشابه بينهما حاصل في الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو
كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا آخر وهو ان مستلذات
اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا
الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية
وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في
الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من
احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق وان التطهير
يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرى مطهرات وهما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا
العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع
على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر
الهاء بمعنى متطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو
في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم
هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع
وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها
انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات و
تسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام
حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها
خالدون** دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام

ومطهرة م

يبيم م

لم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان
على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد
بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم
وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع
للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان
مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام
هاهنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان
مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية
الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت
انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا
متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما تشاهد في بعض المعادن
هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص
العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء و
كان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف
الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **ان الله لا
يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت الايات السابقة
متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق

الجهة

له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها
التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل
انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في
صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل
الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت
في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير كما يمثل العظيم
بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل
الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء
باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من
فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله
حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام
في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس
قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب و
العنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي
منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره
شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك
ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء
انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي
هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري

بالحجر

القوى الحيوانية فيردها عن افعالها فيقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي
اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء
في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله
حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما
خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره
قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء
من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
ويحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام
الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على
اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء
الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما
وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب
كان او مزيدة كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو
الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد
منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو
زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او
مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل
ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف
في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب

للتاكيد

بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به
المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي
بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف
على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب
والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت
فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضرب
به مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب
فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها
خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في
القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو
كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فاما الذين آمنوا فيعلمون انه
الحق من ربهم** اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى
الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه
مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة
فكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي
تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ

للكافرين

للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت
الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق
محكم النسج **واما الذين كفروا فيقولون** كان من حقه واما الذين
كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يحتمل وجهين ان
يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب
المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع
على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة
التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين
غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته
فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره
امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر
على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله
والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون
وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه
ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
او الحال لقوله هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به**

كثيرا جواب ماذا اى اضلال كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان
العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار
لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة
الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور ويحتمل
ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل
والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير
فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا
الفاسقين اى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت
واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا
والفاسق فى الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلث الاولى التغابى وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود
وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه
خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو فى درجة
التغابى او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذى
يسمى الايمان ولقوله تعالى وان طايفتان من المومنين والمعتزلة
لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى

علہ ک

المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص
الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال
وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل
به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به
وقرى يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون
عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب
واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من حيث ان
العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر
فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد
كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات
الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر
الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى و
يتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل
وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده
وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ
بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله ثلثة عهد

أخذه على جميع ذريته بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلم والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وأن يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الأرض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه أولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتباس ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف

تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من أتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم أمواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فأحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم إليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع التسليين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم

النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من النعم
المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي
الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من
النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها
ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور
منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم و
الايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه
ترجعون فينبئكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان
حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما
يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انه
كمالها وغايتها والموت بازايها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال
تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال أَوَمَن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة
وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء
قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم

ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم
بوسط او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف
لما يلايمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل
لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه
وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض
لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل
واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل
كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى
الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء
طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك
قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول
اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء و
المراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله
لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم
كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله
تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض
المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف
بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل
تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن

عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت
بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم
ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية
نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل
شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق
ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان
فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور
الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان
بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع
اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن
معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم
ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين
الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار
الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها
وما بالذات [illegible]ى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه يابى
عالم بها و[illegible]ها قادر على جمعها واحياها واشار الى وجه اثباتهما
بانه تعالى [illegible] على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا
فكان اقدر على اعادتهم واحياهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا

محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له
بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد
لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته
بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه
اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها
بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد
ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف
مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا
له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا
خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة
وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل والتاء لتانيث
الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله
وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم
بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين
الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين
بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس
الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة

اذا النكرة يقول مرة
مختلفة
النصرى

مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق
في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة
المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى
به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات
امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع و
المقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة
الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم
في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم جندا من الملائكة فدمرهم وفرقهم
في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان
يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة
والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم
لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه
وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
[illegible] يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان
منهم اعلى رتبة [illegible] بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات
ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم
لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى

بحيث يكاد زيتها

اعلى رتبة كلمه

محمدا في المعراج

حكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك
او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من
قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر
بنيه كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من
يخلف او خلقا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم
شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل
خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار
عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى
من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح
او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد
الثقلين على الآخر والسفك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك
يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى
والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا

والسبك

محذوفا اى يسفك الدما فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** حال
مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج
والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقا بذلك والمقصود منه
الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في
الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث
قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك
الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا
ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده
فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها
سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين
اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة
ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه
الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله
عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض
اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد له عن
الاقذار وبحمدك في موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس
لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك
عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير

النفس من الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة **وعلم آدم الاسماء كلها**
اما بخلق علم ضرورى بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة
اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال
علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة بالفتح والادمة
بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روى عنه عليه السلام انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى
بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس
من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ و
الصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا
او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال
على معنى فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد فى الاية
اما الاول او الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث
الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة
وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها و
اسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها **ثم عرضهم
على الملائكة** الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا
يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات

الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء
وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني
باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء
اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه
صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق
كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله
من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن
اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه
واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب
بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا
منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على
الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار
عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك
اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل
تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ

التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم
يجز يا الرجل وقيل مبتدأ وخبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم
انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء
فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا
تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم
ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة
والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى
لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس
من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات
والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم
وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح
اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن
يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك
يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم
فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر
قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة
والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى

الوضع؟

وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم
منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا
بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان سوى
خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة
بل القصة بأسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم
والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر
وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع
وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة
هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكأنه
تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها
ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء
ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب
والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته
وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان
أليس اول من صلى لقبلتكم ۝ واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله
تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم
تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في

تحصيل ما نيط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه
بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار
والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباح امر الله اياه
بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع
للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك
الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين
بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من
الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان
ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا
نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه
او الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة
عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل
به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع
الى القبيلين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من
الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس

معصومون والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف
الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله
ابن عباس فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط من محله كما اشار اليه
بقوله عز وجل الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف صح
ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عايشة رضي الله
عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج
من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضي والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه
من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض
نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى يطفى
نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع
بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوايد الاية استقباح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره
وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى
على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا
وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله **ويا آدم اسكن** وقلنا يا
انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث
وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها
على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام
للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم يخلق بعد قال انه بستان كان بارض

فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل الاهباط
على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا
منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** اي مكان
من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من
الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفايتة للحصر **ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي
هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه
وتنبيها على ان القرب من الشي يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشي يعمي
ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله
سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او
بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة
او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا يعين من غير قاطع
كما لم يتعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين
وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما
عن الشجرة او حملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة
حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال
وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته

ايايهما بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك
او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل
له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما
كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحواء
وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت فلم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع
استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت
او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول و
العمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها
استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال
يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ الروح من
روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت
واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو
التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة
فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي
الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه

قام عند الباب فناداهما وقيل

خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم
او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء

والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في
الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو
التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة
واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة
الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان
قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول
دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني
اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك
والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها
كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن
بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني
منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى
كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب
الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل
بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى
بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك و
اتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ

مع العفو

الهدى ولم يعتبر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل
واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل
فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا
عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم
الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله
وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان
متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال
للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل
طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من
اى لانها تبين ايا من اى او من اوى اليه واصلها اية او اوية
كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ائية او اوية كرمكة فاعلت او آئية
كقائلة فحذفت الهمزة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان
نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه
من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث
انه تعالى اسند اليه العصيان والغى فقال وعصى آدم ربه فغوى و
الرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس
اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم

يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه ا انه لم يكن نبيا
حينئذ والمدعى مطالب بالبيان ب ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما
وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغى والعصيان
اليه فسياتى الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة
تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى
ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه ج انه فعل ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم
نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله
وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق
السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه
لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان
لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قال ابليس فلعل مقاله
اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى
الى ان نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه د انه عليه السلام اقدم عليه
بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او للاشارة الى
عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة
الى النوع كما روى انه عليه السلام اخذ ذهبا وحريرا بيده وقال هذان حرامان على
ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة
ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية
وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب
النار دائم والكافر مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم

فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد
وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها
حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك
له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن
لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز تدل على نبوة
المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو
اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء
خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم
ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد
وما انزل عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من
البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال
ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما
واسرايل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي بالتفكر
فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران
والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا
والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عم وقرئ
اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو
مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان

ما انعم ... العجل

واوفوا

والمعاهد

عهد

والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على
حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان
بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن
الله تعالى الفوز باللقاء الدايم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي
في اتباع محمد عم اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره
اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او
اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم
من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق
بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو
اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير
المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه
قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز و
الاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد
وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وامنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة

للوفا بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية
من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعا الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى
عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب
تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة
الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام
المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعى تنبيها على ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله
ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به
ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به
والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول
فريق او فوج او تاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة
فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا
فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه
فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركى مكة
واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا
تخفيفا غير قياسى او أوّل من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا
بآياتى ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا
فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة
بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا

عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا
ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياى فاتقون بالايمان
واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادى لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة
التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة
التى هى مبدأ السلوك والثانية لما خص باهل العلم امرهم بالتقوى
الذى هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس
الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل
بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان
وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء
على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس
الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون بمعنى
كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق
وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما
كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما فان
اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من
الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل

وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ اى فى جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ** تقرير مع توبيخ وتعجب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملات الاجانب **وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة

تعقلون

غيره

وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وَإِنَّهَا** اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لَكَبِيرَةٌ** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا
لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانی فضلتکم عطف على نعمتي على
العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى
وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو
ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس
عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبا
على المصدر وقرئ لا تُجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان
يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم
يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى
المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اوما ل اصابوا ولا يقبل منها ام مال
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من
الاولى وكأنه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصر والثاني اما ان
يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان
عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة
من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه
والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية وسمي به لانها سويت بالمفدى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون

من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق
النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص
من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية
على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات
والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية
نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من
آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل
آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء و
الملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم
ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن
ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عم ريان وكان بينهما
اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح
بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا
لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما
فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء
محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصل الاختبا

لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما
ويجوز ان تشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم
بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة
بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله
تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير
المختبرين وإذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض
حتى حصلت فيه مسالك يسلوككم فيه او بسبب نجاتكم كقولك تدوس
بنا الجماجم والتريب وقرئ فرقنا على بنا التكثير لان المسالك كانت اثنى
عشر بعدد الاسباط فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي
ان الحسن يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر
اتباعه وأنتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
على طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او
ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل
فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى
تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم
ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل
اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم
واغرقهم اجمعين فاعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به
على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم

وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس
وحسن الاتباع عن امة محمد صلوات الله عليه مع ان ما تواتر من معجزاته
امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته
على ما مر تقريره وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد
هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور
وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه
تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم
العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وأنتم ظالمون
باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس
من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه وإذ
آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا
وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة
بين المحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق
بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لقوله تعالى
يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر
الكتاب والتفكر في الآيات وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم
ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على التوبة
والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم

برى المريض من مرضه والمدين من دينه او لانشاء لقولهم برأ الله
تعالى آدم من الطين او فتوبوا **فاقتلوا انفسكم** اتماما لتوبتكم بالبخع
او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها
لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتل العبدة روى ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضى
لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون
من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت
التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية
للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة
الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف ان
جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب
عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات
كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارى وترتيب الامر عليه
اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم
الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف
منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه**
هو التواب الرحيم الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين و
يبالغ فى الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** لاجل قولك
او لن نقر لك **حتى نرى الله جهرة** عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من
الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر

كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم
موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى
اعطاك التورية وكلمك او انك نبى **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته
فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية
منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة وللافراد من الانبياء فى بعض
الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود
سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون** ما
اصابكم بنفسه او اثره **ثم بعثناكم** بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد
يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون** نعمة
البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام**
سخر الله لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا فى التيه **وانزلنا عليكم**
المن والسلوى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من
الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار
يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا من طيبات ما رزقناكم**
على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار اصله فظلموا بان كفروا هذه النعم
وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره
واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعنى بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد
التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** واسعا ونصبه على المصدر او الحال
من الواو **وادخلوا الباب** اى باب القرية او القبة التى كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى عليه السلام **سجدا** متطامنين

سجدين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة**
اى مسئلتنا او امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها
نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء
على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية
ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة
على الياء ثم فعل بهما ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال
توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله
وانه يفعل لا محالة **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم** بدلوا بما
امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا **فانزلنا
على الذين ظلموا** كرره مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا
ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون** عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل ما
يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روى انه مات به فى ساعة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى
لقومه** لما عطشوا فى التيه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** اللام فيه للعهد
على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه

ثلث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع
الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه
عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل
بحمله او للجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يؤمر ان يضرب حجرا بعينه
لكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته
وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وقيل كان
ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان
تتقدان فى الظلمة **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** متعلق بمحذوف
تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر فى قوله فتاب
عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان **قد علم كل اناس** كل
سبط **مشربهم** عينهم التى يشربون منها **كلوا واشربوا** على تقدير القول
من رزق الله يريد ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به **ولا تعثوا فى الارض
مفسدين** لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد
قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما
يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات
فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من

الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهوا من الجوانب وتصييره ماء
بقوة التبريد ونحو ذلك وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نَصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ
يريد به ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا يختلف
ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا يتغير الوانها
ولذلك اجمعوا او ضربٌ واحد لانهما طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة
فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ سله لنا بدعايك اياه
يُخْرِجْ لَنَا تظهره لنا وتوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب
الاجابة مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ من الاسناد المجازى واقامة القابل مقام
الفاعل ومن للتبعيض مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا
تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التى توكل والفوم الحنطة وقيل
الخبز ومنه فوّموا لنا وقيل الثوم وقرئ قُثَّائها بالضم وهو لغة فيه
قَالَ اى الله او موسى اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ اَدْنٰى اى اخس اقرب منزلة
وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادناء
من الدناءة اِهْبِطُوا مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا
نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه
او على تاويل البلد ويويده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله
مصرايم فعرب فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ احيطت

الذى هو ادنى يريد به المن والسلوى فانه خير
فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى

بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين
على الحايط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلاء
ساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وَبَاءُوا
بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان
اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذٰلِكَ اشارة الى ما سبق
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ
اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ بسبب كفرهم بالمعجزات التى من
جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر وبالكتب المنزلة كالانجيل والقران واية
الرجم والتى فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم الانبياء
فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا
منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى و
حب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
اى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل
النبيين فان صغار الذنوب سبب يودى الى ارتكاب كبارها كما ان
صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم
المعاصى واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والبا
بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل
ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول روبة فيها خطوط من
سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق والذى حسن ذلك ان تثنية المضمرات

والمبهمات وجمعها وتثنيتها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع
إن الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة و
الذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود
إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل وإما
معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبرهم ولد يعقوب عليه السلام والنصارى
جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك
لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة
فسموا باسمها أو باسم من أسسها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل
أصل دينهم دين نوح وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو
إن كان عربياً فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف
الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان إلى دينهم أو من
الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من كان منهم
في دينه قبل أن نسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه
وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً
فلهم أجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة
خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل
الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم

يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل
بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق روي أن موسى
عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبرئيل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى
قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب
أو اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا
متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا
واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد أخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة
أو بمحمد صلوات الله عليه يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه لكنتم من
الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من
الرسل ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لا أفاد إثباتاً
وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ
خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند
الكوفيين فاعل فعل محذوف والله أعلم ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود
إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى
فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك
أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة وإذا كان يوم
السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه وإذا

مشى تعرف فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان
يدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد
وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة
لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد
بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه
النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم
اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او
لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها
او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم
وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء
في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ
موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة
ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
ليحيا فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوا
بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ

حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بضم الزاي وقلب الهمزة
واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل
وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها
وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل
به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء
من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة
فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار
وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف
اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء
تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان
عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر
غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان
التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي
الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأ
تهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم فافعلوا ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك

لتوكيده وقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون
وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة
الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه
نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم
والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد
وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على
التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه والتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد
ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد
واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك
عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب
وسقي الحروث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة
لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان

هن صفر اولادها كالزبيب

ومتشبه

اي حيث هو وتسقى من السقي مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها
من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص لا شية فيها لا لون فيها
مخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه
لون آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ
الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها
فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ
ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه
النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله
وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ
قتلتم نفسا خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها
اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى
صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله
مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل
باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما
اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض
كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل

ما يجب **كذلك يحيي الله الموتى** يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب
مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية **ويريكم آياته** دلائله على كمال
قدرته **لعلكم تعقلون** لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء
نفس قدر على احياء النفوس كلها او يعملون على احياء الانفس كلها او يعملون
على قضيته ولعله تع انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من
التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضع انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في
الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي
القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رائعة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من
مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف
الحال ويرتفع ما بين الوهم والعقل من التدارؤ والنزاع **ثم قست قلوبكم**
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب
مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة **من بعد ذلك**
يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين
القلب **فهي كالحجارة** في قسوتها **او اشد قسوة**
منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة

الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح
عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة
على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او
للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو
اقسى منها **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله** تعليل
للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع
منه الماء ومنها ما يتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا
لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح
بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة
من المثقلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم **وما الله
بغافل عما تعملون** وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده
والباقون بالتاء **افتطمعون** الخطاب لرسول الله والمؤمنين **ان يؤمنوا
لكم** ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود **وقد كان فريق
منهم** طائفة من اسلافهم **يسمعون كلام الله** يعني التورية **ثم يحرفونه**
كنعت محمد عليه السلام واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون
وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره ان استطعتم ان
تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه**
اي فهموه بعقولهم ولم يبق فيه ريبة **وهم يعلمون** انهم مفترون مبطلون

ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك
بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا
لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو
المبشر به في التورية وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا
منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في
التورية من نعت محمد عليه السلام او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب
في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
والاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه
محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل
عند ذكر ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة
وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها أفلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين
وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين
متصل بقوله أفتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم
في ايمانهم أولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كلا منهما
او اياهم والمحرفين أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن
جملتهما اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار
غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما
فيها إلا أماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل
ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب

او بما عند ربكم

يعرفون فيه

او التورية

وعلى ما يتمنى ويقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا
من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن
قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة
تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وإن هم
إلا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على
كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد
والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه
بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به
نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به
ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به
عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه
من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم يعني المحرف وويل
لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال
الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال
المسه فلا اجده إلا أياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا
نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا
سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل أتخذتم
عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الدال

الذال والباقون بادغام فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى
ان اتخذتم عند الله عهدا على ان الخلف فى خبره محال أم تقولون على الله
ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير
والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا
طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب
النفى من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها تقال فيما
يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء و
الكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقه قوله فبشرهم
بعذاب اليم وأحاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح
فى شان الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من
اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب
ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير
بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا
لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة
الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ
خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فأولئك أصحاب النار
ملازموها فى الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا هم فيها
خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على

خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت
عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى
عذابه وعطف العمل على الايمان تدل على خروجه من مسماه وإذ أخذنا
ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله اخبار فى معنى النهى كقوله
تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه
من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا
وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا
فلما حذف ان رفع لقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويدل عليه قراءة
ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه
جواب قسم دل عليه المعنى فكانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن
عامر وابو عمرو وعاصم بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء
لانهم غيبة وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او
واحسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين و
يتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون
كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا للمبالغة وقرأ
حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم فى ملتهم
ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم
فى عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه

الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة
واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن
انما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه
يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم
من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل
في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه
الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون
توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها الموجودون
تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم
انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون
كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات
وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم
غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ
تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل
تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم

والكسائي

والكسائي وحمزة بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى
تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا
حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه
في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا
له حتى تفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس
بالبر وتنسون وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير
للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر
واخراجهم تاكيد وبيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون
ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا
خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية
على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم
القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل
عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ
عاصم من رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع
ويعقوب وابو بكر على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية
في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا

ولقد

موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره
الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به
اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو
بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله
مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق
اراد به جبريل او روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه
الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان
يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا
احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت
به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا او تعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا
والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا
كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد
فيه فانكم حولى قتل محمد عليه السلام لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها

ما جاء به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله
غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية للعلم لا تسمع علما الا وعته
ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم
رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله
خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيها
بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون
فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القرآن
مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون على
المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية
او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل سال ذلك من نفسه فلما جاءهم
ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم
فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا
لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم
فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما

انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة
يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان
ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من
يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر
والحسد على من هو افضل الخلق وقيل بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى
عليه السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا
بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا
اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في قالوا ووراء في
الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو
خلفه فيراد بما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق
الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن
رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء
الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم
وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع انبئاء الله مهموزا في كل القرآن
ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله
تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي
الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى
وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل

والى المفعول به

علينا

علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام
لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به
في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله يأكلون في بطونهم بكفرهم بسبب
كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية
والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة
في الآيات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم
الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح ورخص
لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان
المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما تقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به
فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها
على الحال من الدار من دون الناس سايرهم او المسلمين واللام للعهد
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي
سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الا
حبة محمدا عليه السلام وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة

لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام
والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة
لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر
فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان تقول ليت كذا وان كان بالقلب
لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى **والله عليم بالظالمين**
تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقل الجارى مجرى علم
ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد منها ومن الذين
اشركوا افردهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة
والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص
المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف
صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق
الاستيناف **لو يعمر الف سنة** حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان
اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن **وما هو
بمزحزحه من العذاب ان يعمر** الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه
اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر

بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل
سنهة كجبهة لقولهم سانهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة
التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل**
نزل فى عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه
جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه
وقيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا عليه السلام على اسرارنا وانه صاحب كل خسف
وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله
قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا
كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما
فهو عدو والله ثم رجع فوجد جبريل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائى وجبريل
بكسر الرا وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية
ابى بكر وجبرئيل كعندليل قراءة الباقين واربع فى الشواذ جبرائل وجبرائيل
وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله **فانه نزله** البارز
الاول لجبريل والثانى للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه
لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره **على قلبك** فانه القابل الاول
للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية
كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به **باذن الله** بامره وتيسيره حال من فاعل
نزل **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** احوال من مفعوله

والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادا منهم جبرئيل فقد خلع
ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك
بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته
مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل
فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له كما قال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم
لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكين بالذكر لفضلهما
كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر
واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى
الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت
فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو
ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل
وميكائل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا
الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من
المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك
اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره
اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا
الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم

نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او لان
من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله
مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر
بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات
وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه
راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم
لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا
واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية
وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله
بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها
ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها
خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا
الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي
تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان
اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون
الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة فيدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك
سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر

سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر
وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله
وقرا ابن عامر والكسائي وحمزة ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون
الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر
ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان
وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب
شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما
يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريك
صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من
الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على
ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا
بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا
لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء
بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى
على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة ملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود
في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين
ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما

اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى
ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم
وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل
على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه
والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء
وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل
بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار
جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
لانهم يقصدون به العمل ولان العلم يجر الى العمل غالبا اذ مجرد
العلم غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى
ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب
الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة
من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على
ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل
الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق
وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم
ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله

وابتاع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة
من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة
اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من
الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة
وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته
وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا
حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن
او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي
المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو
انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا
من النظرة اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين
اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا
وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب
المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به
بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم
يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة
المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه

ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول
يودوا ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير
بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم من خير من
ربكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله
يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه
شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان
النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما
عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون
او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر
بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره
كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك
نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وقرئ
ننسها اي ننس احدا اياها وننسأها اي نؤخرها على البناء للمفعول وننسكها
باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في
النفع والثواب ومثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ
وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما
يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت
والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة

لذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع
في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ
الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك
والكل ضعيف اذ يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره
والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ
والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازمه
واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم
الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله تعالى وما لكم وانما
افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما
يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم
تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام
تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة
والمراد ان يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل
الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين
لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة

وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في
الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل
ويؤديكم الضلال الى البعد من المقصد وتبديل الكفر بالايمان و
قرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم
لو يردونكم ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ
من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين
حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك
من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او
بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين
لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا
العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره
الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء
بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر
غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر و
المخالفة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله
اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء
فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من
اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة

بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع
الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك أمانيهم اشارة الى الاماني المذكورة
وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان
لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال
تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني
كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة
إن كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
بلى اثبات لما نفوه من دخول الجنة غيرهم من أسلم وجهه
لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله
فله أجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن
الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى
يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك
وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه
بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد

نخ

النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد كل فريق ابطال دين
الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب
القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله
عام لكل من خرب مسجدا وسعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان موشح
نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين
لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
أن يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او
التعطيل أولئك اي المانعون ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على
تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان
يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه
فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة
فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي رضي الله عنه
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة
بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله
المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص
به مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت
لكم الارض مسجدا فأينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطره

القبلة فثم وجه الله اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لا يختص
بمسجد او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع
باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
واعمالهم فى الاماكن وعن ابن عمر رضى الله عنهما انها نزلت فى صلوة
المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين
له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هى توطية لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون فى حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال
اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة
بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم
وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه
والحاجة وسرعة الفنا الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان
والنبات اختيارا او طبعا بل له ما فى السموات والارض رد لما
قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض
الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون
لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس
مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان الولد يجانس والده وانما جاء
بما الذى لغير ذوى العقول وقال قانتون على تغليب اولى العلم
تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما
ويجوز ان يراد كل ما جعلوه له ولدا مطيعون مقرون بالعبودية

فيكون لزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من
ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه
لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما بديع
السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع فى قوله امن ريحانة
الداعى السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو
حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشيا كلها فاعل على الاطلاق منزه
عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة
وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر
والتكوين الذى يكون بتغير وفى زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا
على البدل من الضمير فى له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا
اى اراد شيئا واصل القضا اتمام الشئ قولا كقوله وقضى ربك او فعلا
كقوله فقضيهن واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اى
[في الهامش: احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة]
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة
خامسة وهو ان ايجاد الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى
يستغنى عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب
فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة يطلقون الاب على الله
تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر
والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا

حسم مادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون
من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملايكة
او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات استهانة به وعناد
كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا
ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد
الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون
الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا
ذلك لخفاء في الآية او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان
اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد
ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال
عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر احد
ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال
والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا
لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا
مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله
هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما يدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله تعالى

لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي
يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو
جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول
مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها
والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم
مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في
الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار
بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم
وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات
قد يطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر
الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون

سنين

كما مر بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبرين وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابرهيمُ ربَّه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ هشام ابراهام بالالف جميع ما في هذه السورة وفي النساء ثلثة احرف وهي الاخيرة وفي الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابرهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلثة احرف وفي العنكبوت الحرف الاخير وفي حم عسق حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول فذلك ثلث وثلثون حرفا وقرأ ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين فأتمهن فأداهن وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابرهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذأ بمعنى الخلق

وذريتي

وذِريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي رضي الله عنه في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى

وعهدنا

وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ
الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا
الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان
يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده
او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع وساجد
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا
ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق
اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من
اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق
رحمة دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين
او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا حينئذ والكفر وان لم يكن
سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا
غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى
عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من
النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما
على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ
فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة
واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما
يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو

العذاب

العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى
الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها
البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و
يحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه
وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء
الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل
كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه و
قيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان
ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان
او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا
وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح
بهم الاتباع وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة
الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى
فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل
اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين
كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا

من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا
متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع
في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي
عن ابي عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف
لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي
عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا
ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب
الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب به دعوتهما
كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم آياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويعلمهم
الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام
ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا
يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب عن ملته
احد الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال
المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع
فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب
عيش او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع
على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه

أجب الظهر ليس له سنام

في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان
صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت
لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة
الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام
ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها
ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة و
اصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي
يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة
والجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم
اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني
على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه
ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم
كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل
اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخور
وزبولون ودوني ونفتوني وكودا ولوتيش وبنيامين ويوسف
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال

واوشير

الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم و
نظيره فى الامر مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى
ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية
عليه او متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحى
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدى
اى شئ تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شئ ما لم يعرف فاذا عرف خص
العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام
طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق
على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب
والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال فى العباس
هذا بقية آبائى وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما
تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف
بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشئ من تكرير المضاف
لتعذر المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون

لتعذر العطف على الضمير المجرور

حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك
امة قد خلت يعنى ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة فى الاصل المقصود
وسميت بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل
اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما
تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتينى الناس
باعمالهم وتأتونى بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير
الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين
قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب
الامر قل بل ملة ابرهيم اى بل نكون ملة ابرهيم اى اهل ملته او بل
نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى
نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف
اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا
آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل
الينا القرآن وقدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره
وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف
وهى وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين
تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم
حفدة ابرهيم واسحق وما اوتى موسى وعيسى التورية والانجيل

افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير
لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم
وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد
منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي
عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله
فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام
وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق تهدي
الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة
للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم
او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد
له قراءة من قرا بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم
في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في
شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق
غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى
انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين
بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله
اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية
الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته
او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور

الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر موكد
لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن
من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم
اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله
في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا
او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء
الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من
العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت
نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم
يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان
يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة
النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق
على الله المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما
ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له
مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى
اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء

قل أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الأمرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقا ومن أظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية و
النصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة
أو منا لو كتمنا الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة
في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك أمة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في
التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم
وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل
المراد بالأمة في الأول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد
والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود
والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب
ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس
والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصار عرفا
للمكان المتوجه نحوه في الصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص
به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام
امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو
ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة

اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين
الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي
خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي
تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها
بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين
التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل
فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما
ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم
الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم
وعلى الذين قبلكم او بعدكم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى
بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
عليه السلام فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة
وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي
بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة
فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة

تألفا لليهود او للحجزة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا
انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى
الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا
قبلتك بيت المقدس **الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**
الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا
لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم
الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل
كيف يكون علمه نهاية الجهل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه
او لنميز الثابت عنه ويؤيده قراءة ليُعلم على البناء للمفعول والعلم اما
بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني
ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب **وان كانت لكبيرة**
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي
النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة
بالرفع فيكون كان زائدة **الا على الذين هدى الله** الى حكمة الاحكام
الثابتين على الايمان والاتباع **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي انه
عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل

الثابت من المرتد ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز ح

التحويل

التحويل من اخواننا فنزلت **ان الله بالناس لرؤوف رحيم** فلا يضيع
اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤوف وهو ابلغ محافظة على
الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤوف بالمد والباقون بالقصر
قد نرى تقلب وجهك في السماء ربما نرى تردد وجهك وجهة
السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه
ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على
كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل **فلنولينك قبلة** فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها **ترضاها**
تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته **فول**
وجهك اصرف وجهك **شطر المسجد الحرام** نحوه وقيل الشطر
في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اذا انفصل
عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم فيه
القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة
لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان
استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد
الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة
ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال
والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم**
شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا

حكم

قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام

بعموم الحكم وتأكيداً لامر القبلة وتحضيضاً للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته
تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلاً لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين
والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد
للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد
جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجة وانما خالفوك
مكابرة وعناداً وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو
ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريراً له وطمعاً
في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة
الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة و
النصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك
لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلاً بعد ما بان
لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذاً لمن الظالمين اكد تهديده و
بالغ فيه من سبعة اوجه تعظيماً للحق المعلوم وتحريضاً على اقتفائه
وتحذيراً عن متابعة الهوى واستفظاعاً لصدور الذنب عن الانبياء الذين
آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن
او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه

كمعرفتهم

كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه انه سأل
عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني
بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
خانت وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن
عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ
خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت
عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ
محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب
على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين
الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد
به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار
بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة
قبلة والتنوين بدل الاضافة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب
من الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه
او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة
الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبراً لضعف العامل فاستبقوا
الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً
اي في موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم

الله الى المحشر للجزا او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل
صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة
والاحيا والجمع ومن حيث خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول
وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من
ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرا ابو عمرو بالياء ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل
ثلث علل تعظيم الرسول بابتغا مرضاته وجري العادة الالهية على ان
يولي كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد
من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ مظان الفتنة و
الشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا
يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة
الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة
وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة
ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثنا من الناس اى
لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع
الى قبلة اباه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم
داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثنا

للمبالغة

للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرى الا الذين ظلموا
على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم
لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم
او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي
عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله
عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول
منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم اياتنا
ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار القصد واخره
في دعوة ابرهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته
سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر
عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات و
معراج المومنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر
واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اى هم
اموات بل احياء اى هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو
تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات

وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية
نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات و
السنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد
البهجة والكرامة **ولنبلونكم** ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم
هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء **بشيء من الخوف والجوع**
اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم
ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم
في الآخرة وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم **ونقص
من الاموال والانفس والثمرات** عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من
الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت
الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال
عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا
في الجنة وسموه بيت الحمد **وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون** الخطاب للرسول او لمن
تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله

علم

علم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر
نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على
نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه **اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة** الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية
والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف
والاحسان وعن النبي عليه السلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **واولئك هم المهتدون**
للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله **ان الصفا والمروة**
هما علما جبلين بمكة **من شعائر الله** من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي
العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين **فلا جناح
عليه ان يطوف بهما** كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام
تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع
في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه
قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف
لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه
وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه
ركن لقوله عليه السلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي **فمن تطوع خيرا**
اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة

او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية
الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب
على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا
من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى وما
يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس
لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا
عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك
وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة
ليمحوا به سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم
بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة
وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن
لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة و
الناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون
عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو
او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة
اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او

لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد
خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد
او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في
الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها
فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة
او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله
الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت
صادقا فائت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات
والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل
والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد
به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب
الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب
لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة
وقرئ بضمتين على الاصل والجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند
المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء
والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو
فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة
عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات
في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث

النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة
والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل
ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح
تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا ﻫ
لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم
وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان
دلالة هذه الآية على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها
مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص
من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات
او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة
مدارا وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها — دائرة مارة بالقطبين
وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه
حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه
اله غيره يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان
لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح
الفاعل من غير مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم
التمانع والتطارد كما اشار بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث
والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام
وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا — من الذين
او لعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم يعظمونهم

ويطيعونهم

ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه
وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة
القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة
طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا
لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة
موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى — مقطع
عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى
الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون
العذاب اذا عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي — حيث استعمل اذ في المستقبل
لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي
يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا
العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة
لله كلها لا تنفع ولا تضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى
على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن
عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله
شديد العذاب على الاستئناف او على اضمار القول اذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من
الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت

ربط حصر الى رائين العذاب
كل من التابع والمتبوع

بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والواو للحال والاول اظهر
والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر
وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت
لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من
رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما
هم يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن
الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا
مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن
للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة
المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع
وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين
قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها و
بفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء
والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير

الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم
والسوء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء
يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول
ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع
من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى
مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب
الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن
الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا
الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل
الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية
لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب
لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون
الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر
والاجتهاد واتباع الغير في الدين ما لم يعلم بدليل انه محق كالانبيا
والمجتهدين في الاحكام وهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما

في الدين
واتباع الغير اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء
والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة

انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل
الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا
يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك
كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء
ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في
دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا
يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع
الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم
لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في
الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا
ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم
اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر
بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عليه الصلوة والسلام يقول
الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث
الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى
الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا
الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص
اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له
وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم و
الاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما
جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رئي سمي ذلك اهلالا ثم قيل
لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر
آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الجوعة وقيل غير باغ
على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو
ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر
الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما
استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم
هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في
بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيامة الا النار
ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه
كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة
عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من
الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة

لكتمان الحق للمطامع والاعراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم
في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتدا
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها
الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل
الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق
فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب
اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم
ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا
عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه
اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول و
كلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن
الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل
فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة
حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم
وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنين
وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم
الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر
بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا
البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد
بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابو عمرو ولكن بالتخفيف ورفع

البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سيل
اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى
الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام اثنتان صدقة وصلة
والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دايم السكون
كالمسكير للدايم السكر وابن السبيل الذين الجاهم الحاجة الى السوال
وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام
الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن
قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان
مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول
نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على
من آمن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر
والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك
الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون
عن الكفر وساير الرذايل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة
في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس

وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله
واتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى
آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمباشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار
بقوله من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما
طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء
الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان
يتباوؤا وهو لا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد وبالانثى كما لا يدل على عكسه الذكر
فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد
بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى رضى الله عنهما قتل الحر
بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى على رضى الله عنه ان رجلا
قتل عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروى
عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر
رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة
من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه
بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية فلا ينسخ ما فى القرآن واحتجت
الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره
ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل

جاء

جاء فى القرآن فمن عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا
لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص
وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ
بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى
باللام وعليه ما فى الاية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه
يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو
ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله عنه فى
المسألة قولان ذلك اى الحكم المذكور فى العفو والدية تخفيف
من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية
تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك
قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم فى الآخرة وقيل فى الدنيا
بان يقتل لا محالة ولكم فى القصاص حيوة كلام فى غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر
الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما
وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين

ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فيثور الفتنة بينهم
فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى
الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية
فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الاخرة ولكم فى القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له
او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم
القتل حيوة او فى القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب ذوى العقول
الكاملة ناداهم للتامل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ
النفوس لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان
له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
اى حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا الوصية مالا وقيل مالا
كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة
درهم فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن
عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسالته كم مالك فقال
ثلثة الاف فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله ان ترك
خيرا وان هذا لشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصى او الايصاء ولذلك
ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان
هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ باية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها

ولقوله عليه السلام ان الله اعطى
كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان اية المواريث
م

تدل على تقديم الوصية مما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
بقوله تعالى يوصيكم او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين
مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه
فما اثم الايصاء المغير والتبديل الا على مبدله لانه الذى خاف وخالف
الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص
اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطأ فى
الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم
على نهج الشرع فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى
حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة
لمطابقته ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعنى الانبياء والامم
من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس
والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك
عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصى
فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير
يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل

علمنا والحديث من الاحاد
وتلقته الامة بالقبول لا يلحق بالمتواتر
ولعله احترز عنه عن الوصية م

وجوبه ونسخ به وهو عاشورا وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب
على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب على السعة وقيل معناه
صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب على النصارى
فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين
كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم **فمن كان منكم**
مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه **او على سفر** او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر **فعدة من ايام اخر** اي
فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف
الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرى بالنصب اي
فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة **وعلى الذين يطيقونه** وعلى المطيقين للصيام ان
افطروا **فدية طعام مسكين** نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول
الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع
وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين
وقرا هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام وقرى يطوقونه
اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه
على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه
وعلى هذه القراءة يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده
وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به

القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم **فمن تطوع خيرا** فهو
فالتطوع او الخير **خير له وان تصوموا خير لكم** من الفدية وتطوع
الخير او منهما ومن التاخير للقضاء **ان كنتم تعلمون** ما في الصوم من
الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه
وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من
ذلك **شهر رمضان** مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره
ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم
الصيام صيام شهر رمضان وقرى بالنصب على اضمار صوموا او على
انه مفعول ان تصوموا او بدل من ايام معدودات ورمضان
مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع
من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما
للغراب للتعريف والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان
فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه
ايام رمض الحر حينما نقلوا اسم الشهور عن اللغة القديمة **الذي انزل**
فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة واحدة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل
في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه
وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول
بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا

ما يتضمن معنى الشرط هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان
من القرآن اى انزل وهو هداية للناس وآيات واضحات مما يهدى
الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه
فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة فيكون ومن
كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر و
المريض ممن شاهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ
قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم
ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة و
لتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل
عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها
على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا
الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم
او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى يريد بكم
لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله تعالى بالحمد
والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير
عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم

برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادى عنى فانى قريب
اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم و
اطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى
امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة
الرشد وهو اصابة الحق وقرى بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى
لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف
التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع
لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين
احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى
ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشاء او يرقدوا وان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى
النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث
كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان
يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما
ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم
لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة

يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما
الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما
يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب و
الاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم
مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم
التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق
البشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره
لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل
الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق
وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد
رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم
فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما
التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير

الغسل

الغسل اليه وصحة الصوم للمصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل
بيان آخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد
بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته
فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون
في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده
لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام
التي ذكرت فلا تقربوها نهي ان تقرب الحد الحاجز بين الحق و
الباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان
لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله
محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته
للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه
الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال
وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور
واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون
فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي
ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله

ان يحلف امرؤ القيس فهم به فنزل رسول الله

صلى الله عليه وسلم **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا**
فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهو دليل على ان
حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم ويؤيده م
تختصمون الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على
نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقطع له قطعة
من نار **يسألونك عن الأهلة** سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا **قل هي مواقيت للناس والحج** انهم سألوا عن
الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان
الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم
ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فانه
مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق
بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان
المفروض لامر **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن
البر من اتقى** قرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بكسرها
كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما
يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك
برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها
مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد او انهم

لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم
ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق
بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به
التنبيه على تعكيسهم فى السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت
ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا مسائلكم ولكن
البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله **وأتوا البيوت من أبوابها**
اذ ليس فى العدول بر وباشروا الامور من وجوهها **واتقوا الله**
فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله **لعلكم تفلحون** لكى
تظفروا بالهدى والبر **وقاتلوا في سبيل الله** جاهدوا لاعلاء
كلمة الله واعزاز دينه **الذين يقاتلونكم** قيل كان ذلك قبل
ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل
معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم
ويؤيد م فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روى ان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان
يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف
المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم والشهر الحرام و
كرهوا ذلك فنزلت **ولا تعتدوا** بابتداء القتال او بقتال المعاهد
او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله **إن الله
لا يحب المعتدين** لا يريد بهم الخير **واقتلوهم حيث ثقفتموهم**
حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق فى ادراك

الثقف ما كان اوعملا وهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيهما قال فاما
تثقفونى فاقتلونى فلن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اى مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من
القتل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن
اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم
فى الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك
حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم
ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا
بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل
بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله
غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا تعتدوا على
المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى
جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الامر عليكم والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكرهوا
ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا

به والحرمات قصاص احتجاج عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان
يحافظ عليها يجرى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا
الله فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا فى سبيل الله ولا
تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوى
العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى
انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء
الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء
والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة والهلاك واحد
فهى مصدر كالتضرة والتسرة اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل
معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف
المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان
الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله تامين مستجمعى المناسك (ائتوا بهما)
لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا
الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج
فقال لا وان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا قال لعمر انى وجدت

الحج والعمرة مكتوبين علی اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا
يقال انه [redacted] مكتوبين بمنزلة اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب
بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال علی الوجدان وذلك يدل علی انه
سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض
دنيوی او ان يكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره اذا
حبسه ومنعه عن المضی مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند
مالك والشافعی لقوله فاذا امنتم ولنزوله فی الحديبية ولقول ابن
عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند
ابی حنيفة لما روی عنه انه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج
من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به كقوله عليه السلام لضباعة
بنت الزبير حجی واشترطی وقولی اللهم محلی حيث حبستنی فما استيسر
من الهدی فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما
استيسر والمعنی ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدی تيسر عليه
من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية
بها وهی من الحل وعند ابی حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم
امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم
حتی يبلغ الهدی محله ای لا تحلقوا حتی تعلموا ان الهدی المبعوث الی
الحرم بلغ محله ای مكانه الذی يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ
الهدی محله علی ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره علی الهدی دليل
علی عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان

فتم وجد انتمام

فقد قد

والهدی جمع هدية كجدی وجدية وقری من الهدی جمع هدية كمطی فی
مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الی الحلق او به اذی من
رأسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او
صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روی انه
عليه السلام قال لكعب ابن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق علی ستة مساكين او انسك شاة
والفرق ثلثة اصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم فی حال سعة وامن
فمن تمتع بالعمرة الی الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الی الله بالعمرة
قبل الانتفاع بتقربه بالحج فی اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من
عمرته باستباحة محظورات الاحرام الی ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدی فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم
بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن
لم يجد ای الهدی فصيام ثلثة ايام فی الحج فی ايام الاشتغال به بعد
الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة فی اشهره بين الاحرامين والاحب
ان يصوم سابع ذی الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام
التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الی اهليكم وهو احد
قولی الشافعی رضی الله عنه تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنی او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة
صفة مؤكدة تفيد المبالغة فی محافظة العدد او مبينة كمال العشرة

او تفرغتم وفرغتم عن اعماله هو قول الثانی ومذهب ابی حنيفة وقری سبعة بالنصب عطفا علی محل ثلثة ايام

والهدی

فانه اول عدد كامل اذ به ينتهى الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال
بدليتها من الهدى ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابى
حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل
ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام
وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم وفى حكمه
او من مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكى عند
مالك واتقوا الله فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به
عن العصيان الحج اشهر اى وقته كقولك البرد شهران معلومات
معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع ذى الحجة بليلة النحر
عندنا والعشر عند ابى حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن
فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة
وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى
شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع
على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام
فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدى عند ابى حنيفة وهو دليل على ما ذهب
اليه الشافعى رضى الله عنه وان من احرم حجا لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع
بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة
فى الحج فى ايامه نفى الثلثة على قصد النهى للمبالغة والدلالة على انها

حقيقة بان لا تكون وما كانت مستقبحة فى انفسها ففى الحج اقبح كلبس
الحرير فى الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى
الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين
بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار
بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا
من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل
مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا
الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولى الالباب
فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون
المقصود بها هو الله فيتبرءوا عن كل شئ سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى
عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فى ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم عطاء و
ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات
دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم
انفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة وعرفات جمع
سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان

تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذها
الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث
اما ان يكون بالتا المذكورة وهي ليست تا تانيث وانما هي مع الالف
التي قبلها علامة جمع المونث او بتا مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها
لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتا
بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه السلام فلما ابصره
عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون
فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل
جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا يكون الا
بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به وفيه
نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والدعا وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف
عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفه ووادي محسر ويويد
الاول ما روى جابر انه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته
حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند
المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما
هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم
من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة

وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى
الا كقوله وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ثم افيضوا من حيث افاض
الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون
بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم
وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا
تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم من
قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله
غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم
اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما يفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة
وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل
فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور
معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله
ذكرا كذكركم اباكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على
ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف
على ابائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من ابائكم
او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم
فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا
ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه

خير

ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة
من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا العلم
والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المودية الى النار امثلة للمراد بها اولئك
اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه
وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به
نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع
الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة
او يوشك ان تقوم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في
ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي
فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر
عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه ومن
تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل
والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل
ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام

لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر
بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا
انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق
ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب
حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا
متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في
معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او
بيعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة
لما تعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه
موافق لكلامه وهو ألد الخصام شديد العداوة والجدال
للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب
وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن
شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى
ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف
اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا
غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة

وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته كذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس
المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد
الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشرى نفسه يبيعها اى
يبذلها فى الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء
مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم
ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه
واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا
الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين
آمنوا ادخلوا فى السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره
الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من
الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت
به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه
جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولا
تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء
والكتب او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب
للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه

لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول فى السلم من
بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق
فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق
هل ينظرون استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده الا ان
ياتيهم الله اى ياتيهم امره او بأسه كقوله او ياتى امر ربك فجاءهم
بأسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله
فان الله عزيز حكيم فى ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهو ما اظلك وقرئ
ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا
جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب
الخير والملائكة فانهم الواسطة فى اتيان امره او الآتون على الحقيقة
ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضى الامر اتم امر اهلاكهم
وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
وقرئ وقضاء الامر على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء
للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير
وبناء المفعول سل بنى اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل
احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة
معجزة ظاهرة او آية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدى
الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل

ومن يبدل نعمة الله اى آية الله فانها سبب الهدى الذى هو اجل النعم
يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل
الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها
وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها وكذلك تقدير
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد
عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا
عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو
فاعل ويدل عليه قراءة زين على البنا للفاعل وكل من الشيطان و
القوى الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المومنين
كبلال وعمار وصهيب اى يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ
السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم فى عليين
وهم فى اسفل السافلين او لانهم فى كرامة وهم فى مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا
بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء فى الدارين بغير حساب بغير
تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد
الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس او نوح

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اى اختلفوا فبعث وانما
حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد
الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور
فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب
يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان
اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم
بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس
اى الله او النبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه فى الحق الذى
اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه فى الحق او
الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى
عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه
باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به
النبى والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ
الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها
ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم
حالهم التى هى مثل فى الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له

وثلث

[illegible]

على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من
الشدايد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة
واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع على انها
حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له
لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل
لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى
ان الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا
ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا
مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف
لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال
عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما
تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه
وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال
وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به
للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه
كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته

وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو
مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو
شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي
بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر
عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك (بعينها خ)
عن الشهر الحرام روي انه عليه السلم بعث عبد الله بن جحش ابن
عمه على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا
لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة
رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد عليه
الصلوة والسلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف وفيه الناس (ويبذعر)
الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل
توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن
عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو
اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك
تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال
عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير
اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف

والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه
نكره في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اى الاسلام
اوما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات وكفر به اى بالله
والمسجد الحرام على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى
دواد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه
على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الها فى به فان
العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه
اهل المسجد وهم النبى عليه السلام والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته
السرية خطأ وبنا على الظن وهو خبر عن الاشيا الاربعة المعدودة من
كباير قريش وافعل من يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والفتنة اكبر من القتل اى ما يرتكبونه من الاخراج والشرك
افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل
الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته
على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى
رضى الله عنه والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهى
لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوايد

والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون كساير الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا فى السرية
لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا
وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما
مستقلان فى تحقيق الرجا اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت
لهم الرجا اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما
والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة الاحتياط
رحيم باجزال الثواب والاجر يسئلونك عن الخمر والميسر
روى انه نزلت بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر
من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل
فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن
بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما
تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجا الانصار فضربه انصارى
بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
اللهم بين لنا بيانا شافيا فى الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره
اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر
العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر

سكر ه

عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رضي الله عنه نقيع الزبيب والتمر
اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر والميسر
ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب
يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير
حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب
المحظور وقرئ كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال
والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع
الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك
قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون
قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل
عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال
للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين
اغضب وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب
اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر
مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم
قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل
ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب

المروة

العفو م

صفة المصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة
والمخاطب يجمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلايل
والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع
منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي
مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان
يخالط وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من
المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره
فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم
اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم
ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة
ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات
مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصتها بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث
مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق
وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا نخلو فقال ان الاسلام حال بيننا

لان اهل الكتاب م

فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة اي لامرأة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو أعجبتكم بحسنها
او شمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب
في مواصلة المؤمنين أولئك اشارة الى المذكورين من المشركين
والمشركات يدعون إلى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم إلى الجنة والمغفرة
اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة بإذنه
بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في
العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض
روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من
الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله
سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات
الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد
فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن

ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين
افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا
يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء
اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم
وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا
قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطّهّرن اي
يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فإذا تطهرن فأتوهن فانه
يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت
لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث أمركم الله
اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم إن الله يحب التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله أنى شئتم من اي جهة شئتم روي ان
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها
احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لأنفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي
واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة
والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من

صدقة ولمثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس وان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم

بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر او بالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار

بانه مما يجب ان يتسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل
الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده
فضل تاكيد **بِأَنفُسِهِنَّ** تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص **ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**
نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء
وهو يطلق للحيض كقوله عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر
الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى مورثة مالا وفى الحى رفعة لما ضاع
فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو
المراد به فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية
لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع
لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان و
عدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها
ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان
شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان يطلق لها
النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم
يتسعون فى ذلك ويستعملون كل واحد من البناءين مكان الاخر
ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ** من الولد
والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان
قولها مقبول فى ذلك **إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ليس المراد منه
تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن

مورثة

لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل **وَبُعُولَتُهُنَّ** اى ازواج المطلقات
أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق
رجعيا للاية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع
فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث
الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة
نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن
وافعل هاهنا بمعنى اسم الفاعل **فِي ذَٰلِكَ** اى فى زمان التربص
إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا بالرجعة لا اضرار المرءة وليس المراد منه
شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ اى ولهن حقوق على الرجال مثل
حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا فى
الجنس **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم
فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او
شرف وفضيلة لانهم قوامون عليهن وحراس لهن يشاركونهن فى غرض
الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق **وَاللَّهُ عَزِيزٌ** يقدر
على الانتقام ممن خالف الاحكام **حَكِيمٌ** يشرعها لحكم ومصالح **الطَّلَاقُ**
مَرَّتَانِ اى التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة
فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد
تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين و
الثلث بدعة **فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ** بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد
المعنى الاول **أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها

حتى يتبين وعلى المعنى الاخير حكم ابتداء وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية
التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات
روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء
اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما
بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا
ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن
الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ
حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام
ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل
في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك
حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها
بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي
بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا
يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد
ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس

فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة
اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيده عليها فقال عليه السلام
اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن
العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه
افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق
ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا و
الاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض وقوله فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد
من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره و
النكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر
على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة
لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني
وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فقالت نعم فقال لا
فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة
ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم
الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة
رضي الله عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع
دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها

المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالنكاح
ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده
الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد
لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان
الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اى الاحكام
المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال كل حى
مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى
الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الاية ليصح
ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك
بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى ينقضى
عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به ولا
تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك
المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه
بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون فى
العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ

وارادبه الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول
كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمت الله عليكم التى من
جملتها الهداية وبعثة محمد عليه الصلوة والسلام بالشكر والقيام
بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة
افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شئ عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن وعن الشافعى رضى الله عنه دل
سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته
ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المراة
لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض
باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا
وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم
وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اى الخطاب
والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع
ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزويج

من غير كفو عضلهن ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل
القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي
دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به
من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم
اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام
والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم
والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرضع الصبي الا من امه او لم يوجد
له ظئر او عجز الوالد عن الاستئجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن
وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال
لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه
اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان
الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان
اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص
عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن و
اختلف في استئجار الام فجوزه الشافعي رضي الله عنه ومنعه ابو
حنيفة رضي الله عنه ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب
ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب

المؤن والتقييد بالمعروف دليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا
يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه
لا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضارُّ
بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر
على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز
ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط
في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة
الولد اليهما تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه
حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به
او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وما بينهما تعليل معترض
والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله
الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رضي الله عنه
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب
ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه وقيل عصبته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما
وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض
منهما وتشاور اي فطاما صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما

قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي
من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما
اعتبر تراضيهما مراعاة لحال الطفل وحذارا ان يقدم احدهما
على ما يضر به لغرض وغيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها
اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان
يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن
كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم
الله تعالى واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه
المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى و
الاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال
والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح اليا
اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور
والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى
انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما

ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر
ان كان ذكرا انثى واعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما
تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي رضي الله عنه والحرة والامة
كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة
والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان
يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض
للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره
الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا
فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح
عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر
اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة
والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك
جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في
انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه

ولاربعة اشهر ان كان انثى

نوع تلويح ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه
ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر
بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا
تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر يعني ما
يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة
او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو
ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير
موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها
ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر
جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن
العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا
عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله
حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم
على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم
ولم يفعله خشية منه حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم
لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا
فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة
الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة
نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية

الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت
ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها
فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب على الجملة في الاخيرين ومتعوهن
عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده
قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له
سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويدل عليه قوله عليه السلام
لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل
مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي
تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا
بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا
او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى
انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم
محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة
اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن دليل
على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه
قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة

في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب

يحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون
علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني
ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو
[الذي] بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه
بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس
مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية
وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة
وهو قول قديم للشافعي رضي الله عنه وان تعفوا اقرب للتقوى
يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه
الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة
واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس
استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن
مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا
على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها
في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال
بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها
خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا
عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة
اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها

[...] النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله
[...] السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي
النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها
مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل
العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه
عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون
صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل و
قرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين
ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع
راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب
الصلوة حال المسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال
خوفكم فاذكروا الله صلوة الامن او اشكروه على الامن كما
علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي
الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم و
يذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون
منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم
الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازوا

واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة

ليوصوا م

حكم

متاعا الى الحول بمكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية
الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية
او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها **متاعا الى
الحول** نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة
من قراه لانه بمعنى التمتيع **غير اخراج** بدل منه او مصدر موكد
كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات
والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم
نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما
بالتلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة **فان
خرجن** عن منزل الازواج **فلا جناح عليكم** ايها الائمة **فيما
فعلن في انفسهن من معروف** كالتطيب وترك الحداد مما لم
ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ
النفقة وبين الخروج وتركها **والله عزيز** ينتقم ممن خالفه منهم
حكيم يراعي مصالحهم **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين**
اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن
وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص
المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول
غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع

نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او
لتكرير القصة **كذلك** اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق
والعدة **يبين الله لكم آياته** وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل
والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا **لعلكم تعقلون** لكي
تفهموها وتستعملون العقل فيها **ألم تر** تعجيب وتقرير لمن
سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من
لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب **الى الذين خرجوا من
ديارهم** يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من
قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا
حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم **وهم الوف** اي الوف
كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف
او الف كقاعد وقعود والواو للحال **حذر الموت** مفعول له
فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى
انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم
به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا **ثم
احياهم** قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم
وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه نادهم ان قوموا
باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد وتحريضهم للشهادة و
حثهم على التوكل والاستسلام للقضاء **ان الله لذو فضل على الناس**

حتى احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن
اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان
الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال
اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله
سميع لما تقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء
الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء
وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل
الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة
والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على
المعنى وان من ذا الذى يقرض الله فى معنى ايقرض الله احد وقرا
ابن كثير يضعّفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا
كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع
ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى
لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم
المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض حسبما
اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلا يبدل حالكم وقرا
نافع والكسائى والبزى وابو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى
قوله تعالى فى الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم

والتشديد

يوسع على بعضه

الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا
واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد
وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او
اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه
للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب
وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط
والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل
التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا نافع
عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد
عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج من الاوطان والافراد عن
الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا
ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر
بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم فى ترك
الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روى ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس

بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا
من اين له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه
فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا
راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة
والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك
فى اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق
قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء
والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد
عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن
به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا
فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا
بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا
بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه
سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم
التابوت التابوت فعلوت من التوب لانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرا بالهاء
فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما فى الهمس والزيادة

يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع فى ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير فى فيه
للاتيان اى فى اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه
ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل
قدمه فيسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون وقيل هو صورة كانت
فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها
وجناحان فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد
عليهما صلى الله وسلم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم
والاخلاص واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا
موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما و
الآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بنى اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله
الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت الملائكة وهم ينظرون
اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم
ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم
مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء الخطاب
من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال
العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار

كاللازم روى انه قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا
مفازة وسالوا ان يجرى الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر
معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني
فليس من اشياعى او ليس بمتحد معى ومن لم يطعمه فانه مني اى من لم
يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحى ان كان نبيا كما قيل او باخبار
النبى الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما
قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر
فى قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل
دون الكثير وقرا ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه
الا قليلا منهم اى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب الا قليلا منهم
وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه
والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الف
روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر
غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد
الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا
اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال الخلص منهم الذين
تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب

يلقون

يلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير
المنخزلين عنه اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا
به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه
وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة
من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها
فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت
وجنوده اى ظهروا ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعا
وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك
الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو
المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين
لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى فى
عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان
صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد مر فى الطريق بثلثة احجار وقالت له انك
بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت
بنته وآتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على
ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب
والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و
لكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس وبعض
المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا فى الارض او

ببعض

تم الجزء الثاني

لفسدت الارض بشومهم قرا نافع هنا وفى الحج دفاع الله تلك آيات الله
اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك الطالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك
لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة
الى الجماعة المذكور قصصها فى السورة او المعلوم للرسول او جماعة
الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة
ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى
ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون
بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله
على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام
فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات
المتزايدة المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف
المستغنى عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التى هى اعلى المراتب
وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم
من الرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل
معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم

عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفى الطور ومحمدا ١٢

من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم
فى الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه
عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله
يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية
دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض
ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله
تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتى يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتى يوم لا تقدرون على تدارك
ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم
او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى
تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم وانما رفعت ثلاثتها
مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم
الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا
المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه
تغليظا وتهديدا لقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك
الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة

خلاف فانه هل تميز للآخر شار في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي
يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه من
القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول
من قام بالامر اذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم
النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس
بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا
وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة
نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان
مأووف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف
فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته
واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا
في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات
والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده
شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما
بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما
يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في
السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة
والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا

مستدبر

وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام
الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته
وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد
وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك
وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع
لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي
الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو
الملبد ولا يؤده حفظهما ولا يثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج
اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى
المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية
فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور
لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك
والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي
لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق

الآية

ولا يشغله شأن سبحانك عما يدركه وهو عظيم لا يحيط به فهم ولذلك
قال عليه السلام اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله
تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة
وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ من
مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه
في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا لكن
قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة
ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر
غي يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه
الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء
وقيل اخبار في معنى النهي اى لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله
تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روى ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد
من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب
الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار لمتمسك
المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال
فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد

على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من
اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه
من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس و
الشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان
والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول
او منهما والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اى الشياطين
او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من
النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر
وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات
الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن
الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى
تعلقه بقدرته تعالى وارادته اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين
تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجب من
محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اى ابطره
ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس
كقولك عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو
حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم
ظرف لحاج او بدل من آتاه الله على الوجه الثاني ربي الذي يحيي
ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء
قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف

قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض
ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر
فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن
مثال الخفي الى مثال الجلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن
حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله
تعالى فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته واعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال
له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر
فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي
مر على قرية تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه
وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير
الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على
المعنى كأنه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام
ابرهيم عليه السلام ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت
تحيي فاحي كاحياء الذي مر وهو عزير بن شرحيا او الخضر او كافر بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية
التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي
خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي

هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحيا و
استعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا
وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف
فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة
عام ثم بعثه بالاحيا قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه
وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث وشارف الايمان وقيل ملك
او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات
ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل
لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير
بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء
وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير
لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم
يتسن بغير الها في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال وقال انا
عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه
بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده
شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام

على حماره ... ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه

يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها
كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب
بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ
ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين
مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير
قال اعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
او ما قبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم
على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت
واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه
عيانا وقيل لما قال نمروذ انا احيى واميت قال له ان احيا الله برد
الروح الى بدنها فقال نمروذ هل سيل عنه مرة اخرى قال اولم
تؤمن باني قادر على الاحيا باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك
وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون
غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اى آمنت ولكن سالت لازيد
بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال
فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم
من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايما الى ان احيا النفس بالحيوة الابدية
انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف
بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما

عاينته

خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير
مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن
لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة
ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح
تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكرم
الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا
جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل
كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزؤا بضم الزاي حيث وقع ثم
ادعهن ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر
بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها
ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى
الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه
مسرعات اذا دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل
ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السوال انه تعالى
اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان
اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة
بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف

أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة
لما كان من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة
هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها
سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة
والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن
يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوت
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله عنه
فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن
عوف فانه اتى النبي عليه الصلوة والسلام باربعة الاف درهم صدقة
والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه
بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء
فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان
لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة
وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من
السائل بان يعذر ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما
وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق
بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما

كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال
المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين
الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال
ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا
رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس
عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس
نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد
به الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا
يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء
والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب
عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن
بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب
المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان
بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر
وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل
مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد

بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله من كل زوجين اثنين
وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل
فطل اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها
وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى
ان نفقات هولاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل
والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الريا وترغيب فى الاخلاص
ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب
تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما
مع ما فيهما من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم
ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على ساير انواع الاشجار ويجوز
ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة و
العالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكانه
قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس
من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال
الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كريا وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم
القيمة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم
به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص

على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها
فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من
حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما
اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا
تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردى من المال او مما اخرجنا و
تخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرى ولا تاموا بضم التاء
تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون
الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم باخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه
فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من
اغمض بصره اذا غضه وقرى تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته
الشيطان يعدكم الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل شايع فى الخير والشر
وقرى الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء
ويغريكم على البخل والعرب يسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم
مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما
انفقتم فى الدنيا او فى الآخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول
اول اخر للاهتمام بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول
لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا

كثيرا اى اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما
يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع
الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول
الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم
من نفقة قليلة او كثيرة سرا وعلانية في حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم
عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها
او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله
ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ
ابو بكر وابو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين او اخفاء حركة العين
وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال
فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر
في التطوع تفضل علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر
عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اى والله يكفر او
الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على
ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما و
الفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم
لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث

بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل

عطفا على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات

على المحاسن والنهي عن المقابح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله
يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص
بقوم دون آخرين وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم
فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الخبيث وقيل نفي بمعنى النهي وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في
اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم
لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى
اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم
به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا
نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم
بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد
لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من

من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون
وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى
بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال **وما تنفقوا**
من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق خصوصا على هؤلاء **الذين**
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل
وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي لم يملك
الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا
ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون
والفا للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين
ولذلك جوز الوقف على وعلانية **الذين يأكلون الربوا** اى
الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع
في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد
بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما
كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم **الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان**
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء **من المس**
اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذي بهم

بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا
فاثقلهم **ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا** اى ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فا ستحلوه
استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم
جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين
بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها تساوى درهما
او توقع رواجها يجبر هذا الغبن **واحل الله البيع وحرم الربوا**
انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص **فمن جاءه موعظة**
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا **فانتهى** فاتعظ
وتبع النهي **فله ما سلف** تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع
الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على
راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله **وامره الى الله** يجازيه
على انتهائه ان كان من قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في
شانه ولا اعتراض لكم عليه **ومن عاد** الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به **يمحق الله الربوا**
يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه **ويربي الصدقات**
يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله
يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من
مال قط **والله لا يحب** لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين **كل كفار**
مصر على تحليل المحرمات **اثيم** منهمك في ارتكابه **ان الذين آمنوا** بالله

وبرسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا
الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما
أمرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
اى فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم به وقرا حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش
فآذنوا فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم
وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى
يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف
لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله
فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل
والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو
سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم
ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى
الانظار وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب
نظرته على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقرأ نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا

وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا
من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل
المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه
من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما
عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف
عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها
فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة
ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اى اذا
داين بعضكم بعضا يقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا
وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه
الى المؤجل والحال فانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد و
قدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على
انه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنه ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من
يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب

كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه
الله من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة
المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف
بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل
الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود
عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان
الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا
او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم
مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان
غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما
تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان
يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل
اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة
تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن
الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل و
امرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود و
القصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم
بعدالتهم أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار

العدد اي لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها
الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا
له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكأنه
قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان
عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا
لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا
من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم
عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن
كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان
الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم
للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط
واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما
صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ألا
ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله و
الشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها
بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة
والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم
تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان

لا تكتبوها

لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم
مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله فدى لبني اسد
هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون
على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في
احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل
عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما
مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار
او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم
واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه
المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر
اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق
به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه
السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير
اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر

الذي

الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك
وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى
مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي
بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان
فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه
بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام
الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم
وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا
الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم
ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي يأثم قلبه او الجملة خبر ان
واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية
او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه
قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه
وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه
لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة
وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر
لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح
في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب
على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن

جزم بغير فا جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال
كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام
الرا في اللام لحن اذ الرا لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير
فيقدر على الاحيا والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم
في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون
الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين
او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل
بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان
ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة
والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع
انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل
الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون
لا نفرق حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى
الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا
سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك
او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار
منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها
فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها

تم سورة البقرة

ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما
اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها و
تخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعمال
والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله و
اعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي
لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان او الخطا من تفريط وقلة مبالاة او
بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان
تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان
يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه
رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا
بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا
والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبا ثقيلا يأصر صاحبه
اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل
حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة
لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع
المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي
لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق

والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ها هنا لتعدية الفعل
الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا
انت مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى
ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه
السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله
آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي
سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام
من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول
من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي
يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال السحرة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله
الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة
الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا
للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين
فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها
على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرئ بسكونها والابتداء بما بعدها
على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في
البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو

الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن
نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه
من عند الله وهو في موضع الحال وانزل التورية والانجيل جملة على
موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل
تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو
ليس من ابنية العرب وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية
بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه
قرا بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس
على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما
وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين
الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا
منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل المعجزات ان الذين
كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب
كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر
وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا
يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان
او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما
قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف

فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله **هو الذي يصوركم في الارحام**
كيف يشاء اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ يصوركم اى صوركم
لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يعلم جملة ما يعلمه ولا يقدر
على مثل ما يفعله **العزيز الحكيم** اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته
قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة الى نيف وثمانين
اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم **هو الذي انزل**
عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عباراتها بان حفظت
من الاجمال **هن ام الكتاب** اصله يرد اليها غيرها والقياس
امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية
واحدة **واخر متشابهات** محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال
او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف
عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في
استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد
المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه
بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما
لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف

من اوله الى

او عن اخر من **فاما الذين في قلوبهم زيغ** عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل **ابتغاء**
الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه **وابتغاء تاويله** وطلب ان ياولوه على
ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين
او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه **الا الله والراسخون**
في العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص
الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد **يقولون امنا به** استيناف موضح لحال
الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا **كل من عند ربنا**
اى كل من متشابه والمحكم من عنده **وما يذكر الا اولوا الالباب** مدح للراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية
بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها
في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى
بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف
يشاء فيصور من نطفة اب وغيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور **ربنا لا تزغ قلوبنا** من مقال الراسخين وقيل

استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل
لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد
نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه
بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز
بها عندك وتوفيقا للثبات على الحق ومغفرة للذنوب انك
انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله
وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع
الناس ليوم لحساب يوم من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده
لا يجب عليه او الجزاء لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من
الحشر والجزاء نبهوا به على ان اعظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق
بالآخرة فانها المقصد ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية منافيه
وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة
كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في
الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او
طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها
وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن
تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف

المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب عطف على
آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين
من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وتخويف للكفرة
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي لمشركي
مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم
بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش
فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء
النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة
وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم او استيناف
وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم
آية الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا
يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم
يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريبا من الف او مثلي
عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما
قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم
كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى
المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويتيقنوا
بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقراءتهما على البناء للمفعول

وهو محلا داب في العذاب اذ الكون فيه ...
والذين من قبلهم

وزيادة

وبئس المهاد

ما اخبره به من وعيدهم بلفظه ...

اى يريهم الله ويكثرهم ذلك بقدرته وقرئ بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اى التقليل والتكثير وغلبة القليل لعديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولى الابصار لعظة لذوى البصائر زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات جعلها عين الشهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والحرام من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها

الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابى بكر في جميع القرآن بضم الرا ما خلا الحرف الثانى في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب

الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع
سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون و
يدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا
العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك الكشف بشهادة
الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا
لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو
والعامل معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال موكدة او على
المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود
به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل
من هو او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله
العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم
بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة
لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها
يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من
وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل اصول الدين
وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة
للاولى اى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد
والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائى بالفتح

على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ إنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع
الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال
تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة
فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب
ونفاه اخرون مطلقا او فى التوحيد فثلث النصارى اختلفوا
فى امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اى بعد ما علموا حقيقة
الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا
بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر ومن يكفر
بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك
فى الدين وجادلوك فيه بعدما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهى لله
اخلصت نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى
قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن
النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس
ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل
للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركى
العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم
ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وان تولوا فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان

اختلفوا ام

وقالت اليهود عزير ابن الله
وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى

لا... وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في
عصره قتل اولوهم الانبيا واتباعهم وهم رضوا به وقصدوا قتل
النبي والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وقرا حمزة ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال الفا في خبر ان كليت
ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتدا بخلافهما
وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القران
او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن
عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا انه كان
يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل
نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البنا للمفعول فيكون الاختلاف
فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم
يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما
ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب

على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان
اباءهم الانبيا يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام
ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم
لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن
تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رءوس
الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا
يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل
دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل
نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من
يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها عليه
مع لام التعريف وقطع همزته وتا القسم وقيل اصله يا الله امنا
بخير فخفف بحذف حرف الندا ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو
ندا ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشا من تشاء
وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من
تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق

والجلال بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده
لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي
ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان
الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع
لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان رضي الله عنه الى رسول الله
يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر
معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان
امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح
لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر
ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج
النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب عقب بذلك بيان قدرته على معاقبة
الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر
على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في
مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب
او بالزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات

من موادها او اماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه
وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر من المومن وقرا ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة
بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المومنين اشارة الى
انهم الحقيق بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في
شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين
لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك
بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا
وقرا يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها
الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه
السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو
تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان
المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم
من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات
وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على

عقوبتكم ان لم ينتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله
نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط
بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا
تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر
على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم
منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء
اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم
وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في
عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير
ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان
يكون شرطية والحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير
والله رءوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم و
مراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته
ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس
الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه
او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك
يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة
الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسل في عبادته والحرص على

مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرض
عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من
جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق
الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته
واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول
فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله
لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل
لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه
من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
بيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة
بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا
على ما لم يتقو عليه غيرهم وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما
وقد دخل فيهم الرسول عليه السلام وآل عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى
وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ليعازر بن ابي يود بن
زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن اموذن بن ميشكن بن

خان قال بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن ابيا رحم
بن فارص بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف
وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين
او منهما ومن نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض
وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد
والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها يا ثم قلبت
الواو وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفى
من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى فينتصب
به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى
وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه
المراد او حنة ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان
وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب روى
انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت
بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان
فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته
لا اشغله بشى او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل منى
ما نذرته انك انت السميع العليم بقولى ونيتى فلما وضعتها قالت
رب انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتانيثه لانه كان انثى

وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والجبلة وانما قالته
تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت
تحريره والله اعلم بما وضعت اى بالشى الذى وضعت وهو استئناف
من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن
عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل
لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرى وضعت على خطاب الله
تعالى لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى وليس
الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز
ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت
فيكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف على ما قبلها من
مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى
والتسمية متغايرة وانى اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها
من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان
يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله
تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضى بها فى
النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر

وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح
للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى
المسجد ووضعت عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان
كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها
عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر كانت بنت امامهم فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف
اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل
اى فاخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها زكريا
شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية
ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى جعله كافلا
لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا
كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او
اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة
الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك
هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل

جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر
عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعده قيل تكلمت صغيرة كعيسى
ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل من الجنة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به
وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روى ان
فاطمة رضى الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين
وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى
جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك
دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعمل هنا وثم وحيث
للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من
لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه
فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال
هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب
المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من
جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبريل وحده
وقرا حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلى
فى المحراب اى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبر او حال آخر
او حال عن الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرا

حتى شبعوا

حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ
حمزة والكسائي يَبْشُرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع
صرفه للتعريف ووزن الفعل مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ اي بعيسى
سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى دون اب فشابه البدعيات
التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وَسَيِّدًا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم
في انه ما هم بمعصية وَحَصُورًا مبالغا في حبس النفس عن
الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى
اللعب فقال ما للعب خلقت وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ناشئا منهم
او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ
لِي غُلَامٌ استبعادا من حيث العادة واستعظاما وتعجبا او استفهاما
عن كيفية حدوثه وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ادركني كبر السن واثر في وكان
له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ
لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قَالَ
كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك
الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ
وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك
خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قَالَ رَبِّ
اجْعَلْ لِي آيَةً علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

العزلة

ان لا تقدر على التكلم وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر
واحسن الجواب ما اشتق من السؤال إِلَّا رَمْزًا اشارة بنحو يد
او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع
وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رُمُزًا كخُدُم
جمع رامز ورُمْزًا كرُسْل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس
بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله
مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار
وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب
الى ذهاب صدر الليل وَالْإِبْكَارِ من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ كلموها شفاها
كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او
ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله
وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول
تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها
برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني
هدايتها وارسال الملائكة وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد
من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها
آية للعالمين يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ
أمرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها

ايتكلم الناس ثلاثة ايام حبس
لسانه عن تكلمهم خاصة
ليخلص المدة لذكر الله وشكره
قضاء لحقه

الى الغروب

وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان
الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان
من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة
الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود
الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه
فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة او السماع وعدم السماع
معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان
ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت
لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملئكة بدل
من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع
الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو
من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة
او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل
ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كان

صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ
فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن
غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قال ابن
مريم والخطاب لها اعلاما لها انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب
الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا و
الاخرة حال مقدرة من كلمة وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره
للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن
المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه
الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا
اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد
مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا
والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد
الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة
او ضميرها الذي في يكلم الناس قالت رب انى يكون لي ولد ولم
يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام على انه يكون بتزوج
او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل او الله وجبرئيل
حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة
الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر
ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية و
الانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف

اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها و
الكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما و
رسولا الى بني اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر
على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم
او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه
قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته او للرد
على زعم من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة
الطير نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي
انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير
وقرأ نافع انى بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه
من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ
الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه
ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله
كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم
ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية
عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم

وجئتكم

مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية
او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك
بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب و
السمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان
ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ
القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم
باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة
الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم
باية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد
اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم
ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة
والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم
اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي
وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي
هو الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت
بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق
ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا

انصاري ذاهبا اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اى
من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى
مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور
وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن
سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل
كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون
يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه
آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد
الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع
الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء
على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه
على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة
والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال
الضر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين
او المضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك ومؤخرك
الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض حيا من توفيت
مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات

ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الى
محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من
سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه
من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة
اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير
لعيسى ومن تبعه ومن كفر به او غلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فا
عذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
تفسير الحكم وتفصيله وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو
مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز
ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا
خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على
الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل
اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشان
آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو
انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب ثم قال له كن اى انشأه
بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم
كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال

بلا اب وام شبهه بما هو اقرب افحاما للخصم
وقطعا لمواد الشبه والمعنى
خلق قالبه من تراب م

ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا
ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب
للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك
من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من
البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم
ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا
والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم ابهلت الناقة
اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا
للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته
ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسن آخذا بيد
الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت
انا فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا
فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا
من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة

وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران
واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم
من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص
الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم
حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدا
من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه
بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان
الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية وان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج
والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى
فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل
الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها
ما بعدها ألا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما
احدثوا من التحريم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون
بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا

بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه
انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن
التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار
المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم
ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا
بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان
دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم
لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن
ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود
والنصارى فى ابرهيم وزعم كل واحد انه منهم فترافعوا الى رسول الله
فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية
والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى
بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم
انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا او
تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من
دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله
ءانتم

على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرا نافع وابو عمرو
وها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من
غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزى بقصر المد على اصله
والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من
البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما
منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا
والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم
ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب للذين اتبعوه
من امته وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم والله
ولى المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت فى اليهود لما دعوا
حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم
اذ يضاعف به عذابهم او وما يضلون الا امثالهم وما يشعرون
وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات
الله بما نطقت به من التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم
تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل

في صورته او بالتقصير في الميز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد
وتلبَسون بفتح الباء اي تلبَسون الحق مع الباطل كقوله كلابس
ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين
بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن
اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره
لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت
القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها
اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا
وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان
يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا
وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل
اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن
تصديق قلبي الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى
هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان
يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله

قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او
خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير أأن يؤتى
على الاستفهام للتقريع وهو يؤيد الوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم
وقرئ إن على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه
حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى
الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو
الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام
استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى
اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب
عليهم الخيانة وقرأ حمزة والكسائي وابو عمرو يؤده اليك
باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام
والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة
البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم
قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن

عتاب وذم م

من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا **ويقولون على الله الكذب** بادعائهم ذلك **وهم يعلمون** انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر **بلى** اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل **من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي **ان الذين يشترون** يستبدلون **بعهد الله** بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات **وايمانهم** وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه **ثمنا قليلا** متاع الدنيا **اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله** بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله **ولا ينظر اليهم يوم القيامة** فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم **ولهم عذاب اليم** على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار اليهود حرفوا التورية وبدلوا

نعت

نعت محمد وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت م في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي **وان منهم لفريقا** يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي **يلوون السنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب** الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين **ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله** تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه **ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله** تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول

كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني
والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب
وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين
له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ
تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم
وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول
ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة و
النبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر باتخاذ اكفائه
اربابا بل ينهى عنه وهو النهي عن العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف
ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو على اصله ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره
واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم
وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ
اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين

ابو عمرو اسكان الراء

برواية الدوري باختلاس الضم

على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا
يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل
الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم
بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله
لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استخفافا وقرا نافع
آتيناكم بالنون والالف جمعا قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة
فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا قال فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو
توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد
بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة أفغير
دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند
ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين
على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا و

كرهًا اى طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملائكة والمومنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه يرجعون وقرا حفص بالياء على
ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى
والنبيون من ربهم امر للرسول بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان
والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم و
ايضًا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه
على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى
الرسول يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل
على ساير الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون
فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد
لحكم الله تعالى فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين
الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب
لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر
الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان
غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما
يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا
بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد

لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل
توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق
واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على
ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر
موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز
لعنهم ومفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون
على الكفر ممنوعون عن الهدى مايوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم
والمراد بالناس المومنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر
الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة
او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد
ذلك اى من بعد ذلك الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان
لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح فان الله غفور يقبل
توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحرث بن سويد حين
ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه
اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران

اوكفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار
والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق اوكفروا
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب
المنون اونرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لايتوبون
اولايتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم
قبولها اولان توبتهم لاتكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم
ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على
الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا تغليظا فى شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال
الآيس من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول
الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملاه وذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف
ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم
فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا لو تقربت به فى الدنيا
ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل
يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد اولئك لهم
عذاب اليم مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن
مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى
هو كمال الخير اولن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضا والجنة

او معطوف على مضمر تقديره
فلم يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا م

حتى

حتى تنفقوا مما تحبون اى من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه فى
معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها
لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحا
فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح وانى
ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال
هذا فى سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال
زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى
قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب
الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض
ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شئ من اى شئ محبوب او غيره ومن لبيان ما فان
الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد
اكلها كان حلا لبنى اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به
ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله
تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم
الابل والبانها قيل كان به عرق النساء فنذر ان شفى لم ياكل
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة
الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ان ذلك
باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اى من
قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت

وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد
على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم
فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت وقوله [illegible]

والطعن في دعوى الرسول
موافقة ابراهيم بتحليله لحوم
الابل والبانها ...

محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما
حرمت على من قبلنا وقصدهم منع النسخ قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين امرهم بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم
بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل
ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق
بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت في الاصل مسئلة
ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى
التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم
طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه
اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في
الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان
اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم
والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة
للبيت الذى ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب
وراتم ولازب ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة البلد من بكه
اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة وروى
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام
ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول

انّ الله صادق فيما انزل ... فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اى ملة الاسلام التي هي ...

من

من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل
هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل
كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة
فلما اهبط ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية
وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير و
النفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من
المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور
عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط
الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب
الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ
محذوف خبره اى منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض
من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة
الصماء وغوصها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين
الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنة ويؤيده ان قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا
الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع
الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية
او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله
اى ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن

[illegible]

من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كما في
قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء و
قرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدلالة على بقاء الاثر
مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل
بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجي الى الخروج **ولله على**
الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا**
بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله عنه انها بالمال
ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه
وقال مالك رحمه الله انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب
في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع الامرين والضمير في
اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فان الله**
غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة
على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه
يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه
فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا
من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل

على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة
التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط
لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال
والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزلت صدر الآية
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله
كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل
ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** اي باياته
السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب
الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم
اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون
بهما **والله شهيد على ما تعملون** والحال ان الله شهيد مطلع على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا اهل الكتاب لم**
تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح
في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور
بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون
بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية
من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم
عنه **تبغونها عوجا** حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا
بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ
وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا

من المومنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل
الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم
يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به
ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المومنين
عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل
عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه
تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم
بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس
ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ
اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم
فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول عليه السلام
وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء
بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم

الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم
بالله فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر
تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت
واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة وياؤها الفا ولا تموتن الا
وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم
الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو
الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك
النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه
السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان
التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب
السلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا
للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب
بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا
نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي
الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين

فألف بين قلوبكم بالاسلام فأصبحتم بنعمته اخوانا متحابين
مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين
فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة
حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم
على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم
اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها
بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف
اليه اولانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون
ارادة ثباتكم على الهدى او ازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح
له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم
بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام
بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى
لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو
فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون لقوله كنتم خير
امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى
ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم

هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل
من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله
واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به
والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر
ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال
الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج
المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه
مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف
امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر
واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد
على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في
لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه
وبيمينه واهل الباطل باضداده فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول
الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما
اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في

في الدلايل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او جزاء لكفركم وأما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً
على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته
وفضله وكان حق الترتيب ان تقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون
مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها
فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده
نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد
ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعده كنتم خير
امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طارئ كقوله وكان
الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم
المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون
بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق و
يعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه
ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه
الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين

عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم
على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا
لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن
سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه
الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم
الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم
عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك
بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم
العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي
في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات
التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة
في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي
آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا
بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة
فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر
فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء

بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اى الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
فان الاصرار على الصغاير يفضى الى الكباير والاستمرار عليها يودى الى
الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة
كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث
انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء فى المساوى والضمير لاهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفى الاستواء والقائمة
المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القران فى تهجدهم عبر
عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح
وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه
السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس
من اهل الاديان احد يذكر الله فى هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
فى الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت فى اليهود
فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون
فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب
متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون بتلك
الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولن ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى
توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا

حفص

حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون
بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ
الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين
كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
من العذاب او من الغنى فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون خوفا ورياء فى هذه الحيوة الدنيا
كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح البارد كالصرصر
فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك
برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه
بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى
الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة
التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو
الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما
ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرى ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان
يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر
جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو
الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار

قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين
وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة
كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم فى الفساد والالو
التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم
لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم
وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من
افواههم اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما
تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد
بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت
مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة
الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثان
او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال
والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما
بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله
وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم
فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعا عليهم بدوام

الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله
عليم بذات الصدور فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحنق
وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم
ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم
من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم
او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم وما حرم الله عليكم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان
المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا
على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر
والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء
اى بما يعملون فى عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اى واذكر
اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضى الله عنها تبوئ المؤمنين
تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال
مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى
عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم

اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابى ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار
اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت
فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال
ورماهم النسآء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت فى منامى
بقرا مذبوحا حولى فاولتها خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فاولته
هزيمة ورايت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم
بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا
حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت
ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا
من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت
طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا
جناحى العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلم
خرج فى زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط
انخزل ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة بقوله والله وليهما اى

فى ثلث وقال علام نقتل انفسنا
واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الانصارى وقال انشدكم الله
فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى
صح

عاصمهما

عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما
تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير
ببعض ما افادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمى به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة
ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب
والسلاح فاتقوا الله فى الثبات لعلكم تشكرون ما انعم
عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع
الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم
وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع
اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا وعن الغنائم
وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما
جئ بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة
ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين
بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد
لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم اى المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت
فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى

ان الاعداء

ان ياتوكم فى الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فى حال
اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذى هو
اظهار سيما الشىء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه
لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم
وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا
على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذى لا يغالب فى اقضيته
الحكيم الذى ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة
ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب واو
للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعى الآمال
ليس لك من الامر شىء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك
من امرهم شىء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل
ان يكون معطوفا على الامر او شىء باضمار ان اى ليس لك من امرهم

او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شىء او ليس لك من امرهم شىء او التوبة
عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك من
امرهم شىء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم
روى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم
من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما فى
السموات وما فى الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء صريح فى نفى التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافى له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم
يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا
زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم
يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشىء الطفيف
مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا
الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التى اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل
وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا
بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها كعرض السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض

للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن
عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض **أعدت**
للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن
هذا العالم **الذين ينفقون** صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع **في السراء والضراء** في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل
او كثير **والكاظمين الغيظ** الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع
القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا **والعافين عن الناس** التاركين عقوبة من استحقوا
مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من
عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت **والله يحب المحسنين**
يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا **او ظلموا**
انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس
كذلك **ذكروا الله** تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم **فاستغفروا**
لذنوبهم بالندم والتوبة **ومن يغفر الذنوب الا الله** استفهام بمعنى
النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة
وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة **ولم**
يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه

السلام

السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة **وهم يعلمون**
حال من يصروا اي لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به **اولئك جزاؤهم**
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر
للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته
على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول
يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم
بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم
حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل
آية هؤلاء بقوله **ونعم اجر العاملين** لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب
والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال لما عاين
الناس من فضل لفضلكم ولا ارى مثلا في سالف السنن **فسيروا**
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون
من آثار هلاكهم **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**
اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه
بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص

من أمر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان
والتوبة وقيل الى القرآن **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تسلية لهم عما أصابهم
يوم أحد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا تحزنوا على
من قتل منكم **وأنتم الأعلون** وحالكم انكم أعلى منهم شأنا فانكم على
الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم
اليوم أو وانتم الأعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر
والغلبة **إن كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم
فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالأعلون **إن يمسسكم**
قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف و
الضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم
يوم أحد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم
يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون
وقيل كلا المسين كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا
امر الرسول **وتلك الأيام نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل
لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا والمداولة كالمعاودة
يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والأيام يحتمل الوصف والخبر
ونداولها يحتمل الحال والخبر والمراد بها اوقات النصر والغلبة
وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون
كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما

يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا
ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى
ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل
معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا **ويتخذ**
منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد احدا او يتخذ منكم
شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد
والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او
الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين
على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين
وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم **ويمحق الكافرين** ويهلكهم ان كانت
عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا **أم حسبتم أن تدخلوا**
الجنة بل أحسبتم ومعناه الانكار **ولما يعلم الله الذين جاهدوا**
منكم ولما تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما
يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون
ويعلم الصابرين نصب باضمار أن على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع
على ان الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد**
كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت
بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع
رسول الله مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم

احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل
دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها
تمنى غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه
بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا
به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه
مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو
يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى عباد الله
فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى
سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى
اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
قتل محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل
عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد
بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله

على اعقابهم

فقال

محمد فان رب

شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام
بالثبات عليه كأنس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن
الله الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت عليه السلام فى قبض روحه والمعنى
ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض و
تشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا
مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اى موقتا
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن
شغلته الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينتهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا
مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من وراءهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين
الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد وكأين اصله أى
دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت
فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه
قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأى
ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما
ابدلت من طائى من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى
الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه

قتل

ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل و
بالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي
او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لانه يطلب من نفسه
ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان
قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول
وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما
اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن
الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب
الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة
النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله
تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم
في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا
الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان

واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة
الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو
خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ
ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما
اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي
آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم سلطانا وهو كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط
لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس
مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ
والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر
بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى
انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من
احسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او
ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في

الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم
فما موقفنا ها هنا وقال اخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه
اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله
وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا
وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم
الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم كفكم عنهم حتى
حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم
على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم
على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر
والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة
الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما
بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم
الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم
اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر
في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فات وضر لاحق وقيل لا مزيدة

والمعنى

والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من
الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي
فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم
من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم
انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى
اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان
السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن
نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة
حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى
ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون
الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا
وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم
في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف
على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله
وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول
الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله و
وعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج

فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم
يبق لنا من الامر شئ او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر
شئ قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه
فان حزب الله هم الغالبون او القضا له يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتدا يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون
مظهرين انهم مسترشدون وطالبون النصر مبطنين الانكار و
التكذيب يقولون اى في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو
بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا
من الامر شئ كما وعد محمد عليه السلام او زعم ان الامر كله لله تعالى
ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راى
ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في
هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب
في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج
منهم احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضايه لا معقب لحكمه
وليبتلي الله ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرايرها
من الاخلاص والنفاق فهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك
ليبتلي او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضا او لمصالح جمة
وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم [وليكشفه ويميزه صح] او يخلصه
من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها

وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك
لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان
الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز
والحرص على الغنيمة او الحيوة ومخالفة النبي فمنعوا التاييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم
فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة
ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم [لاجلهم صح] وفيهم ومعنى
اخوتهم اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية
الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم
يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا
على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا
تكونوا اى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم
من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله

انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما
يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات
لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان
يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين
كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ
نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان
السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع
ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما
تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن
متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى
معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا
محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه
على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو
كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من
حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص
بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر
الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا

جافيا
جمع کننده

برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت
فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك
على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي اذا
عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله
يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله
كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما
خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي
للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا
ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون
في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل
اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به
اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل
رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت
فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء
للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول

بالثانية

ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة بالذى غل يحمله على عنقه كما جاء
فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت
تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسب
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا
كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم
لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم افمن
اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب
المعاصى ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع
ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات
عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع
الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا
كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين
به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم
يتلوا عليهم آياته اى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى
ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل
لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان

الشان كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو
عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم
كذا وقلتم ولما ظرف المقال اى قلتم حين اصابتكم مصيبة
وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر
من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر
قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر
بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او
اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله عنه باختياركم الفداء
يوم بدر ان الله على كل شىء قدير فيقدر على النصر ومنعه
وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن
بقضائه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا
داخل فى الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او
ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع
عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم
بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى
قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس

الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم
هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة
القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او
نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في
بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل
اخوانهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
مقدرا بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود
ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرؤوا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ان كنتم صادقين انكم تقدرون
على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى
بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان
القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر
بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت
في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد وقرأ هشام بالياء وبالتاء ايضا كالباقين على اسناده

الا ما اوحى اليه روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي رضي الله عنه انه عليه
السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال
المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا
يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم
اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم القراآت فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء
قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا
لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول ومن يحسب
وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه
اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان
لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه
عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في
عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما
مما يتوارث فما لهم يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقون في سبيل الله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله
بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فمجازيكم وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالت
اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه عليه السلام كتب مع

ابو بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن
عازورا ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال
لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب
عليه **سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق** اي سنكتبه في صحائف
الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزا
بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبيا وفيه تنبيه على انه
ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد منه
امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التا وقتلهم بالرفع
ويقول بالياء **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اي وننتقم منهم بان نقول
لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك
الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات
وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك
على المال والغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم
بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال **ذلك**
اشارة الى العذاب **بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد**
عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم
العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسي **الذين قالوا** هم كعب بن
الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا **ان الله عهد الينا**
امرنا في التورية واوصانا **ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان**

ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفين ~~رضي الله عنه~~
واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شا الله فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه
وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة
للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي
نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فساله ذلك والتزم له عشرا
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم
في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد
جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن
ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله
فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قالوا او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا
اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان
يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة
الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل
وتناصر الحجج **وقالوا حسبنا الله** محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك

هذا رجل حسبك ﴿ونعم الوكيل﴾ ونعم الموكول اليه هو ﴿فانقلبوا﴾
فرجعوا من بدر ﴿بنعمة من الله﴾ عافية وثبات على الايمان وزيادة
فيه ﴿وفضل﴾ ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا ﴿لم يمسسهم سوء﴾ من جراحة وكيد عدو ﴿واتبعوا
رضوان الله﴾ الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم
﴿والله ذو فضل عظيم﴾ قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار
الجراة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة
رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به ﴿انما ذلكم الشيطان﴾ يريد به
المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان
لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله
على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس ﴿يخوف
اولياءه﴾ القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان [illegible] واصحابه ﴿فلا تخافوهم﴾
الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني ﴿وخافون﴾
في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر﴾ يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين
او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك او
يعينوا عليك لقوله ﴿انهم لن يضروا الله شيئا﴾ اي لن يضروا الله

اولياء م

بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول
والمصدر وقرا نافع يحزنك بضم اليا وكسر الزا حيث ما خلا قوله في
الانبيا لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح اليا وضم الزا فيه والباقون
كذلك في الكل ﴿يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة﴾ نصيبا من
الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر
وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين
ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه
تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ مع الحرمان
عن الثواب ﴿ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب اليم﴾ تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من
نافق من المتخلفين او اريد من الاعراب ﴿ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم﴾ خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول
وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على
البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا
اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان
الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية فكان حقها ان تفصل في الخط
ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل
وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر
وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم

ما وقع في القرآن م

من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر الاولى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرا حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم اليا وفتح الميم وكسر اليا وتشديدها والباقون بفتح اليا وكسر الميم وسكون اليا وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون

الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهدا في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر والايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد

الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين
بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله
ان لا خوف عليهم ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم
بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه لقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له
اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من
بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او
مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته
ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفين واصحابه
لما رجعوا وبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب للخروج في طلبه وقال لا
يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم
اصحابه للخروج في طلبه وقال مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى
لا يفوتهم الاجر فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال
لهم الناس يعني الركب استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له
الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه

تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي
كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو
فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم
واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة
فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان
رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم
وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات
اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من
تكذيب قومه واليهود والزبر جمع الزبور وهو الكتاب المقصور
على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن
ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من
زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة
الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة
الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما
توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا
يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه

قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار
بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل
الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية
وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع
الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه
وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهو له متاع و
الغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم
بتكليف بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور الانفاق وبما يصيبها
من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء
الرسول او الطعن [illegible] وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله
عليها اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء
نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا
الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم

غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم
يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهور مثل في ترك الاعتداد
وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي عليه السلام من
كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله
على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون
على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول
الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق و
الاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة
منه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا يحسبن بالياء وقرأ
ابن كثير وابو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء ايضا على ان
الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوف وقد دل عليهما مفعولا مؤكده
وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعل ومفعول
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام
سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه

انهم صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن
الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه
وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون
الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك
السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الاية لان
الثلثة م
مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه
اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر
بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي عليه السلام ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات
كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في
الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن
حصين رضي الله عنه صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي
مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في

خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق وعنه بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى
السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله
اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله
ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين
ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق
من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى
ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها
ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على
معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية
في جوارك سبحانك تنزيها لك عن العبث وخلق الباطل وهو اعتراض
فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه
وفائدة الفاء الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات و
الارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادركه والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم
وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما
للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر للدلالة على
موضع المضمر
ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص
منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا

ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للايمان اوقع الفعل على المستمع وحذف
المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس
المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد
به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى باللام والى
لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اى بان
آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة
وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر
وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم
وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله
لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر
امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفاً من اخلاف الوعد بل مخافة
ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال او تعبداً
او استكانة ويجوز ان يتعلق بمحذوف وتقديره ما وعدتنا منزلاً على رسلك
او محمولاً عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة
الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنه الميعاد البعث بعد الموت وتكرير
ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها
وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه
وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة

القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من
الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام
سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل
لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم
والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين
واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله
ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى
بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثانى افضل او لان المراد
لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير
وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولاد خلنهم
جنات تجرى من تحتها الانهار ثواباً من عند الله اى اثيبهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلاً منه فهو مصدر مؤكد والله عنده
حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين
كفروا فى البلاد الخطاب للنبى والمراد امته او تثبيته على ما كان
عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب
وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى
لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان

بعض المومنين كانوا يرون المشركين فى رخاو لين عيش فيقولون ان
اعدا الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع
قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته
او فى جنب ما اعد الله للمومنين قال عليه السلم ما الدنيا فى الاخرة
الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم ترجع ثم ماويهم
جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا
من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا
والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها
الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله
خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من
اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل
فى اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما
انزل اليهم من الكتاب خاشعين لله حال من فاعل يومن وجمعه
باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون
من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر وعدوه

فى قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزا واستغنائه عن التامل و
الاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعته
الحساب تستدعى سرعة الجزا يا ايها الذين امنوا اصبروا على
مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعدا
الله فى الصبر على شدايد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة
الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم
وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال
عليه السلم من الرباط انتظار الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة
فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل
عن صلوته الا لحاجته واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى
عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون
بنيل المقامات الثلث المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق
لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطى بكل اية منها
امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم من قرا السورة التى يذكر فيها
ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملايكته حتى تجب الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم
بنى ادم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة هى ادم

وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق
منها امكم حوا من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى
ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى
ان يكونوا اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على
هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها
ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها او لان المراد
به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه
على ما دلت عليه الآيات التى بعدها وقرى وخالق وباث على
حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به
اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت
التاء الثانية فى السين وقرا عاصم وحمزة والكسائى بطرحها والارحام
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على
الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة
بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرى
بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى
مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى
وصله الله ومن قطعنى قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا

مطلقا

مطلقا وآتوا اليتامى اموالهم اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو
الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على
انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل
يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع
يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار
والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده فى الآية اما للبلغ
على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم
اموالهم اول بلوغهم قبل ان تزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم
الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد
وكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روى ان رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم
بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر
الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوها معا ولا
تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره
لقوله تعالى فلياكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما وقرى حوبا وهو مصدر حاب حوبا كقال قولا وقالا وان خفتم
الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان خفتم

ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب
من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها
فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او
ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا
ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه
لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها على ما روي
انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون
من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى
ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى
فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت
ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان
تجوروا **مثنى وثلث ورباع** معدولة من اعداد مكررة هي ثنتين
ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا وهي غير منصرفة للعدل و
الصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير
العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على
الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما
شاء من العدد المذكور متفقين فيه او مختلفين كقولك اقتسموا
هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى
تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز
الاختلاف في العدد **فان خفتم الا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضا

فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع
على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع
واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة من الازواج والعدد
من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي
التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري **ادنى ان لا تعولوا**
اقرب من ان لا تميلوا من عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار
وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم
على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا
كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان
التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج
الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن
وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال
جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة
في ظلمة **نحلة** عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن
طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى
مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى
الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا
من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به
على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب

للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليّاتهم فان
طبن لكم منه نفسا الضمير للصدقات حملا على المعنى او يجرى
مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق
اردت كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك
وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة
طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال
منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه
حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ
من غير غص اقيمتا مقام المصدرين او وصف بهما المصدر او جعلتا
حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي
ان ناسا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها
فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين
لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها
في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتاخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امراته
واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم
واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله تعالى التي
جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها
التي جنس ما جعل الله لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرا
نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم

عن شيء

كانوا

بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم
قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع
او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى
اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي
الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند
ابو حنيفة رحمه الله عليه بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا
بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس
عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب
ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة
رحمه الله عليه وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح
عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم
بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ
ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية
الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع
اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه اذا زادت
على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل
يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا
تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او
لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من
اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة

سعيد ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق
في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل
من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا
التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا
على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم
بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان
وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو
المختار عندنا وهو مذهب مالك رحمه الله عليه خلافا لابي حنيفة
رضي الله عنه وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم
ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين
بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا
مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال والمعنى
ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا
واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة
وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء
والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت
ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه
فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا

من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل
يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي
ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب واذا حضر
القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم
منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو
امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه و
الضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء
بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء
بان يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا
يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو
كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه
جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا
ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه
اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد
غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعد ما

امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم
ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره
التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا
وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم
انما ياكلون في بطونهم ملا بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول
اليها وعن ابي بردة رضي الله عنه انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم
تاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن
عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها
وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد
اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر
مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد
الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن
بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان
كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة

لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم
ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت
المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين
فقال ابن عباس رضي الله عنه حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل
الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى
لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان
يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق
اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها
فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من
الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل
وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا مما ترك ان كان له ولد الميت ذكر او
انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي
من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه
ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب
وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث
معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا
ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فانه يفضي الى تفضيل

للانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع
الشرع **فإن كان له إخوة فلأمه السدس** باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن
ابن عباس رضي الله عنه انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام
والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة او الاخوات قال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث
ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي
فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها **من بعد وصية يوصي**
بها أو دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء
للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة
دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان
على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع
والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر
بفتح الصاد **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**
اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم
فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي
ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل
ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم
فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو
اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية **فريضة من الله** مصدر

مؤكدا

مؤكدا او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم الله ويفرض عليكم
إن الله كان عليما بالمصالح والرتب **حكيما** فيما قضى وقدر **ولكم**
نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن
ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب
بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم **من بعد**
وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن
لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها أو دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف
ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب
ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة
والعدد منهن في الربع والثمن **وإن كان رجل** اي الميت **يورث**
اي يورث منه من يورث صفة رجل **كلالة** خبر كان او يورث خبره
وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول
له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون
الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد
وقرئ يورث على البناء للفاعل والرجل الميت وكلالة يحتمل
المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى
الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى
فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة
ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث
والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي **أو امرأة**

عطف على رجل وله اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة
العطف على اشتراكهما فيه اخ او اخت اى من الام ويدل عليه
قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى آخر
السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام
وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد
منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث سوى
بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية
انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى
غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور
فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة
ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية من الله مصدر موكد او منصوب بغير
مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى
لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه
بالاولاد بالاسراف والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر
اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التى هى كالحدود المحدودة
التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله

عذاب مهين وحد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى
وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين
لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له
واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة
وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها
وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن
فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى
يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل
ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى
عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد
استغناء بقوله الزانية والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين
الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح واللذان
يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد
النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما
بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر
ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل
هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم

ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين و
الزانية والزاني في الزناة إنما التوبة على الله اي ان قبول التوبة
كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين
يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب
سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته
ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده
ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل
او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع
ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو
ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب
الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة
على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم
لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من
الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة
وعدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم
توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين
وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم
وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد

لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء
والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا
فابدل الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته
وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء
زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت
من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على
سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه
وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل
بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي
ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت
الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون
النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن
وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف
والاستثناء من اعم الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان
يأتين بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون
بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال
في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه

خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو
اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو
اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه
والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرءة
وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه
شيئا اي من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام
انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة
كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم و
اقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته
بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج
الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب
عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف
تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال
انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر وأخذن منكم
ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق
الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي عليه السلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها
اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على

ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا
ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل وتستحقون
العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة
في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم
ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا
مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان
نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي
المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا
سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم
ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى
الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما
بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان
علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت
واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة
كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد
انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى
والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة
اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل الذي

ت وبنات الاخ وبنات الاخت
من الكل الاوجه الثلثة [illegible]

در عليه الكلام قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل
ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب **وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن** ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب
ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع
ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في
غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي
بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز
تعلقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة
الواحدة لا تحمل على معنيين عند الجمهور الا اذا جعلتها للاتصال كقوله
فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة
وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج
امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد
التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما
مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب
اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها
وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه
ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا و

ان اخت [illegible] الرجل ام اخته [illegible]
حرمت عليه وان اخت ابن الرجل
ام اخته حرمت عليه ام اخته
اجنبية اما ام اخته
اما ام اخته لا [illegible] حيث
اما ام اخته من الرضاع [illegible]
لا [illegible]

والربائب

والربائب سيما ولانها للعرضية والمبعدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم
معهن الستر وهو كناية عن الجماع ويؤثر فيما ليس بزنا كوطء شبهة او ملك
يمين وعند ابي حنيفة رحمه الله عليه لمس المنكوحة ونحوه كالدخول
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج
الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد **وان تجمعوا
بين الاختين** في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة
غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي في النكاح
فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما
حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم
فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل
مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام
الا غلب الحرام **الا ما قد سلف** استثناء من لازم المعنى او منقطع
معناه لكن ما سلف مغفور لقوله **ان الله كان غفورا رحيما**
والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج
وقرأ الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن **الا ما ملكت
ايمانكم** يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار
فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رضي الله
عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا
النبي عليه السلام فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله
وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة

تكونوا

محرمة

واج

رضي الله عنه لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي وإطلاق
الآية والحديث حجة عليه كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مصدر مؤكد أي كتب
الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه
فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وَأُحِلَّ لَكُمْ عطف على الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على
البناء للمفعول عطفا على حرمت مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ما سوى المحرمات الثمان
المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع
والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ
غَيْرَ مُسَافِحِينَ مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا
بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين
ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم
محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية
على أن المهر لا بد أن يكون مالا ولا حجة فيه والإحصان العفة فإنها
تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني
فإنه الغرض منه فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فمن تمتعتم به من المنكوحات
أو فما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع فَرِيضَةً حال من الأجور بمعنى
مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ فيما يزاد على المسمى
أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل
نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي أنه

عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت
بوقت معلوم سمي بها إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها
بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا بالمصالح حَكِيمًا فيما شرع من الأحكام وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوْلًا غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ يعني الإماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي رضي الله
عنه في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح
الأمة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة رضي الله عنه طول المحصنات
بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم
المؤمنات على الأفضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات
ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر
على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاة
والمحذور في نكاح الأمة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان
حق الزوج وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم
بالسرائر وبتفاضل الإيمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح
الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ
أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم ٢ أن لهن أن يباشرن
العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أي
أدوا إليهن مهورهن بإذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره
أو إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لأنه عوض حقه

[illegible]

المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم صح

ما بينكم في الإيمان فرب أمة تفضل
الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل
صح

الإسلام فانكحوهن بإذن أهلهن
يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقا
لا إشعار له على صح

فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رحمه الله المهر للامة ذهابا الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفايف غير
مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر
فاذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون
بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما
على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه
لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاما لمن خشي العنت
منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر
مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش
القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاما وان تصبروا
خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاما متعففين خير لكم قال عليه السلم
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم
بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او
ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد
واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول
قيس بن سعد اردت لكيلا يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود
شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الخلق لاجله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا
طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم
عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله

عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد
والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان
اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون
الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا
بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له يريد الله ان يخفف عنكم
فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السهلة السمحة ورخص لكم في
المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن
الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس
وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا
يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله
بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض
غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه
التي بها يحل تناول مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروات
ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع
عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا

يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم
يريد الله ان يخفف عنكم ٤

الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم أي إلا أن
يكون التجارة أو الجهة تجارة **ولا تقتلوا أنفسكم** بالبخع كما يفعله
جهلة الهند أو بإلقاء النفس إلى التهلكة ويؤيده ما روي أن عمرو بن
العاص رضي الله عنه تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه
السلام أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يذللها ويرديها
فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم
فإن المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس و
المال الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل
النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه بقوله
إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته
عليكم معناه أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس
ونهيكم عنه **ومن يفعل ذلك** إشارة إلى القتل أو ما سبق من المحرمات
عدوانا وظلما إفراطا في التجاوز عن الحق وإتيانا بما لا يستحقه وقيل
أريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب
فسوف نصليه نارا ندخله إياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح
النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير
لله أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي **وكان ذلك على الله يسيرا**
لا عسر فيه ولا صارف عنه **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم** نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر
والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد
فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع

الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال
اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها
إلى سبع وقيل أراد هاهنا أنواع الشرك لقوله إن الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها
بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر
حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران فمن عن له أمران
منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر
عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر ولعل هذا
مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال ألا ترى أنه تعالى عاتب
نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذ
عليها **وندخلكم مدخلا كريما** الجنة وما وعد من الثواب أو إدخالا
مع كرامة وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان
والمصدر **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** من الأمور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة
إلى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وأنه
تشه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لأن تمني ما لم يقدر له
معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني
ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن** بيان لذلك أي لكل من الرجال والنساء فضل
ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد

والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث
وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم الله لكل منهم
على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له
واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله
من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا
الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرا حمزة والكسائي وسلوا الله
من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها وقبله السين واو
او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان
بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيتفضل عن علم وتبيان روي
ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو
وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها
ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا
وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك
ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج لا يتناولهم
الاولاد فان الاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه
محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم
موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رضي الله عنه
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط

وخبر

وخبر فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة
عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف
اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان
على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون
على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب
تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا والاستبداد بالفراق
وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان
سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت
زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد
الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن
في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء
امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله
اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق

عقدتهم ايمانكم [illegible] عاقدت ايمانكم حيث كان [illegible] ايمانكم

لهن او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت
مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته
وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة اي لا تباتوهن و
اضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء
والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه
اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم
ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان
يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء
وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق
الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين
الامر واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح
من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل
الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم

يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والاولى
الضرب مرتبة ينبغي ان يرتقى فيها

والاظهر

والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان
الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رحمه الله لهما ان يتخالعا
ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله
بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا
الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما او قيل
للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا
من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما
احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص والجار الجنب
البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عم الجيران ثلثة فجار له ثلث حق الجوار وحق
القرابة وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل
الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة
وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر
او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من
كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل

وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام

من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به احقاء بكل
ملامة وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح
الحرفين وهي لغة **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** من العلم احقاء بكل ملامة الغنى
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله
عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة
من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام **والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس** عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم
في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي
من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او
مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان **ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر** ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو
مكة وقيل المنافقون **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** تنبيه
على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه فحملهم على ذلك وزينه
لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه
الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان
في النار **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما
رزقهم الله** اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد

على الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي
بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه
على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا
فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية
الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة
وكان الله بهم عليما وعيد لهم **ان الله لا يظلم مثقال ذرة**
لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء
الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه **وان تك حسنة** وان يكن مثقال
الذرة حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث و
حذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع
حسنة بالرفع على كان التامة **يضاعفها** يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى **ويؤت من لدنه**
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل **اجرا عظيما** عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم
وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر
وتعظيم الشأن **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء شهيدا** تشهد على صدق
هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل
هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود**
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم
حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في
ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم
يخلقوا وكانوا هم والارض سواء **ولا يكتمون الله حديثا** ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان
يسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله
على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان
يسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال
سويته فتسوى **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى**
حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او
خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها
وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد
النهي عن الافراط في الشرب والسكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها
صفة الجماعة **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع

النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر و
المونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري سبيل**
متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي الا في السفر وذلك اذا لم
يجد الماء فيتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر
الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور
المسجد وبه قال الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه
لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق **حتى تغتسلوا**
غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي
ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه
وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء وان الواجد
له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه **او على سفر** لا تجدونه
فيه **او جاء احد منكم من الغائط** فاحدث بخروج الخارج من احد
السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض **او لامستم النساء**
او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل ابن عمر والنخعي والشافعي
رضي الله عنه على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة
والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه
هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية
له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره واستغنى عن تفصيل
احواله فصل حال المحدث وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا

اي في جميع الاحوال م

لعقد عن بيان حال المحدث بالماء وذكر اسبابه الذي ما يحدث بالذات او بالعرض م

مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم
يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد
شيء من التراب لقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من
بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا
التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روى انه عليه السلام تيمم
ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا
وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم
او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب
حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله
لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية
ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم
فاحذروهم وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم
فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتوكيد الاتصال
الاسنادى بالاتصال الاضافى من الذين هادوا بيان للذين اوتوا
نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة
لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته

يحرفون

يحرفون الكلم عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم
اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات
غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ
الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك
بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع
غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه
فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك وهو سب
كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب
حيث وضعوا راعنا المشابهة لما يتسابون به موضع انظرنا وغير
مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء
والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا فى الدين
استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان
قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك
لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن
خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اى
ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان
يراد بالقلة العدم لقوله قليلا ما تشكرون او الا قليلا منهم
آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا

مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها
من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام
المائلة وقد تطلق بمعنى الطلس وهو ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير
ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها
ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جات منه وهي اذرعات
الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال المراد بالوجوه الرؤسا
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع
عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او
نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب
السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب
الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء
وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد
مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طايفة
وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا
نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تومنوا ان الله لا
يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي
عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك
اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه و
احسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك

لمن

لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه
تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه
ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل
التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن
يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام
وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب والافتراء
كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى
الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عملناه بالنهار كفر عنا
بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى
عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون
تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد
ذمهم وزكى المرتضين من عباده المومنين واصل التزكية نفي ما يستقبح
فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق
فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم
انهم ابناء الله وازكياء وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا
لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت نزل في يهود كانوا
يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد وقيل

وقيل ناس من اليهود جاؤوا
فقالوا هل على هولاء ذنب قال لا قالوا
والله ما نحن الا كهيئتهم صح صح

في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة
يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم
اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل
في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون
للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين
آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او
غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون
لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذن
لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق
في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء
متفاقرين ويكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية يجوز ان
وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو او الفاء لا
لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا
على النصب ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله واصحابه
او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس
كلهم كمالهم ورشدهم ووبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل
وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من

فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم
فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب
والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله
مثل ما آتاهم فمنهم فمن اليهود من آمن به بمحمد وبما ذكر من حديث
آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه
فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره
فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم
ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير
لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد
بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق
ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم
ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية
المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده
حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار
ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل
صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين

فالامانات وان نزلت في يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق
باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له
السقاية والسدانة فامر الله ان يرده اليه فامر عليا رضي الله عنه بان
يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا **وَاِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** اى وان تحكموا بالانصاف
والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم
وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم **اِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ** اى نعم شيئا يعظكم به
او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة
به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات **اِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** باقوالكم واحكامكم وما تفعلون
في الامانات **يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَاُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ** يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج
فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم
بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء
الشرع لقوله تعالى وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَاِلَى اُولِي الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ **فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ** انتم واولوا الامر منكم **فِي شَيْءٍ**
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات
فَرُدُّوهُ فراجعوا فيه **اِلَى اللّٰهِ** الى كتابه **وَالرَّسُولِ** بالسؤال عنه

في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس و
قالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء
عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة
الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالرد اليهما
على وجه القياس **اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ** فان الايمان
يوجب ذلك **ذٰلِكَ** اى الرد **خَيْرٌ** لكم **وَاَحْسَنُ تَاْوِيلًا** عاقبة او احسن تاويلا
من تاويلكم بلا رد **اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا بِمَا اُنْزِلَ
اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ اَنْ يَتَحَاكَمُوا اِلَى الطَّاغُوتِ**
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه
قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال
نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ بسيفه ثم خرج فضرب عنق
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق
رضي الله عنه والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من
يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال **وَقَدْ اُمِرُوا اَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ
الشَّيْطَانُ اَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت
جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم **وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اِلَى مَا
اَنْزَلَ اللّٰهُ وَاِلَى الرَّسُولِ** وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل

ومثبت بالسنة

الى النبي عليه السلام ودعاه المنافق الى
كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول
الله فقضى لليهودي صح

غوت

اعتباطهم للامر لوا والتمثيل رايت المنافقين يصدون عنك
صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه
وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال
فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة
من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون
وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا و
توفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين
ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا
بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان
والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى
استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه
وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى السر
انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافى عن ذنوبهم والنصح
لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء
وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان
معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى
يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك
على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل

وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم
يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك
تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة
والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق
الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه
ان يشفع فى كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه
قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا
حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك
ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا
فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر
بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من
حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره ويسلموا تسليما
وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم
ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها
كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى
امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل
وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك
او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو ولا

تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما
اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم
الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا
حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب
ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب
على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم
ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم والآية ايضا نزلت في شان
المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي
بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن
عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب
لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا
لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال
عليه السلام من عمل ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك بما علم
مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بيان للذين انعم الله عليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب

منازلهم

منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم
وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي
النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى
اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها
ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم
في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم
العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او
واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا
مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا
فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان
يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم
شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن
اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا وفيه معنى التعجب
ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع
كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير
وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا
لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم
ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع

مع النبيين

او دخلت الجنة

مع النبيين وان كنت في منزلة دون منزلتك وان لم ادخل فذاك
حين لا اراك ابدا فنزلت **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من الاجر
ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومزيتهم **الفضل** صفته **من الله** خبره او الفضل خبر ومن الله حال
والعامل فيه معنى الاشارة **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه
او بمقادير الفضل واستحقاق اهله **يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم**
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر كالاثر وقيل ما يحذر به كالحزم
والسلاح **فانفروا** فاخرجوا الى الجهاد **ثبات** جماعات متفرقة
جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع
ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه **او انفروا جميعا** مجتمعين
كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها
وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات **وان
منكم لمن ليبطئن** الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من
بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم
احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء
دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم
بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان
منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال**
اي المبطئ **قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا** حاضرا فيصيبني
ما اصابهم **ولئن اصابكم فضل من الله** فتح وغنيمة **ليقولن** كأن لم

على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من **كأن لم
تكن بينكم وبينه مودة** اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو **يا ليتني كنت
معهم فافوز فوزا عظيما** للتنبيه على فرط ضعف عقيدتهم وان قولهم
هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال
او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه
من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد
حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل
بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها
لفظا ومعنى وكأن مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ
المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على
الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في
ذلك الوقت او العطف على كنت **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**
اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم **ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما** وعد له الاجر العظيم غلب او غلب
ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما
قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز
نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات
الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين **وما لكم لا تقاتلون** مبتدأ وخبر

في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله اي وفي سبيل الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم
عن الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير
وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال
والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا
بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم
الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا
في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء
وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب
دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي
وناصر ففتح مكة على نبيه صلوات الله عليه فتولاهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له
كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر
مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة

الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم
على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة
جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى
المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته
مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف
على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان
يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم
فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن
اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه
او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم
الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما
في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل على
اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف
فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم

بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت

حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة
والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله
وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما
قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها **قل كل**
من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون**
حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله **ما اصابك** يا انسان
من حسنة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من
الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام
ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا **وما اصابك**
من سيئة من بلية **فمن نفسك** لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي
وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة **وارسلناك**
للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق
بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز
نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام **وكفى بالله شهيدا**
على رسالتك بنصب المعجزات **من يطع الرسول فقد اطاع الله** لانه في الحقيقة

مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد
احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت **ومن تولى** عن طاعته **فما ارسلناك عليهم حفيظا**
تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وهو حال من الكاف **ويقولون** اذا امرتهم **طاعة** اي امرنا
طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات **فاذا برزوا من عندك** خرجوا **بيت طائفة منهم غير**
الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل
او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو
وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج **والله يكتب ما يبيتون**
يثبته في صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم
فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم **وتوكل على الله** في
الامور كلها سيما في شانهم **وكفى بالله وكيلا** يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم **افلا يتدبرون القرآن** يتاملون في معانيه ويتبصرون
ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء **ولو كان من عند غير الله**
ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار **لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**
من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا
وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة
للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل

عليه الاستقرار لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف** مما يوجب الامن او الخوف **اذاعوا به** افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث **ولو ردوه** ولو ردوا ذلك الخبر **الى الرسول والى اولي الامر منهم** الى رايه وراي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء **لعلمه** لعلم على اي وجه يذكر **الذين يستنبطونه منهم** يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** بارسال الرسول وانزال الكتاب **لاتبعتم الشيطان** بالكفر والضلال **الا قليلا** منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور **فقاتل في سبيل الله** ان تثبطوا وتركوك وحدك **لا تكلف الا نفسك** الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس

في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف احدا الا نفسك لقوله **وحرض المؤمنين** على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض **عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا** يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا **والله اشد بأسا** من قريش **واشد تنكيلا** تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه **من يشفع شفاعة حسنة** راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك **يكن له نصيب منها** وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها **ومن يشفع شفاعة سيئة** يريد بها محرما **يكن له كفل منها** نصيب من وزرها مساو لها في القدر **وكان الله على كل شيء مقيتا** مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها** الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله فقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب

هي السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد
بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن
وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم
قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب
الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل
شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر
او الله خبر مبتدا وخبره ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله
ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او في يوم القيامة
والقيامة والقيام كالطلاب والطلابة وهي
قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع
فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا
انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره
بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم
تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان
ناسا منهم استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم
رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما

وفي المنافقين حال من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم
الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء
مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون
معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب
التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا
توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة
او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر
الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا
تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون
فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل
بنو بكر بن زيد بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم
كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامورين قتلهم من ترك المحاربين
فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال
لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه

صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف **حصرت صدورهم** حال
بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرةً صدورهم وحصرات أو بيان لجاؤوكم
وقيل صفة محذوف أي جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم وهم بنو مدلج
جاؤوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض **أن يقاتلوكم**
أو يقاتلوا قومهم أي عن أن أو لأن أو كراهة أن يقاتلوكم **ولو شاء الله**
لسلطهم عليكم بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم
فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم** فإن لم يتعرضوا لكم
وألقوا إليكم السلم الاستسلام أو الانقياد **فما جعل الله لكم عليهم**
سبيلا فما أذن لكم في قتلهم وأخذهم **ستجدون آخرين يريدون أن**
يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة
وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا **كلما ردوا إلى**
الفتنة دعوا إلى الكفر أو إلى قتال المسلمين **أركسوا فيها** عادوا إليها
وقلبوا فيها أقبح قلب **فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم** ولم ينبذوا
إليكم العهد **ويكفوا أيديهم** عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث**
ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض **وأولئكم**
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي
لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا
لكم في قتلهم **وما كان لمؤمن** وما صح له وليس من شأنه **أن يقتل مؤمنا**
بغير حق **إلا خطأ** فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله
في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه
صفة مصدر محذوف أي إلا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي

والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه
القصد إلى الفعل أو الشخص وما لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد
به محظور كرمي المسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه أو يكون فعل غير
المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في
عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد في طريق و
كان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير**
رقبة أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر كالعتيق
للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن الكرم في
الأحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس **مؤمنة** محكوم
بإسلامها وإن كانت صغيرة **ودية مسلمة إلى أهله** مؤداة إلى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها
وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال وإن لم يكن ففي ماله **إلا أن**
يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة
أي تجب الدية عليه أو يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه أو زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف **فإن كان من قوم**
عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة أي إن كان المؤمن المقتول من
قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون
الدية لأهله إذ لا وراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون **وإن كان من قوم**
بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من

كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله
فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة
بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه
او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة
من تاب الله عليه اذا قبل صياما وشهرين ذا توبة من الله وكان الله عليما
بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد
العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار
لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده
انه نزل في مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل
على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل
متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا
ضربتم في سبيل الله فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه
وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر
وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا
لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح [illegible] الامان
تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد
وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت

توبته او على المصدر اى وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه

فعند الله

فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم
من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت
بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله
عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا
بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل
امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم امر المسلم وترتيب الحكم على ما ذكر من
حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه
فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى
الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر
ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق
غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال
لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن
الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي
فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم
باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او
الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت
رضي الله عنه انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم
وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت

فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته
تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة
عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق
ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى
التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من
القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن
عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر
لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر
كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة و
مغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ
فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم
في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة
وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن
لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار

والاخرون

والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم
ان الذين توفاهم الملائكة يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة
وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء
فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او
الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها
مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب
الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت
له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره
والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به
الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم
اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم
ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة
الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة السبيل

فيم كنتم اي الملائكة توبيخا لهم في اي
شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا عما وبخوا به بضعفهم
وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين
واعلاء كلمته قالوا ٢

بنفسه او بدليل فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ
العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن
ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا
من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد
وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب
متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت
في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم
اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات وإذا ضربتم في الأرض سافرتم
فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج
فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر
وان عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه
ابو حنيفة رحمة الله عليه لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام
غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان
صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز

ساترك منزلي لبني تميم
والحق بالحجاز فاستريحا

الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم ألفوا الاربع فكان مظنة لان
يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصور ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا
على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه
اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى
قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا
إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت
ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه
ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم
الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة
وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده فانهم
نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فليقم احداهما معك يصلون ويقوم الطائفة الاخرى تجاه
العدو وليأخذوا أسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة
الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فإذا سجدوا يعني المصلين
فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه
فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا لاشتغالهم
بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة
مرة كما فعله عليه السلام ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت

الصلوة ركعتين وكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم
منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية
ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف
بازاء العدو وتاتي الاخرى فيصلي بهم ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه
العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان
ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون
الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم
عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد المؤمنين بالنصر
على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم
وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر
فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة فاذا اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلوة
واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا
مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا

الصلوة فعدلوا واحفظوا اداءها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها
عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها
واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان
بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يصلي المحارب حتى
يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير
مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب
ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ
ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون
تعليلا للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
بمصالحكم ونياتكم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من
جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه
وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن
صاحبهم وقالوا انه ان لم يفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى به

اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به إن الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حيث شهدوا على برائته وخاصموا عنه إن الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما

اى الجمهور والاثم

حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول وجمعه للتعظيم اوله ولامته فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همتهم بل الى نفي تأثيرها فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شئ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله واذ هم نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة في نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من

قال واذ هم نجوى او ناجيهم فيه الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اى ح

فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها
على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه
بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في
شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد
او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه
وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من
صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه
تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين
وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني
باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا
الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير
سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم
وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد او
لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك
في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ
من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا
واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها

متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني
على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث
اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عني
القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها
بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن
حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط
حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى
كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث
ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو
لضمتها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا
لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له
والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح
ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن
سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون
به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان
الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان
وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق

بشي من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني
انه ملعون للضلالة فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن
والثالث انه في غاية العداوة لانه يسعى في اهلاككم وموالاة من هذا
شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا
مقدرا وهو من يتبعه من فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم
الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما
كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص
كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه
صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد
والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير
فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس
كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن
الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره
ما يدعوه اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد
خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار
يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو
اظهار النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه
اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل

مصدرا

مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره
ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد
الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة
في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها
المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان
المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل
الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني
المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء
لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي
انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال هو

فقال اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو

ذلك **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** ولا يجد لنفسه اذا جاوز
موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه **ومن يعمل**
من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس
مكلفا بها **من ذكر او انثى** في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء
وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها
على انه لا اعتداد به دونه **فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون**
نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان
لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر
على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون
الجنة هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء
وضم الخاء **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله** اخلص نفسه لله
لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام
تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية **وهو محسن**
آت بالحسنات تارك للسيئات **واتبع ملة ابراهيم** الموافقة لدين
الاسلام المتفق على صحتها **حنيفا** مائلا عن سائر الاديان وهو حال
من المتبع او الملة او ابراهيم **واتخذ الله ابراهيم خليلا** اصطفاه
وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره
ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه
ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في

الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال
البشر روي ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن
يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء
لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته
عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا
لكم فقالت من عند خليلك المصري فقال بل هو من عند خليلي الله عز وجل
فسماه الله خليلا **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا وملكا يختار
منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب
طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على
الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا** احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم
فيجازيهم على خيرها وشرها **ويستفتونك في النساء** في ميراثهن
اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا
نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك
امرت **قل الله يفتيكم فيهن** يبين لكم حكمهن والافتاء تبيين المبهم
وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن
في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من نحو قوله يوصيكم الله ويحرم اعتبارين مختلفين ونظيره اغناني

زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم
مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب
على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل
واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن
لاختلاله لفظا ومعنى **في يتامى النساء** صلة يتلى ان عطف الموصول
على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى
ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه
وقرئ ييامى على انه أيامى فقلبت همزته ياء **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن** اي فرض لهن من الميراث **وترغبون ان تنكحوهن** في ان
تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن
ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن
والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة
اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها **والمستضعفين
من الولدان** عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون
النساء **وان تقوموا لليتامى بالقسط** ايضا عطف عليه اي ويفتيكم
او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته
بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا
باضمار فعل اي يأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم
ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم **وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما** وعد لمن آثر الخير في ذلك **وان امرأة خافت**

عطف

من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره
الظاهر **نشوزا** تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها
ومنعا لحقوقها **او اعراضا** بان يقل مجالستها ومحادثتها **فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا** ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر
او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح
بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما
او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح **والصلح خير**
من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل
بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا
قوله **واحضرت الانفس الشح** ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول
للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار
الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض
عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما
ينبغي اذا كرهها او احب غيرها **وان تحسنوا** في العشرة **وتتقوا** النشوز
والاعراض ونقص الحق **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان و
الخصومة **خبيرا** عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما
باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط
اقامة السبب مقام المسبب **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء**
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان الرسول صلى
الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا

تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه
فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان
ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات
بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل
مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم
تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من الزمان فان الله كان
غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان
يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن
الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما
مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض
تنبيه على كمال قدرته وسعته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن
متعلقة بوصينا او باوتوا وساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص وإياكم
عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان
مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله
مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في
السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان
جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع

الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله
يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان
يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم
او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك قديرا بليغ القدرة لا يعجزه
مراده وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل
هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان
وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد للغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما
فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه
كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده لقوله من كان
يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه
الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على
انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على
غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى
المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا
عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما
بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا

لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما
دل عليه المذكور وهو جنسا الفقير والغني لا اليه والا لوحد ويشهد
عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق
او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق
او كراهة ان تعدلوا عن الحق العدل او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو وعاصم والكسائي وان تلووا باسكان اللام بعدها واوان
الاولى مضمومة والثانية ساكنة بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او
تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او بكتابك وموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل
على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك
وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما
يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول
القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل
بفتح الهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه
ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل
ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا
بمحمد عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر
وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا

وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا

او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام
واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك و

اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضريت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف يتعلق
به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر
وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد
الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع
بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون
بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة
لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم
بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ غير عاصم
نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة
والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء
بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا
معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله
واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة
المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم
لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم
بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا

منافقين ويكونوا عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم
جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين
الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته
الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون
وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله
قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان
للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم
اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت
على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت
به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر
المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على
امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا و
المراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم
والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي
ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اول سورة البقرة واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح

نصيب م

وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة
بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله
وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل
الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل
بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها
فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال
من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر
من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ
بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل
بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة
في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى
المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك
لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين
واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم

انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن
باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر
والسطر والتحريك اوجه لانه جمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه
الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم
في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا
يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين من عدادهم في الدارين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب
به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره
لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر
ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة
اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله
شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجزء السادس
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم
منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت
وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم
يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما
بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او
تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر

العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو
حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتقام حملا على مكارم
الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة
اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم
فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل
في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم
الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر
مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا
كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم
ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث
انه وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم
وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان
تأخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود
قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل
كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه

حين ينزل او كتابا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر
من ذلك جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد
سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم
لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم والمعنى ان عرقهم راسخ
فى ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية
مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية
الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز
حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور
مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت على لسان داود ويحتمل ان
يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن
كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود وقرا ورش عن نافع لا تعدّوا
على ان الاصل لا تعتدوا فادغمت التاء فى الدال وقرا قالون باخفاء حركة
العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان واخذنا منهم ميثاقا
غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اى
فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيد للتاكيد و

وخيا لانهم م

والبا متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات
فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل
عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره
وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما فى كتابهم وقتلهم الانبياء بغير
حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه
بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التمكن
من التدبر فى الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله
بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف
على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف
مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى
ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعنى
نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اى
بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال
لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج
ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس

هذا وما عطف عليه ع
مجموع م

اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن
انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في
زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم
قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن
ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان
ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك
الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد
آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى
ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء
منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين
وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد
قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك
فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله
عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب

كذاك خ

تبالغ خ

الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به
فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني
والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان
عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه
ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان
احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان
به قبل ان يضطر اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه
ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل
الكتاب الا يؤمن به حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويقع
الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم
من الذين هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن
سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا
عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة
النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب
وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه

والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب
على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك
والمراد بهم الانبيا اي يؤمنون بالكتب والانبيا وقرئ بالرفع عطفا
على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك
سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبيا والكتب
وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم
اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرا حمزة
سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا
من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبيا واوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم
تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين
اشرف الانبيا ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرا حمزة زبورا
بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا
اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل
هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى عليه السلام من بينهم
وقد فضل الله محمدا عليه الصلوة والسلام بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد

منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا
صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا
ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان
بعثة الانبيا الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او
بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله
والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة
وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص
كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما
قبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء
واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله
يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من
القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو
العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة
ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس
في معاشهم ومعادهم على الاولين حال وعلى الثالث حال عن المفعول
والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه
تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني
عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان

فالجار والمجرور

عن الفاعل

الى العلم باشال ذلك سوى الفكر والنظر فلو انّ هؤلاء نظروا النظر الصحيح
لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها
وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن
الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا
وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم
او باعم من ذلك الآية ويدل عليه انّ الكفار مخاطبون بالفروع اذ
المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق
ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال
مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل
الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام
الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اى
ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن
الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه
الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجزائه وان تكفروا
فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فان الله غنى عنكم
لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما

باحوالهم

باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود فى حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة
والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه
اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة و
الولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط
ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات
او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اى الآلهة ثلاثة الله
والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى
وامى الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة
اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن
العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه
نصبه كما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه
بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه
يكون لمن يماثل ويتطرق اليه الفناء له ما فى السموات وما فى الارض ملكا
وخلقا لا يماثله شىء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه
على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه
قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن
يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا
يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته
شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان

ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال
ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شى اقول قالوا تقول انه عبد الله قال
انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت **ولا الملايكة المقربون**
عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملايكة ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم
فضل الملايكة على الانبيا وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح
عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة
منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه
ان الاية للرد على عبدة المسيح والملايكة فلا يتجه ذلك وان سلم
اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار
التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس
وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملايكة وهم
الكروبيون حول العرش ومن اعلى منهم رتبة من الملايكة على المسيح
من الانبيا وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع
فيه **ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر** ويرتفع عنها والاستكبار
دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق
بخلاف التكبير فانه قد يكون باستحقاق **فسيحشرهم اليه جميعا**
فيجازيهم **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** تفصيل
للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او فيجازيهم فان اثابة مقابليهم

المقربون م

والاعمال

تم سورة نساء

والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة **يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا** عنى بالبرهان المعجزات
وبالنور القران اى جاءكم دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر
ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله صلى الله عليه وسلم او القران
فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ثواب
قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضا لحق واجب **وفضل** احسان
زايد عليه **ويهديهم اليه** الى الله وقيل الى الموعود **صراطا مستقيما** هو
الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الاخرة **يستفتونك** اى
فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روى ان جابر بن عبد الله كان
مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع
فى مالى فنزلت وهى اخر ما نزلت فى الاحكام **قل الله يفتيكم فى
الكلالة** سبق تفسيرها فى اول السورة **ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك** ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس
له صفة له او حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال و
العطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها
عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت
مع البنت عند عامة العلما غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف **وهو
يرثها** اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس **ان لم يكن لها
ولد** ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به
الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير
الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب

وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان قرب بالميت فإن كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته
محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم
باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا إخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين اصله وان كانوا اخوة
واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم أن تضلوا اي يبين لكم ضلالكم
الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف
لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم وهو عالم بمصالح العباد
في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى
محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفا هو القيام بمقتضى العهد
وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال والمراد
المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من
التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها
مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل
كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة

عقدوا

شدوا العناج وشدوا
فوقه

من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب
واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم الا محرم ما
يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه
غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل
استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وأنتم حرم
حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم
ما يريد من تحليل وتحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني
مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال
الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله
ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر
الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع
هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها
على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي
عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى
ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل
او لحاء شجر وغيرهما ليعلم انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت
الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان
يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست
صفة لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته
استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون

جمع جدية كجدي في جمع جدية

من ربهم بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام
القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه
كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة
وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين **واذا**
حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم
من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر
على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو
ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل **ولا يجرمنكم** لا يحملنكم
او لا يكسبنكم **شنآن قوم** شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف
الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم
بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر **ان صدوكم عن المسجد الحرام** لان صدوكم عام الحديبية
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه
لا يجرمنكم **ان تعتدوا** بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى
الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا
من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين **ولا تعاونوا على الاثم**
والعدوان للتشفي والانتقام **واتقوا الله ان الله شديد العقاب**
فانتقامه اشد **حرمت عليكم الميتة** بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير تذكية **والدم** اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها **ولحم الخنزير وما**
اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى

عطف القادم وقرئ

وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى

عند

عند ذبحه **والمنخنقة** التي ماتت بالخنق **والموقوذة** المضروبة بنحو خشب
او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته **والمتردية** التي تردت من
علو او في بئر فماتت **والنطيحة** التي نطحتها اخرى فماتت والتاء
فيها للنقل **وما اكل السبع** **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم ذكاته وفيه
حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة
في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد **وما ذبح على النصب** النصب واحد
الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح
مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب **وان تستقسموا**
بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا
فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخرى
نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج
الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام
الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم
كصرد **ذلكم فسق** اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول
في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله
ان اريد بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم
لتناوله ما حرم عليهم **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما
اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في حجة الوداع **يئس الذين كفروا**

اى وما اكل منه السبع فمات وهو بدل
على انه خبر الضبع اذا اكل ما اصطاده الجوارح

دينكم او من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها
او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون
واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار
على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول
الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام
واخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر
متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان
تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة
غير متجانف لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد
الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله
يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد
سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شايع في امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم
كانهم لما تلي عليهم ما حرم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات
ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرمت مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية
ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح

ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر
فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم سلط عليه
كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم
تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق
التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة
منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه و
انزجاره بزجره وانصرافه بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه
فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن
حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر
الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى
هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا
عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب
اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا
على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك
وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل
الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا
عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات
من المؤمنات الحراير او العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى

والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإن كن حربيات وقال
ابن عباس لا تحل الحربيات إذا آتيتموهن أجورهن مهورهن وتقييد
الحل بإتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائها
التزامها محصنين أعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا
ولا متخذي أخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى
ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر إنكاره والامتناع عنه يا أيها
الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة أي إذا أردتم القيام كقوله فإذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبيه
على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن
الإرادة أو إذا قصدتم الصلاة لأن التوجه إلى الشيء والقيام إليه قصد
له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثا
والإجماع على خلافه لما روي أنه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم
الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل
مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة محدثين وقيل الأمر
فيه للندب وقيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله
عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم أمروا الماء عليها ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك
وأيديكم إلى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل إلى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم أو متعلقة بمحذوف
تقديره وأيديكم مضافة إلى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا

لذكره

لذكره مزيد فائدة لأن مطلق اليد يشتمل عليها وقيل إلى تفيد الغاية
مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما
يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكانت الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها
احتياطا وقيل إلى من حيث إنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا لم تكن
غاية لقوله فنظرة إلى ميسرة وقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل لكن لما
لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطا وامسحوا
برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل
وبالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق
فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف
ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فأوجب الشافعي رضي الله عنه أقل ما يقع عليه الاسم
أخذا باليقين وأبو حنيفة رضي الله عنه مسح ربع الرأس لأنه عليه السلام مسح على ناصيته وهو
قريب من الربع ومالك رحمه الله مسح كله أخذا بالاحتياط وأرجلكم
إلى الكعبين نصبه نافع وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب عطفا
على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة
والتحديد إذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن
والشعر كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي
وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على أنه
ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليهما ويغسلا غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين أخواته إيماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم
مغسولة وإن كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا

سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل
تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم
ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير
للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد
في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان
يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان
يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم
عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة
امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير
محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر
وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما
تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به
اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر
واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان
واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور
اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين

ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم و
مكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في
الدين او ليتم برخصه انعامه
صح

امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم
شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم
اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر
بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه
مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع
المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به
وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة
الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر
عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه
استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول
وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال
الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين
راوا رسول الله واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله
كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة
الى ما روي انه عليه السلم اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم

للدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا
نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا
بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك
الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي
فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده
واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم
أيديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه
لسانه اذا شتمه فكف أيديهم عنكم بالقتل والاهلاك يقال بسط
منعها ان يمدّ اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد أخذ الله ميثاق
بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن
احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفا بما امروا به روي
ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا
ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم
دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى
ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفا بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق و
اختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا
فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون

من سبط افرايم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن أقمتم الصلوة وآتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم واصله الذب و
منه التعزير وأقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا
يحتمل المصدر والمفعول لأكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه
باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها
الأنهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد
العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي
قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي
اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف السين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز
ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير فيه ونسوا حظا
وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى
انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه
انهم حرفوها زلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود
قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى
ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم

الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من
قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا
او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن
الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا
نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا
من الذين قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء
لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق
به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم بينهم
نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم في التورية وبشارة
باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه
امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلم يهدي به الله وحد
الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في حكم الواحد من اتبع رضوانه من
اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب
او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام

باذنه

باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب
الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن حيث زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك
من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم
وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان
كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة
في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات ويبتلي الم
والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير
من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوا او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او
مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد
بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه
وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار والمسخ
اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم
من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم

معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما
كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه
والمسيء باسائته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين
وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال و
انقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير
متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على بما جاءنا
الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلم اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلم كان بينهما
ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد
من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث عليهم اليهم
حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم
يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل
منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى
وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم
مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما آتاهم وقيل
المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض

بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل
الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام
التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن
ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا
على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم
من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى
فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف
والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين
لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو
الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب
ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من
الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع
الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان
قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا
من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله
عليهما بالايمان والتثبيت وهي صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق
من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما

بذلك من اخبار موسى ورفق لكن ابى كلم او بما علما من عادته تعالى
في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا
يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا
فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا
هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة
بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران
وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان
يراد باخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا
على نفسي وعلى اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان
واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا
وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون
او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين
سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا
غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان
موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
ثم قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره
بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل

وانما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قالوا انا لن ندخلها
بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين
سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث
ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من الشمس وعمود من النور
يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر
الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه
الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما
ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد
ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس
على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم
احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله
تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل
لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها
فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل غضبا وفعل
ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل
ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة
ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق
موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل
على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان
اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى

يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل
واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردى قمح عنده
وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا **فتقبل من احدهما ولم يتقبل**
من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس
ما عنده **قال لاقتلنك** توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه
ولذلك **قال انما يتقبل الله من المتقين** في جوابه اي انما اتيت من قبل
نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد
ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود
محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط**
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل
اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح
بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري
عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه
ولذلك اكد النفي بالباء **اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من**
اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة
والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك
يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم
يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك
وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله

لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان
لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا
ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب
العاصي جائزة **فطوعت له نفسه قتل اخيه** فسهلته له ووسعته من
طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل وعلى ان قتل
اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه وطاوعته وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله **فقتله فاصبح من الخاسرين** دينا ودنيا اذ بقي
مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند
عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم **فبعث الله غرابا**
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه
لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من
الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده
الميت فانه مما يستقبح ان يرى **قال يا ويلتى** كلمة جزع وتحسر والالف
فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل
والويلة الهلكة **أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة**
اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس
جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت واريت وقرئ بالسكون
على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا **فاصبح من النادمين**
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او ما

لو عجزت لواريت

على ما قتل وتهيؤ للعذاب واسوداد لونه وتبرا ابويه منه اذ روى انه لما
قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرا عنه ومكث بعد ذلك
مائة سنة لا يضحك وعلم الظعن مما فعله من اجله من اجل ذلك
كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر اجل
شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته
اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا
بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد فى الارض اى بغير الاقتصاص
فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل
الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع
عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس
جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياؤها فى القلوب ترهيبا
عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون اى بعد ما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل
بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير
منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها
والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر انما جزاء الذين يحاربون الله

ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية
وان كانت فى مصر ويسعون فى الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه
على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون فى الارض
فسادا ان يقتلوا اى من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اى قصاصا
يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل
ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا
المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث
لا يتمكنوا من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى
بالحبس واو فى الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين
هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ذلك لهم خزى فى الدنيا ذل وفضيحة
ولهم فى الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه
قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط
بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها
بعد القدرة لا يسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية فى قطاع
المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اى ما تتوسلون به
الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا
اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وجاهدوا فى سبيله

اعوانه حی

بمحاربة الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم
القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم
ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه الاشارة في
نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل
منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم
وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه
وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم
عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما
يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة
عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي
سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع
خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع
اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام
القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت
فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان
ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى
كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام
العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على

مجری ا

انه الربع لانه عليه السلم اتي بسارق فامر فقطع يمينه منه جزاء بما كسبا
نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا
والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح
امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع
فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان
الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل واحد يعذب
من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب
على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان
المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه
فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من
المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف
ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر
محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان
يكون مبتدأ وخبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما
مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار
او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه
سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك
وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تك

ومن الذين

اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون لتكذبوا
لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه
التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله
على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة
لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او فى موضع الرفع
خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة
وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة
ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان امركم بالجلد والتحميم
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر
لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا
عليه فقال خفت ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته
او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص
على فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف من
المؤمنين ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والضمير للذين
هادوا ان استانف بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره
للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه

يسحت البركة

اللغة

يسحت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب فى المواضع
بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرى بفتح السين على لفظ المصدر
فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم الكتابيان الى
القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان
المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم
والاية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امر الله به
ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك
وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به
والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على
انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما
يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله بزعمهم وفيها حكم الله حال من
التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه
وتانيثها لكونها نظير الموث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم
يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد
التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين
بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا
التورية فيها هدى يهدى الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام
يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا

شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا قبلنا
صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود
وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل
او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم
والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه
من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه
كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا
غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا
تشتروا بآياتى ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها ثمنا قليلا هو
الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك
هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه
وظلمهم بالحكم على خلافه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث
باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة
كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون
فى النصارى وكتبنا عليهم فرضنا على اليهود فيها فى التورية ان
النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائى على انها
جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس

بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول
او استئنافه ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع او مقطوع
بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع
منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول
عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وموافقه والجروح
قصاص اى ذات قصاص وقرا الكسائى ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن
عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص
اى فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به
ذنوبه وقيل للجانى يسقط عنه ما لزمه وقرى فهو كفارته له اى
فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شى ومن
لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون و
قفينا على آثارهم اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة
الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم مفعول ثان
عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه
الانجيل وروى بفتح الهمزة فيه هدى ونور فى موضع النصب
بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى
وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او
تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه فى قراءة
حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم وقرى وان ليحكم
على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اى وامرنا بان يحكم ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان

وقرا نافع والاذن بالاذن وفى اذنيه باسكان الذال حيث وقع

للنبيين

كان مستهيناً به والآية تدل على ان الانجيل مشتملا على الاحكام وان اليهودية
منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على
وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر
وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب
من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا
عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ عن التحريف والحافظ
له هو الله تعالى والحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل
اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع
اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة
وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة
الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج
الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو
شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع
الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل
المعنى ولو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها
مذعنين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون
فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة
لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه

انها معتقدين صح

تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل
والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى
انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز
ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته
بدل من هم بدل الاشتمال اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة
ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا
نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا
عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفى
دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
وان كثيرا من الناس لفاسقون المتمردون فى الكفر المعتدون
فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد
بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة
والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل
بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف
يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون

حذفه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك غير الشعر
وقرئ افحكم الجاهلية اى صح

بالنا على ظلمهم الحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على مضادكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المومنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقين على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك

فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه

فى امر الرسول انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو وعلى انه جواب قائل يقول فماذا يقول المومنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المومنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونه معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذا فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة

بحبوط اعمالهم

رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك
فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله
الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم واحسن
اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم
قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن
نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة قوم الاشعث وكندة قوم
ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده
وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى
ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على
عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان
من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع
الى من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد
ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة
العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين
عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما
لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على
المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين
عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة

عطف على يجاهدون
اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم
بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش
المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه يعملون
لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء
يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفار ذكر عقيبه من هو حقيق
بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة
ولرسوله والمؤمنين على التبعية الذين يقيمون الصلوة ويؤتون المؤمنين
الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز
نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم
وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم
في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في علي رضي الله
عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل
بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق
للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف
الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في
مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم

الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه
قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم
وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بأنه
حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث
اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن
موالاتهم على اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من
هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب
والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار
وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه
عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا
سواء من كان على دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب
ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان
الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم
الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل
على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقه واهله ذلك
بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل
يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون

يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف
وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب
المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى
لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا
الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم
فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله
وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا
ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون
اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف
والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به
فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين
سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي
من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير
كالعقوبة بالشر فوضعت هنا موضعها على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع
ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله
او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم
اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي
بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير
وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم

قردة وبعضهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عُبِد
الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُد بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عَبُد
على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على جمع كخدم او ان
اصله عبدة فحذفت التا للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت
بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت بضم البا وجر التا والباقون
بفتح البا ونصب التا اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا وأضل عن سواء
السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي
التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال
وإذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من
عندك كما دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح
ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت
لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله أعلم بما كانوا
يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود
والمنافقين يسارعون في الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم
الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص
بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم وأكلهم السحت اى الحرام خصه
بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت تحضيض لعلمائهم

العجل وقيل الكهنة وكل من اطاع في معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت

لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا لتقريب الماضي

على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل
على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس
ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو
وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة
المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار فكان
جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق
وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل
او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين
بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت
لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل
والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في
الدنيا ومسحبين الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ
وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد
مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي
من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اى هو مختار في
انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر
ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما
لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله

تدرب في

عليها

عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما
انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون
طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول
الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم
لما خالفوا احكام التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم
فطوس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون فى الارض فسادا
اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك
المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل
الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه
لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم
ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة ما لم يسلم
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما
وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث
انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم

وكيناس فطوس

قسطوس ملك الروم

بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او من فوقهم
الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط
على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو انهم آمنوا واتقوا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير
الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل متوسطة فى عداوته وكثير منهم ساء ما
يعملون اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم
وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب
احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى
منها كترك بعض اركان الصلاة وان غرض الدعوة ينتقض به فكانك
ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض
والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر
رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله
بعصمة روحه من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدى
القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس
فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل
المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه
فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شىء

يعنى ان الله ربما لا امر منفصل بها لازما لا عليه
ان لم تبلغ رسالاتى فعلت ذلك وعن ... العصمة ...
وعن النبى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية بأسرها آمرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب
الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق
بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فانى
وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق وهو
كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والرأى مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ
من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع
عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه
يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع
بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا

خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اى من منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين
وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال
الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا
ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم
وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من
الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط
والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل
عليه ذلك وهو استئناف وانما جئ يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا
ومحافظة على رؤس الآى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل
ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائى ويعقوب لا يكون بالرفع على ان هى المخففة من الثقيلة واصله
انه لا يكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم
لتمكنه فى قلوبهم وان او ان بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن
الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل
ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى
وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم قليل واللغة
الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعله والواو علامة الجمع
كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدا محذوف اى العمى والصمم كثير منهم
وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع والله

بصير بما يعملون فجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي
اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين
ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم
احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق ويحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله
تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك
ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة
اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم
الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله
واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات
الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق
وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضع
موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام
على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله و
يستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير و
التهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام
تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو

الا رسول كالرسل قبله خصه الله بالآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده
فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب من ذلك وان
خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة
كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او تصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه
لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على
نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة
الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة
فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن
استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه
من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به
من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي
القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة
تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان
التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد
فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او
تضعوه فتدعوا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا

قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم وأضلوا كثيرا شايعهم على بدعهم
وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد
مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل
والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من
بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله في الزبور والانجيل
على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة
واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا
خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع
المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن منكر
ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى
عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم
ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس
شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد
نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن
كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن
اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف

او عن منكر فعلوه

اليهود

كفرهم

كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن
التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة
حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه
او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف
على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى
قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع
الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها مما
عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض
فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون
ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه
الحق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط
مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن
حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اى اى شيء حصل لنا
غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان
الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن

لخير

او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى
مقيدًا بها او نؤمن فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اى عن اعتقاد من قولك هذا
قول فلان اى معتقده جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ
ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان
فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين
معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن
فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلثين او سبعين رجلا
من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأ ثم دعا جعفر بن ابى
طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ عطف التكذيب بآيات
الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
فى معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما
قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه
النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم فيكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على

الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا اكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى
فليس منى فنزلت وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا اى كلوا ما حل وطاب مما
رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة
ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعول كلوا
ومما حالا لاسم الموصول والعائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه
لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ هو ما يبدو من المرء بلا
قصد كقول الرجل لا والله بلى والله واليه ذهب الشافعى رضى الله عنه وقيل الحلف
على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى
وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل
بمعنى فعل فَكَفَّارَتُهُ فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره
على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام
من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير
إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ من اقصده فى النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام
واهلون كارضون وقرى اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال
الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل

جمع اهلاة أو كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي
ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ
بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا كان او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم
الاوسط والكاف في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم أو تحرير
رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة
القتل ومعنى او ايجاب احدى الثلث الخصال مطلقا وتخيير المكلف
في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام
فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة
ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم ترو
سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم
وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر
او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا
حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه
لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا
التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيره
في اول السورة رجس قذر يعاف عنه العقول وافرده لانه خبر
للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي
الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب

يعاف عنه العقول

عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما
وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان
تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد
الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان
يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام
للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلم شارب الخمر
كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار
بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه
وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم
من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في
المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله
واطيعوا الرسول واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول
بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على
الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم
اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على
الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا
بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا

الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزلت تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار
الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس
وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى
ما قاله عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى
او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة **والله يحب المحسنين** فلا يؤاخذهم بشيء و
فيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا **يا ايها الذين
امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم** نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من
صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير
في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء
ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر
لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم
وظهوره او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك** بعد ذلك الابتلاء بالصيد
فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه في مثل ذلك
ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه
يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام

كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام
خمس يقتلن في الحل والحرام الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب
العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز
قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح
المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها
الغاصب **ومن قتله منكم متعمدا** ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه
قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد
والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان
الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت **فجزاء مثل ما قتل من النعم** برفع
الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء مماثل
ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته
وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول او اقحام مثل كما في قولهم مثلي
لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه
المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي
حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي
ما قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر وصاعا
من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام

والصوم والنعت للاول اوفى يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون
حالا من ضميره في خبر او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر
لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة و
الهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس
او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل
من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا
لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به
ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف
على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان
او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام
بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر
بالطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل
مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن كل
مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو
ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما
تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام
او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد
على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف
من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل
هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه

احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله صلى
الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا
السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل
الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم نصب على الغرض اي تمتيعا لكم وللسيارة اي ولسيارتكم
يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم
ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلى الله عليه وسلم
لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من
دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة
لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا
لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح
فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن
عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال
والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر
من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع
وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا
ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه و
لمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن اقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال

وجدها رغب به في صالح الاعمال وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث وان كثر و
اثروا الطيب فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل
خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي فاتقوا الله في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا
الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا
مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر
لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء
اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان
اصله شيّء كهيّن او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرد
منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي
انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ما استطعتم فاتركوني
ما تركتكم فنزلت او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم
فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي يا رسول الله فقال في النار وقال آخر من ابي
قال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك
لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف
الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها
حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها
ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول
ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة
انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها
فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء
ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو بحيرة
ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه
واكثرهم لا يعقلون اي الحرام من الحلال والمبيح من المحرم اوالامر ولكنهم يقلدون كبارهم
وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان
يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال
اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم
انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم
اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ
بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن
الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا واستطاع ان يغيره
بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون
يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا
يضركم يحتمل الرفع على الاستئناف ويؤيده انه قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون

بحيره بشتري گفتندي كه پنج بار زادي گوشش شكافتندي ورها كردندي

واسهما [illegible]

وعد و وعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين
آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد بالوصية
او الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادةٌ بالنصب والتنوين على ليقم
اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية
بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان
فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم
او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر
الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلمين لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم
فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما
تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او
آخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر
كما فى السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما
من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملئكة الليل وملئكة النهار
وقيل اى صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشترى به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم
او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا لاجل الطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم
له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى
امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتداء الله بالمد على حذف حرف القسم و
تعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين
اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها
فان عثر اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران شاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم الورثة و

قرا

قرا حفص استحق على بناء الفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره
آخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين
على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية و
انتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق
من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن
الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين
ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى
اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب
اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران
من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصى باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن
بدى خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان
مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهم بنو سهم فى
ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان
وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد

ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما علموها من غير تحريف وخيانة فيها
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعيين بعد ايمانهم فيفتضحوا
لظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود واتقوا الله و
اسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم
تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى الجنة او الى طريق
الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم
بحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا
لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا
وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل
المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام
بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة و
علام نصب على الاختصاص او النداء وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع
اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو
على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم و
بتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم
آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك
بروح القدس بجبريل او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس الحيوة الابدية وتطهر
من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اى كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم
في الطفولية والكهولية على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل
والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة و

التورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في
سورة آل عمران وقرا نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ
كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف
لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به
الا سحر وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى واذ اوحيت الى الحواريين
اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي ويجوز ان تكون ان مصدرية او
مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم
منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد تحقق واستحكام معرفة
وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل
المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي
هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان
اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه
ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته
وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم
الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم
الاستدلال بكمال القدرة ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا
ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين
للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم
الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها
عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر

تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا بدل من لنا بإعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي أنها نزلت يوم الأحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة أو الطائفة
وآية عطف على عيدا **منك** صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي **وارزقنا**
المائدة أو الشكر عليها **وأنت خير الرازقين** أي خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه
بلا عوض **قال الله إني منزلها عليكم** إجابة إلى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها
بالتشديد **فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا** أي تعذيبا ويجوز أن يجعل مفعولا به على السعة **لا**
أعذبه الضمير للمصدر أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على حذف حرف الجار **أحدا من العالمين**
أي من عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فإنهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي أنها
نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم
كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند
رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
يا روح الله أمن طعام الدنيا أو من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته
فكلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه
الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء
والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل
منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى أن اجعل مائدتي
في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثلاثون رجلا
وقيل لما وعدهم الله إنزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد أن هذا مثل
ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء

تم سورة المائدة

الروح كما أن الأطعمة غذاء الأبدان فعلى هذا لعل الحال أنهم رغبوا في الحقائق لم يستعدوا
للوقوف عليها وقال لهم عيسى إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من
الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى أن
إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه
لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت**
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون
الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن
عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده
أو القصور فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن
عبادتهما توصل إلى عبادة الله فكأنه قيل اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى الله **قال سبحانك**
أي أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك **ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** ما ينبغي
لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله **إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم**
ما في نفسك تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات **إنك أنت علام الغيوب** تقرير للجملتين باعتبار
منطوقه ومفهومه **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل
عليه **أن اعبدوا الله ربي وربكم** عطف بيان للضمير في به أو بدل منه وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعول له
مثل هو أو أعني ولا يجوز إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعولا للقول ولا أن يكون
أن مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده
إلا أن يأول القول بالأمر فكأنه قيل ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله **وكنت عليهم شهيدا**
ما دمت فيهم أي رقيبا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان
فلما توفيتني بالرفع إلى السماء لقوله إني متوفيك ورافعك والتوفي أخذ الشيء وافيا والموت نوع منه

في الجملة نسخه

قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **كنت انت الرقيب**
عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات **وانت على كل شيء شهيد** مطلع عليه مراقب
له **ان تعذبهم فانهم عبادك** اي ان تعذبهم فلك تعذيب عبادك ولا اعتراض على
المالك فيما يفعله بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على
الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة
لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد
فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين**
صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر
وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكنه بني على الفتح
لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في
الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها**
ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع **لله ملك السموات**
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في
المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم على غير اولي
العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم اعلاما بانهم
وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة
العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه
عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام
مكية غير ست آيات او ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية **بسم الله الرحمن الرحيم**
الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على

النعم العظام حمدا او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون
الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها
لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها **وجعل الظلمات والنور** انشأهما والفرق بين خلق وجعل
الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث
النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات
لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى
واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور
احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل **ثم الذين**
كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة
على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على
انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على خلق
على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه سواه احد ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد
عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون
عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم
الاوثان اي يسوونها به **هو الذي خلقكم من طين** اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى
وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف **ثم قضى اجلا** اجل الموت
واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت و
البعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة كذلك يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني
الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك
استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت
معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود
بيانه **ثم انتم تمترون** استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم

فإن من قدر على خلق المواد وجمعها وإبداء الحيوة فيها وإبقائها ما يشاء كان أقدر على
جمع تلك المواد وإحيائها ثانيا فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء
الشك وأصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير له والله خبره
في السموات وفي الأرض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله
وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أو بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر
ثان أو هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد
في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه أو ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى أنه تعالى لكمال علمه
بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لأن صلته لا
تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير أو شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله أريد بالسر والجهر ما
يخفى ويظهر من أحوال الأنفس وبالمكتسب أعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
من الأولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض أي ما يظهر لهم دليل قط من الأدلة
أو معجزة من المعجزات أو آية من آيات القرآن إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه
غير ملتفتين إليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل
إنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بما جاءهم أو كالدليل عليه على معنى أنهم لما
أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب
عليه بالفاء فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون أي سيظهر لهم ما كانوا به
يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند ظهور الإسلام وارتفاع أمره
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن من أهل زمان والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي
سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم قلت المدة أو كثرت
واشتقاقه من قرنت مكناهم في الأرض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها وأعطيناهم من القوى
والآلات ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول
المقام يا أهل مكة أو ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب

وأرسلنا السماء عليهم أي المطر أو السحاب أو المظلة فإن مبدأ المطر منها مدرارا
مغزارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار
فأهلكناهم بذنوبهم أي لم يغن ذلك عنهم شيئا وأنشأنا وأحدثنا من بعدهم قرنا آخرين
بدلا منهم والمعنى أنه تعالى كما قدر أن يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم
بلاده قادر أن يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بأيديهم
فمسوه وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا
ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله
وأنا لمسنا السماء لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا
أنزل عليه ملك هلا أنزل عليه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا
ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوا والخلل فيه والمعنى أن
الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم
ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون جواب ثان إن جعل الهاء للمطلوب وإن جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فإنهم
تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة والمعنى ولو
جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فإن
القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء بقوتهم
القدسية وللبسنا جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلا للبسنا أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على
أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة ولبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد
استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فأحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث أهلكوا
لأجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا

في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه
اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن ما في السموات
خلقا وملكا وهو سوال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب
بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا
واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم
بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين
الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة
بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع
الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار
على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من
السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتمل عليه
او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع
لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين
على اقوالهم واحوالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي
ولذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعا الى الشرك فاطر السموات
والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في
بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدعتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام

لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله
والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية
وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم
اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته
في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض
لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه
محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر
على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان
قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله وهو القاهر
فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير
بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد
سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد
لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وسبق القول فيه في سورة البقرة قل الله
اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم
به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم
ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين

وقت نزوله من بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع
الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون
قل انما هو اله واحد اي قل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني
الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم
حليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم
من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب
باياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا
يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر
ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر
ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من
الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا
بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان
قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها انفسهم من فتنت
الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ
ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر
عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء
والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط
الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم
في الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم

وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول
فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك
اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها الجملة لا
عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين
فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم
ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له
والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه
بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون
به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون اي
ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو رايتهم حين
يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على بناء الفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا
ليتنا نرد عسا حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني الى للرجوع الى الدنيا ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم
دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه
فيكون في حكم المتمني وقوله انهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبها

عن القرون الماضية فقال ابو سفيان
الا لا اراه حقا فقال ابو جهل كلا

حمزة ويعقوب وحفص عن عاصم على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراها مجرى الفاء
وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا
يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا
اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف
بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم
او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم
حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب
قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ
فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم
الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال
او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا
فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها و
الايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا
ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وما
اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها
وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين
لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن

اعراب م

عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب
الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك
من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه
اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم
يجحدون آيات الله ويكذبونه فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا
بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل
كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا
يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم
فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد
جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك
اعراضهم عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة
لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان
حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر على ان يأتيهم بآية من تحت الارض او
فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم
على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه
والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه

عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن
الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون وانما يجيب الذين يسمعون
بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل
عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة
لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزالها وان انزالها استجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة
عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على
وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ
ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها
والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل
على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء
يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه
امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا
او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد
عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها
والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال
علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات
خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله

يضلله

يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام وتعجيب والكاف حرف
خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا
ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل
وللزمك في الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره
أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم
الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون وهو تبكيت لهم
اي بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم
ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز
في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فأخذناهم اي فكفروا وكذبوا
المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن
ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام
ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على
المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم
بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب

فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا
على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون متحيرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا آخرهم بحيث لم يبق منهم
احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك
الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة
يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم
بان يغطي عليها بما يزيل عقولكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه
اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات
نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة للتنبيه
والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض — المتقدمين صح
بعد تصريف الآيات وظهوره قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او
جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما
يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه
وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمؤمنين بالجنة ومنذرين
للكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما
شرع لهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول
لكم اني ملك اي من جنس الملائكة واقدر على ما يقدرون ان اتبع الا ما يوحى الي
تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعاد
هم دعواه وجزمهم على فساد ما ادعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا

تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي
مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا
فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه — بدل على حم
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة لعلهم
يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره
بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام هؤلاء وتقريبهم وان لا يطردهم مرضية لقريش
روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك
قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي
عليه السلام ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوتا الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي
اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي
ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسوالهم طمعا
في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان
كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما
ان حسابك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم
فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على
وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلا
اختلاف الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء

على اشراف قريش بالسبق الى الاسلام ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي
اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤسا
وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى
الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن
معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن
لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران و
اتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبداهم بالتسليم او يبلغ
سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم
الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل
ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه
من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من
افعال السفهاء والجهال ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على
ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او
خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك نفصل الايات اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل
الايات ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين والمصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين قراه نافع بالياء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا
منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص
عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل

فانه

فانه مذكر ومؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر
الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات
في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون
الله او ما تدعونها الهة او تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم
واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم وبيان لمبدا ضلالهم وان
ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد
ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى
حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة من ربي تنبيه على ما
يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق
من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي
من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير
لربي اي كذبتم به حيث اشركتم غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق
من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام
الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص
الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي
ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا
لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن
الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح
الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل

الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها
من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى
يعلم الاشيا قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة
الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقريت
بالرفع للعطف على محل من ورقة ورفعها على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين
وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما
بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما
جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم
يبعثكم فيه يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى
ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل
وكاسبون للاثام بالنهار وانه مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك
الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضي الاجل الذي
سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
يحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم من خدمه المتطلعين عليه (منه احتشامه)
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه

بالالف ممالة بهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا
يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم
الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار
حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما
استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار وقيل لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية
بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن
انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون
تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون
تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما
اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم وقال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم
باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو الحق اي الواقع لا محالة او
الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم
وانما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد انباء العذاب والايعاد به مستقر وقت
استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون

في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم ولا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك
الشيطان بان يشغلك بوسوسة حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسّينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر
موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم
من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى
ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر
والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا
على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء وكراهة
لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم
بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس
في المسجد الحرام ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر
دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم
البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذي كلفوا به لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا
عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية
السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث
وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء
عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي
ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية

لانها

لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى
منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فان المفدى به اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك
والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم
قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا — أنعبد
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا
الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه
استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف ممالة و
محل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على
المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق
له اصحاب لهذا المستهوى صفته يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق
المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا
يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما
عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى
الله واللام للتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زايدة
وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او
على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا
اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم
بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما
وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق
قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيه الخبر اي

قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين
وقوله الحق نافذ في الكائنات ويوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في
اتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبره او فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او
حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ
في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم
الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان
لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت
مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب
به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره
ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أ آزر
اتتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على
انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم
ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه
تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها و
الملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون
او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان
لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر و
الاستدلال وجن الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على
سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالفساد او على وجه

النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال
لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي
الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتديا في الطلوع قال
هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه
واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي الى الحق الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها
لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث
هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء
مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص
به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت عليه هذه الممكنات فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج
بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه
في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال
اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع
الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم
وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما
فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا
بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا
تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع
بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن

تتذكرون

اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان
كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد
بالظلم هنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضوان الله
عليهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه قال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون وهو ما قال
لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق
بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية تلك
اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الى قوله وهم مهتدون
او من قوله اتحاجوني في الله حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها
على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها
ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون و
يعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم
عدهداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته
الضمير لابرهيم عليه السلم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا
من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي
بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب
بن آموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي
المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده و
النبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية يتناول
اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية
الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في

الصلاح

الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع وهو اليسع
بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
كما ادخل اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس
وهو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم و
اخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم
وذرياتهم واخوانهم فان فيهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا
وهديناهم الى صراط مستقيم بيان لتكرير ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما
دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء
الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم
لسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل
الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين هم وهؤلاء
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
او كل من آمن به او الفرس وقيل الملئكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم
ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من
التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل
ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم متعبد بشرع من قبله
والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه على التبليغ
او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم

ويحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي

ان هو اي التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة وما قدروا
الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظايم رحمته وجلايل
نعمه او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جروا على هذه المقالة والقايلون
هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقضهم كلامهم والزامهم بقوله
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور يجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا الله وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن
الضيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذي انزل
التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل
هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم و
لذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما
التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بني
اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش قل الله اي انزله
الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك
بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او
يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول
هذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفايدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية

او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من
تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب
ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على
صلاتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف
يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ
على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه
احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله
بن سعد بن سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله
تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال صلى الله عليه وسلم
اكتبها كذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء
لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى
الظالمين في غمرات الموت شدايده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم
اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها
من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون
عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته

وتمكنه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كدعاء الولد والشريك ودعوى النبوة والوحي
كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب
والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وساير ما آثرتموه من الدنيا او الاعوان
والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادي
كرخالي وفراد كثلاث وفردي كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي
ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي
مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا
كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم
لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل د البين منه
وقيل هو الظرف اسند الفعل اليه على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد
له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على الظرف على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم وضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان
الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة و
النواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت
مما لا ينمو كالنطفة والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم
الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه
الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح

وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به
الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل فانه في
المعنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى
هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر
والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو
مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب و
شهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز
الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما
وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل
في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على
الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا
الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم
من نفس واحدة وهو آدم فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب
او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار و
استيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول
اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر
تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة

من يكن اليه اذا اطمان
اليه استيناسا به او
سكن فيه الخلق من قوله
ليسكنوا فيه م

دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء
ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات
كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المتفننة بماء
واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او
الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا
من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل
خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى حاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو
كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس
فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما
اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب
عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم جنات او ثم جنات او من
الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين
عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه
وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل
واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمر كخشبة وخشب او ثمار
ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال
نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت
الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في
ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان

حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون
الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا
يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق كل الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر
وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء
الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن و
بالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله
خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما
يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه
وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ
وحرفوا له اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم
من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من
الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له
شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او
الى الظرف كقولهم فلان ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيها وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اي من اين وكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ
بالياء على الفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم

لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال
على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من
جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها وان ولد الشي نظيره ولا
نظير له فلا ولد فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر و
انثى متجانسين والله تعالى منزه من المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو
له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات
ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا
الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة
والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق
العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار
الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وهو يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة
على امتناع الروية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الروية ولا النفي في الاية عاما في
الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا الكل لا يبصره
مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار ويحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا يدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف
لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس
كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر وآمن به فلنفسه
ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا
منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على لسان

الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف
وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشي من حال
الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس
القراءة والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو ودارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم
وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم
اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على بناء
المفعول بمعنى قريت او عفيت ودارست بمعنى دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم
وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس
محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة
راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين من مقصود التصريف والضمير
للايات باعتبار المعنى او القران وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا
هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال موكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رايهم ومن جعله منسوخا
باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل على انه لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا
آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم
على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا
وعدوا وعدا وعدوانا روي انه صلى الله عليه وسلم كان يطعن في آلهتهم فقالوا
لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا

اي ولكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام
لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه
اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا
ليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي
قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير
مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به
غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه
الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه
وتقريره مغن عن سائر الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق تاكيد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله بعلم
اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه صلى الله عليه وسلم لم يمارس كتبهم
ولم يخالط علماوهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم
يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر
وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون
ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا
تكونن من المشركين او خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب الامة وقيل
الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري
فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له
لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر
ان يحرفها شائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله

بالحفظ

كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا
الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس
يريد الكفار او الجهال واتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق
الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون
الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جدالهم وآراءهم الفاسدة فان
الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون
اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم
البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به لان افعل لا ينصب الظاهر في مثل
ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ
من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة ايضا بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم
اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غير الله او مات حتف
انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استحلال ما احله الله واجتناب
ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم ان تتحرجوا عن
اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على بناء المفعول ونافع ويعقوب وحفص عن عاصم حرم على

بناء الفاعل إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة وإن
كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون
بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم إن ربك
هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق إلى الباطل والحرام إلى الحلال وذروا ظاهر
الإثم وباطنه ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت
واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا وإليه
ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله صلى الله عليه وسلم
ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان
وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير
لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون
إلى أوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال ما حرم إنكم لمشركون
فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حسن حذف الفاء
فيه لأن الشرط بلفظ الماضي أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في
الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا
على الأصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها
حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا
يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن إيمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت
في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر

حانوت دكان حوانيت جمع

مجرميها ليمكروا فيها أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في
كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعل بمعنى صير ومفعولاه أكابر مجرميها
على تقديم المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن
يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد
والمطابقة وكذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع
الناس والمكر بهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي
أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى
إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالاته
استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها
وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب
مكرهم أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق
ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية
عن جعل النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
وإليه أشار صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب
المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها قال نعم الإنابة
إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو

ستباع

عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر
عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر **كانما**
يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان
صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن
الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير
يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد **كذلك** اي كما يضيق صدره ويبعد
قلبه عن الحق **يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** يجعل العذاب والخذلان عليهم
فوضع الظاهر موضع الضمير للتعليل **وهذا** اشارة الى البيان الذي جاء به
القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان **صراط ربك** الطريق
الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق ارتضاه او عادته في
طريقه الذي اقتضته حكمته **مستقيما** لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة **قد فصلنا الايات**
لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر
فهو بقضائه وخلقه فانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم **لهم دار**
السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره
او دار تحيتهم فيها سلام **عند ربهم** في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره
وهو وليهم مواليهم او ناصرهم **بما كانوا يعملون** بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم **ويوم يحشرهم جميعا** نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن
يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء **يا**
معشر الجن يعني الشياطين **قد استكثرتم من الانس** اي من اغوائهم

واضلالهم

واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من
الجنود **وقال اولياؤهم من الانس** الذين اطاعوهم **ربنا استمتع بعضنا**
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوسل به اليها
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم
انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم **وبلغنا اجلنا الذي اجلت**
لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع
الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم **قال النار مثواكم** منزلكم او ذات
مثواكم **خالدين فيها** حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى
الاضافة وان جعل مكانا **الا ما شاء الله** الا الاوقات التي ينقلون فيها
من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار
مثواكم ابدا الا ما امهلكم **ان ربك حكيم** في افعاله **عليم** باعمال الثقلين
واحوالهم **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** نكل بعضهم الى بعض او نجعل
بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب
كما كانوا في الدنيا **بما كانوا يكسبون** من الكفر والمعاصي **يا معشر**
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا
مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان و
المرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث
الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل
اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين **يقصون عليكم اياتي وينذرونكم**
لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة **قالوا** جوابا **شهدنا على**

[illegible]

[illegible]

انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب
وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم
على سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات
المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان
اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا
للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف
اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون
ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين
بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من
المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب
او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغنى
عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم
على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل
لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم اى ما به
اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اى قرنا بعد قرن
لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت كائن
لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن

او على ناحيتكم وجهتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام
ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو
امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم انى عامل ما كنت عليه
من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
فى الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما
يفضى اليه وتسجيل بان المهدد لا يتاتى منه الا الشر كالمامور به الذى لا
يقدر ان ينقضى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل
من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه
الدار لها فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب
بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى تكون له العاقبة وفيه مع الانذار
انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق
وقرا حمزة والكسائى هنا وفى القصص يكون بالياء لان تانيث العاقبة
غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه
اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرا خلق من
الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان
والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان راوا ما عينوه لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان راوا ما لآلهتهم
ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم
اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شىء ثم رجحوه عليه بان جعلوا

لزاكى له وفي قوله لشركائنا تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله
به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا
كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين
في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم
لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر
زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول
وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين
اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه
ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك
فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه
اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول
كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم
وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان و
الرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
يعني البحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها
افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوا تقول على الله والجار متعلق بقالوا

او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به
او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا
ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوايب خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد
حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه
سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم
في رواية ابي بكر وابن عامر في تكن بالتاء وخالف هو وابن كثير في ميتة
فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر
كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر
لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور
لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع
والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان
والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر
والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله
في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون
بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد
بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم
لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من
البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا

جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه
وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع
مختلفا أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي
مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه
بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من
ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل
فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم
حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة
لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية
والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء
وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة
والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق
كقوله ولا تبسطها كل البسط إنه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم
ومن الأنعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه
ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض
مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم إنه

البوادي نسخه

المفروشة م

لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا
او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما
بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد
يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب
وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى قل آلذكرين ذكر الضأن
وذكر المعز حرم أم الأنثيين أم أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين
بحرم أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين او ما حملت اناث الجنسين
ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بأمر معلوم يدل على ان الله حرم
شيئا من ذلك إن كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الإبل
اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما
اشتملت عليه أرحام الأنثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم
من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت
تارة زاعمين ان الله حرمها أم كنتم شهداء بل أكنتم حاضرين مشاهدين
إذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون
بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن
أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم

والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له **ليضل الناس**
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي
اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم
بالوحي لا بالهوى **محرما** طعاما محرما **على طاعم يطعمه الا ان يكون**
ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتاء
لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله
او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما
مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال **او لحم**
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث
مخبث **او فسقا** عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل **اهل لغير**
الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله
في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون
والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون **فمن اضطر**
فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك **غير باغ** على مضطر مثله
ولا عاد قدر الضرورة **فان ربك غفور رحيم** لا يؤاخذه والآية محكمة
لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا
ينافي ورود التحريم في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب **وعلى الذين هادوا**
حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي
مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة

لزيادة الربط **الا ما حملت ظهورهما** الا ما علقت بظهورهما **او الحوايا**
او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية
كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو **او ما اختلط**
بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص **ذلك** التحريم او الجزاء **جزيناهم**
ببغيهم بسبب ظلمهم **وانا لصادقون** في الاخبار او الوعد والوعيد
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل **ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين**
حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام
مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة
على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم **سيقول الذين اشركوا** اخبار عن
مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه **لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا**
ولا حرمنا من شيء اي لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو
شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على
الحق المشروع والمرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح
بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد
ذلك قوله **كذلك كذب الذين من قبلهم** اي مثل هذا التكذيب
لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل
وعطف اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا **حتى ذاقوا بأسنا**
الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم **قل هل عندكم من علم** من امر معلوم يصح الاحتجاج
به على ما زعمتم **فتخرجوه لنا** فتظهروه لنا **ان تتبعون الا الظن** ما تتبعون
في ذلك الا الظن **وان انتم الا تخرصون** تكذبون على الله وفيه دليل على

احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرا حمزة
وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون
بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها
باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي وان
بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به
مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي
بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا
تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى
الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق
بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم
آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت
في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا
موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن
القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو
موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة على علمه
اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه
الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا
لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم
يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه كثير

مبارك

الاتباع

الذي هو

النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل
بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص
في الانزال لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم
وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان
اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي
ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك
تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد
جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن
تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان
عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها
فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما
ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان
لحوقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة
الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او
ياتي ربك او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة
وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها
لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق

او ياتيا
اي الامر بالعذاب او كل آية يعني آيات
القيامة والهلاك الكلي هم هم

وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن
يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ
صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث **لم تكن آمنت من قبل** صفة نفسا **او كسبت
في ايمانها خيرا** عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فيه خيرا وهو دليل
لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلي تخصيص هذا الحكم بذلك
اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا
خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته
حينئذ وان كسبت فيه خيرا **قل انتظروا انا منتظرون** وعيد
لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز
وعليكم الويل **ان الذين فرقوا دينهم** بددوه فآمنوا ببعض وكفروا
ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا
اي باينوا **وكانوا شيعا** فرقا تشيع كل فرقة اماما **لست منهم
في شيء** اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت
بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف
انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم **ثم ينبئهم بما كانوا**

او مقدمة ايمانها

اثنتين

يفعلون بالعقاب **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** اي عشر
حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع
على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل
وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب **قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم** بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج
دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم
صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ **قيما** فيعل من
قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار
الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت
به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام **ملة ابرهيم**
عطف بيان لدينا **حنيفا** حال من ابرهيم **وما كان من المشركين** عطف
عليه **قل ان صلاتي ونسكي** عبادتي كلها او قرباني او حجي **ومحياي
ومماتي** وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة
والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى
الوقف **لله رب العالمين لا شريك له** خالصة له لا اشرك فيها غيره
وبذلك القول والاخلاص **امرت وانا اول المسلمين**
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته **قل اغير الله ابغي ربا**
فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم

وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي
وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا
عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك
ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق
من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا
او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم
السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان
ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده
وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف
ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة
تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبتغ لها
يسير العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة للتزكية
الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد
فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف
ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم سورة الاعراف
مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم عن القرية الى قوله واذ نتقنا الجبل
[illegible] وقيل الا قوله خذ العفو وأعرض
عن الجاهلين وهي مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او
خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته
فلا يكن في صدرك حرج منه شك فان الشك حرج الصدر
او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه
وتوجه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا أرينك هاهنا والفاء يحتمل العطف
والجواب وكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر
به متعلق بانزل او بفلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار
وكذا اذا لم يخشهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير
والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه
اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل
اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء او لما بعد وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون كرّون
وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن
عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي وكم من قرية وكثيرا
من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان
فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط
مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين

نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه
غير فصيح وفي التعبير بالقيلولة مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك
خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب
فيهما افظع فما كان دعويهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين الا اعترافهم ببطلان ما كانوا عليه وتحسرا عليه
فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل
ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة
وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام
او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن
عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على
الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم
او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم
والوزن يومئذ اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور
على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم
وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى
الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له
بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه

عليه السلام انه قال انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح
بعوضة الحق خبر المبتدأ الذي هو الوزن يومئذ ظرفه او صفته والخبر
محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته
والجمع باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون
او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن
خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة
السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا
يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي
مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها
بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه
نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم
بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم
لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد
لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا
يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه
ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال
انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون
مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل

او ما يوزن به حسناته م

ان يسجد لمن خلق من تراب فهو الذي سن التكبر وقال
بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل
لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل
عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة
بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيرهم والاية دليل الكون
والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين
والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء
او الجنة فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل
الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فما يكون
لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره
قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني
الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل
عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى
او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم
للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في
اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على
الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد

القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب
زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل
والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل
منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم ومن
خلفهم من جهة يمكنهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم
تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما
متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم
المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم
مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج
منها مذؤما مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في
مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا
لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم
اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على
انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم وقلنا يا آدم

عن نبات انتن وردويدن [illegible]

لان عسل الكلب يعسل فيه كما يعسل الطريق الثعلب

من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم مع

لازم

اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيّا والهاء بدل من الياء
فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا
يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان
اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما
ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما
بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة
فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما
من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير
واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء
وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا
وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه
على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن
الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
نبه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء
ارسال الشىء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا

تنقلب وانما كان رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة صح

يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة
او ظفرا وطفقا يخصفان عليهما اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما
من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى
يخصفان انفسهما ويخصّفان من خصّف ويخصّفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على
الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا
ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان
الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها
مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى
استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال
اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له
تبعا ليعلم انهم قرنوا او اخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض
عدو فى موضع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار
او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تنقضى آجالكم قال
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرا حمزة
والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح

الكاتم من الماء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله
وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم
عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون
لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك
حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه
اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به و
الريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو
جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير
او خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال
اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى
نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من
ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو
وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم
وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اعوانا وقرناء

بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما
سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد
الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب
الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه
قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين
اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافترا
على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي
الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير
عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت
سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها
حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون وقيل كما بدأكم حفاة
عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى

بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم
مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق
ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عوراتكم
عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته
للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة للصلوة وكلوا واشربوا ما طاب
لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن
عباس رضى الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية
فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم
قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على
ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى
من للانكار قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان
شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما

فى الصلوة

مخيلة

حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر
منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص
وقيل شرب الخمر والبغى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير
الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم
والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد
لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اى لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت
او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بنى آدم اما ياتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتى شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان
الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى
الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله
منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى
للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل
الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدا بعدها

الكلام قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله اى اين الالهة التي
كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال
الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اى كائنين
في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة في النار لعنت
اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا
وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم
اى لاجلهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم
ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما
الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ
عاصم برواية ابي بكر بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه
عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال
واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او
من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى
عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به

بها وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل
ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا
يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل في عظم
الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا
يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل
والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم
وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد
فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند
سيبويه والصرف عند غيره ويحتمل عوضا عن الياء المحذوفة وكذلك نجزي
الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم
بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان
من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا
نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب
النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا
ما في صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه
حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في
لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا

وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام
لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا
بغير واو على أنها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم
عين اليقين في الآخرة ونودوا أن تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد
دخولها والمنادى له بالذات أورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها
بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة
صفة تلكم وأن في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة
والتأذين من القول ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم
وقرأ الكسائي حيث وقع بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو
صاحب الصور بينهم بين الفريقين أن لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن
كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي أن لعنة بالتشديد والنصب
وقرئ إن بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها
عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بينهما
ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الأعراف وعلى اعراف

لهم

فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا

الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من
عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة
والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء و
الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال
يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم
الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى
معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام
او تعليم الملائكة ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم اي اذا نظروا
اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه
الاول ومن الاصحاب على الوجوه وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب
النار قالوا تعوذوا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في
النار ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء
الكفرة قالوا ما أغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم
تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين
أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل
الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم
الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون اي فالتفتوا
الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين ٢
وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عير اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا

وعرفوهم ٢

لايدخلون ٢

الجنة فقال الله تعالى او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اى صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام لقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسى قد جاءت رسل ربنا بالحق قد تبين انهم جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثانى

ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذى كنا نعمل جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم فى الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية فى

د البوم م

الالوهية وتفرد بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى
لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير
حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار بقوله فقضيهن
سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا
للصور المتبدلة والهيأت المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار
والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل
في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها
ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله
في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير
الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين
فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء
دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء
وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء
والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول
اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين

واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل

قويم

المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها
ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف
من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل
به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف
اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر
كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان
وعاصم بشرا حيث وقع وهو تخفيف بشر وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر
بشره بمعنى باشرات او للبشارة بين يدي رحمته قدام رحمته
يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تذره
والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل
للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب باعتبار اللفظ
لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل
فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها
كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى
احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها

لفرط [illegible]

وحمزة والكسائي الريح [illegible]

سقناه اي السحاب وافراد الضمير

بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب
الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره
عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم
النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج الا
نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا
وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر
اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية
مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها
لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام
الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر
بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين
سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم
من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان
قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته
واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف
فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين

قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار
ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول
من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا
ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع
معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه
والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على
امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته
وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من
جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف
الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان
المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين
معه وهم من آمن به وكانوا اربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال
من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين

رجلا واربعين

فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات {والى عاد اخاهم} [هودا]
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم
لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه {قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره} استئناف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين
ارسل وكذلك جوابهم {افلا تتقون} عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال {قال الملا الذين كفروا من قومه} اذ كان من
اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد {انا لنراك في سفاهة} متمكنا
في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك {وانا لنظنك من
الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم} سبق
تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا
ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرا
ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا
{واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح} اي في مساكنهم او في
الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك الارض من رمل
عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه {وزادكم
في الخلق بسطة} قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص {فاذكروا

{الاء الله لعلكم تفلحون} لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح
{قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا} استبعدوا
اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن
قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني
{فاتنا بما تعدنا} من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
{ان كنت من الصادقين} فيه {قال قد وقع عليكم} قد وجب وحق عليكم
على ان المتوقع كالواقع {من ربكم رجس} عذاب من الارتجاس وهو
الاضطراب {وغضب} ارادة انتقام {اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان} اي في اشياء سميتموها الهة وليس
فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو
استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة بين ان منتهى
حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد
الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل
به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه
الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر
{فانتظروا} لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب {اني
معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه} في الدين {برحمة منا} عليهم
{وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا} اي استاصلناهم {وما كانوا مؤمنين} تعريض
لمن امن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان
روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا

او نزل عليكم

متوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله
الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى
ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل
ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا
تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا
لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك
ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا
الله سحابا ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي
المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم
فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى
ماتوا **والى ثمود** قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن
عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين
الحجاز والشام الى وادي القرى **اخاهم صالحا** صالح بن عبيد بن اسف بن

ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم** معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي
وقوله **هذه ناقة الله لكم آية** استئناف لبيانها وآية نصب على الحال و
العامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة
الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله
لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت
آية **فذروها تاكل في ارض الله** العشب **ولا تمسوها بسوء** نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر و
ازاحة للعذر **فياخذكم عذاب اليم** جواب للنهي **واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض** ارض الحجر **تتخذون من
سهولها قصورا** اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها
كاللبن والآجر **وتنحتون الجبال بيوتا** وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير
من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون **فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين قال الملا الذين استكبروا من قومه** عن الايمان **للذين
استضعفوا** اي للذين استضعفوهم واستذلوهم **لمن آمن منهم** بدل من
الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان
للذين وقرا ابن عامر وقال الملا بالواو **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه**
قالوه على الاستهزاء **قالوا انا بما ارسل به مؤمنون** عدلوا به عن الجواب
السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل
ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك **قال الذين**

استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع
ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى
جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر
ربهم روي ان ثمود بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا
طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وافسدوا واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين في الارض وعبدوا الاصنام فبعث
الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا
اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج
معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة
منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان
ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار

فعقروها

فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفتحت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم
جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال
لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ
وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من
العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي و
الاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه
وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار
والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له
او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه
على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم

التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن
الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم
فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم
قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم
فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله
اي من آمن به الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران
بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى
اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا
عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين بن ابراهيم وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له
وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين
وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم على يده في المرات يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل والميزان اي آلة الكيل والميزان كما قال في سورة

منكر

السبع

هود على الايجاز او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش
او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على
انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها
بعدما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة
اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين
اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا
او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا
يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد
شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا
يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه
فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون
عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل
صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول
توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها
معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة
في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم

وتوعدون هم

قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين
الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من
قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز
عليهم الكفر مطلقا ولكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم
وعلى ذلك اجرى الجواب قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها
ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله
كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها شرط جوابه محذوف دل عليه قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد
الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل
وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما
يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا
وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود
بالتعليق على ما لا يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلص
من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا
والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا
وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه

وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الان

ووسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم

لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات
ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم
الموطأ باللام فأخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة
ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي
استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم
الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول
واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن
عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي
اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا
يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس
آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره

وتركتم دينكم ٣

واعتقادًا بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد
مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو أن أهل القرى يعني القرى المدلول
عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا
مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من
السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد
المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا
الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن
أهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا بياتًا تبييتًا أو وقت بيات أو مبيتًا أو مبيتين وهو في
الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وهم نائمون حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتًا أوَ وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى
ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون
يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله
تقرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
وأخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون إلا
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون
الأرض من بعد أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون
ديارهم وإنما عدي يهد باللام لأنه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم

بذنوبهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم
وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولًا ونطبع على قلوبهم
عطف على ما دل عليه أولم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه
بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في
سياق جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم
واعتبار تلك القرى نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى
خبرًا ويكون إفادته بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا
خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا
مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا
حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة
واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم
في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لأكثرهم
لأكثر الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين
من عهد من وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان
والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا إليه حين كانوا في ضر
ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وإن وجدنا
أكثرهم أي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدًا ذا الحفاظ
لدخول إن المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز إلا في المبتدأ والخبر

وللافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا **ثم بعثنا
من بعدهم موسى** الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم
بآياتنا يعني المعجزات **الى فرعون وملئه فظلموا بها**
بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا او فظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
اليك وقوله **حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق** لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة
وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول
كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس لتوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان
ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق
واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت
على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول **قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل** فخلهم حتى يرجعوا معي
الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال **قال ان كنت جئت بآية** من عند من
ارسلك **فأت بها** فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك **ان كنت من الصادقين**
في الدعوى **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** ظاهر امره
لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاه صار ثعبانا

ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على
الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث
وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون
يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا **ونزع يده** من جيبه او من تحت ابطه **فاذا هي بيضاء للناظرين**
اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار او بيضاء للنظار
لا انها كانت بيضاء في جبلتها اذ روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل
يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس **قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم** قيل قاله
هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء
وعنهم ههنا **يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون** تشيرون في ان
نفعل **قالوا ارجه واخاه** اخر امرهما **وارسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم** يعني شرطا يحشرون اليك السحرة
[illegible] واصله
ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير
وهشام على الاصل في الضمير وارجهو من ارجيت كما قرأ نافع في رواية
ورش واسمعيل والكسائي واما قراءة نافع في رواية قالون ارجه بحذف
الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وعاصم ارجه فلتشبيه
المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر
برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان
الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما
كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي

يونس ويؤيده انه يطابق عليم في الفصل وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل
الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استأنف
به كأنه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص
عن عاصم ان لنا بالاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر
والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة
للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها
بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء
بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها
ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم
طلبوا رهبتهم وجاؤوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي
تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب
الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي
انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت
فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص تلقف
ههنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما

كانوا

كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير
لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم
تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او
ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر
موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني
من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله
او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على
الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم بابدال في حال الوصل من همزة الاستفهام
واوا مفتوحة ثم تحقيق ... في تثنية العين وقرأ في طه على الخبر وفي
الملك ... على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الف
وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها
اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون
عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما
لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته

وهشام

اختلقوها

قالوا إنا إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك
أو إنا منقلبون إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفاً
على لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك إلى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما
تنكر منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الأعمال وأعلى
المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضاتك ثم فزعوا
إلى الله تعالى فقالوا ربنا أفرغ علينا صبراً أفض علينا صبراً يغمرنا
كما يفرغ الماء أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد
فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام قيل إنه فعل بهم ما أوعدهم
به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا
أو جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والإخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك
وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أو استئناف أو حال وقرئ بالسكون
كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فأصدق وأكن وآلهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناماً وأمرهم
أن يتقربوا بعبادتها إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرئ إلاهتك
أي عبادتك قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما
كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم
أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ
ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون غالبون وهم

مقهورون تحت أيدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكيناً لهم إن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت
في الأمر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصر وتذكير لما وعدهم من إهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفاً
على اسم إن واللام في الأرض تحتمل العهد والجنس قالوا أي بنو إسرائيل
أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة بقتل الأبناء ومن بعد ما جئتنا
بإعادته قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض
تصريح بما كنى عنه أولاً لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل
الطمع لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روي
أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون
فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب
ما يوجد منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة
الأمطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ
به ثم اشتق منه فقيل أسنت القوم إذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة
العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على أن ذلك لشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا أو لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا
جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لأجلنا
ونحن مستحقوها وإن تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى
ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم وهذا
إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب

العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل
زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة
التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى
بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم
عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم
وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما
الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير
وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع
على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اي اي شيء تحضرنا تأتنا به
من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا
والضمير في به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او
سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار
القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم
مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء
بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل
فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت لهم

بشؤمهم

من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت
زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه
ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى
النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع
في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف
ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا
فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما
حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء على حاله ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف
آيات مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل انها
آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل
اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم
بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني
العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو
النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما
عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى

مفصلات

بالذي عندك يحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله **لئن كشفت عنا الرجز**
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسموا بما
عهد الله عندك لئن كشفت الخ لنؤمنن ولنرسلن **فلما كشفنا عنهم الرجز**
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة
فيعذبون فيه او يهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه
لايمانهم **اذا هم ينكثون** جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث
من غير توقف وتأمل فيه **فانتقمنا منهم** اي اردنا الانتقام منهم **فاغرقناهم**
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته **بانهم كذبوا بآياتنا**
وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات
وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها [illegible]
عليها بقوله فانتقمنا **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** بالاستعباد
وذبح الابناء [illegible] **مشارق الارض ومغاربها** يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها **التي**
باركنا فيها بالخصب وسعة العيش **وتمت كلمة ربك الحسنى**
على بني اسرائيل ومضت عليهم واستمرت [illegible]
وهو قوله ونريد ان نمن على الذين [illegible]
المواعيد **بما صبروا** بسبب صبرهم على الشدائد **ودمرنا** وخربنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات **وما كانوا**
يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان
وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** وما بعده ذكرنا الحدث

بني اسرائيل من الامور الحقيقية بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام وما
عاينوا من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤ
منين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة [illegible] روي ان موسى عليه
السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا **فأتوا**
على قوم يعكفون على اصنام لهم [illegible] يقيمون على عبادتها
قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل [illegible] القوم كانوا من العمالقة
الذين [illegible] وقيل من لخم [illegible] يعكفون بالكسر
قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده **كما لهم آلهة** يعبدونها
وما كافة [illegible] **قال انكم قوم تجهلون** وصفهم بالجهل المطلق
واكده [illegible] بعدما شاهدوا من الآيات الكبرى عن العقل **ان هؤلاء**
اشارة الى القوم **متبر** مكسر مدمر **ما هم فيه** يعني ان الله يهدم دينهم الذي
هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا **وباطل** مضمحل **ما كانوا يعملون**
من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع
هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين
من الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان
الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا **قال اغير الله ابغيكم**
الها اطلب لكم معبودا **وهو فضلكم على العالمين** والحال انه خصكم
بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله
اياهم [illegible] بان قصدوا ان يشركوا به
اخس شيء من مخلوقاته **واذ انجيناكم من آل فرعون** واذكروا صنيعه
معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم **يسومونكم سوء العذاب** استئناف

بعد شؤون ا

لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وقرأ نافع يقتلون من القتل
الثاني وهو مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او
العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة
وقرأ ابو عمرو ويعقوب وعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات
ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل
بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره ان يزيد عليها
عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية
في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي
فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل
المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي
اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما
روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه
على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني
انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل
من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن
تراني دون لن ارى او لن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته

تعالى لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان
يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا
يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه
مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على
الممكن ممكن فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي
دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا جمع دكاء
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق
قال سبحانك تعظيما لما رأى تبت اليك من الجرأة والاقدام
على السؤال من غير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا
اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك
على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا
باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية
وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة

فيه وروي ان نزول التورية كان يوم عرفة واعطا التورية يوم النحر وكتبنا
له في الالواح من كل شيء مما امر المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف
في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت
احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه
وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا
او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والها للالواح او لكل شيء فانه بمعنى
الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها
اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص
على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ
في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء
سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة
وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وساورثكم
ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في
الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بغير الحق بالطبع على قلوبهم فلا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق
صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله
وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم
واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد ويؤيده الوجه الاول

وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم
والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم
وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف
بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار
الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها
هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى
من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي
استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم
لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا
جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه
على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل
القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من
الحيل فيدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله
اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم
واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى
والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين

الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في أيديهم
كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط
الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن
لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بإنزال التوبة والتجاوز عن
الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا
على النداء ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا شديد
الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن
في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي
من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل
عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه
ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من
الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم
وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين
روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت
فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ و
الأحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه
قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك
كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا

من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر وعاصم هنا وفي طه
يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى
المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها
بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم
التقصير في الحقد والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني
وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء ولا تفعل بي ما يشمتون بي
لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما فعلت بأخي ولأخي إن فرط
في كفهم ضم إليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه
وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين فارحم
بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم
من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية
أعظم من فريتهم ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم والذين
عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد
السيئات وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال
الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وإن
عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت
عن موسى الغضب باعتذار هرون أو بتوبتهم وفي
هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث أنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل
كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكن وأسكت

على ان الحكمت لم تقتض اخذهم في الارض لابعد ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها اى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل
فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة
ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام
على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اى من قومه فحذف
الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم
الرجفة روى انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال
ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما
دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم
موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى تمنى هلاكهم وهلاكه
قبل ان يرى ما راى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم
قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وهلاكى قبل ان يرى ما راى او بحبسهم
آخرا وعنى به انك قادر باغراقهم في البحر وغيرها فرحمت عليهم بالانقاذ منها
فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك
قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت

تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها
الله عنهم ان هي الا فتنتك الا ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى
طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها
من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من
تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا
وارحمنا بمغفرة ما قارفنا ومرحمة وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها
بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق
طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود
اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان
يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت
كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين
يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها
ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر
مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل
والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه
به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه

مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم
ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف
عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر
صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا
به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه
التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته
يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف
الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك
هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب
دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم
جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله
وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان
لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد
تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من

كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا
لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم
الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له
واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن
قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس
محقين او بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون بينهم في الحكم
والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم (العالمون)
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق واهل الباطل امر مستمر وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم
قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع
فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة واسباطا بدل
منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكأنه قيل
اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد
بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف
في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا
عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن و

والسلوى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما
ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره فى سورة البقرة واذ
قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس
وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا
مثل ما فى البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم
للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما
تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة
بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستيناف للدلالة
على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب
تغفر بالتاء والبناء للمفعول وقرا ابن عامر خطيئتكم بالجمع والرفع غير
ابن عامر فانه وحد وقرا نافع كذلك الا انه على الجمع وقرا ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى
تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام
بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم او وحى ليكون لك ذلك معجزة عليهم عن
القرية عن خبرها وما وقع باهلها التى كانت حاضرة البحر قريبة
[illegible]
منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل
طبرية اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال

غير ابن عامر فانه وحد
وقرا ابو عمرو خطاياكم سو

اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اى يعدون آلات الصيد يوم
السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول
انه قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون
من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت شرعا
ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم
يوم السبت وإذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل
القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا
فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم
او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن
الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم
ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اى موعظتنا
انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى التفريط فى النهى عن المنكر وقرا حفص
معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم
معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا
تركوا ترك الناسى ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين

الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفتهم أمر الله
بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد وقرأ أبو بكر
بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على أنه
بئس كحذر كما ترى بحذف همزة عند سقوط حركتها لما التقا كليد وقرئ
ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب أو على أنه فعل الذم وصف به
فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين
وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا
عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد
فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للأولى
روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا
إن لهم شأنا فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القرود تعرفهم
فجعلت تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث
وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم وإذ تأذن ربك أي أعلم تفعّل
من الإيذان بمعناه كالتوعد والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه
بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو
ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه
ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالإذلال وضرب الجزية بعث
الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى

نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
إلى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل
ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر إن ربك
لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن
وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر
منهم تتمة لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أو حال
منهم الصالحون صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك أي منحطون
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت
به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف
بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها
يأخذون عرض هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو
من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى
تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله
بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلى الجار
والمجرور أو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير
في لنا أي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين إلى مثله غير تائبين عنه
ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي في الكتاب ألا يقولوا

أن لا يقولوا على الله إلا الحق عطف بيان الميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء أفلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون اعتراض أو مبتدأ خبره إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات وإذ نتقنا الجبل فوقهم أي قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما أظلك وظنوا وتيقنوا أنه واقع بهم ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم خذوا على إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ

نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أي كراهة أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام على الغيبة إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا أفتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرح كتاب المصابيح والمقصود من إيراد هذا الكلام ههنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون أي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو أحد علماء بني إسرائيل أو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها وأعرض عنها فأتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه

فكان من الغاوين فصار من الضالين روي أن قومه سألوه أن يدعو
على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه
حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار
من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه أخلد إلى الأرض
مال إلى الدنيا أو إلى السفالة واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه
وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه
بفعل العبد تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه
دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو
المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب
من حيث إن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه
أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيهاً
على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي
هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله وهو إن تحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد
أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث
إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى
لاهثاً في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع
على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص المذكور على اليهود فإنها نحو قصصهم لعلهم
يتفكرون تفكراً يؤدي بهم إلى الاتعاظ ساء مثلاً القوم الذين

كذبوا بآياتنا أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص
بالذم بعد قيام الجملة عليه لعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن
يكون داخلاً في الصلة معطوفاً على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب
بالآيات وظلمهم أنفسهم أو منقطعاً عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا
أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال
من الله وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء
والإفراد في الأول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن
المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار
عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم
الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن و
الإنس يعني المصرين على الكفر في علمه لهم قلوب لا يفقهون بها إذ لا يلقونها
إلى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون
إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع
تأمل وتذكر أولئك كالأنعام في عدم الفقه والإبصار للاعتبار و
الاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش
مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من
المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك
بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار أولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين

يلقونها

يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف
فيها اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا
بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمان اليمامة او وذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى
من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا أمة يهدون بالحق
وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر
واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه
الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله
اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين
كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا وأصل قليلا
الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة من حيث لا يعلمون بعد درجة م
ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا
بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وامهلهم
عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه
كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم
يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلام الصفا فدعاهم صعد
فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح
فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح الانذار بحيث لا يخفى على

ناظر أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض وما
خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها
ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وأن عسى أن يكون
قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب
آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل
مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده اي بعد القرآن
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع
والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان
بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق
منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي كالتقرير والتعليل
له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطف
على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال
منهم يسألونك عن الساعة اي عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة و
اطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله
كساعة أيان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشي ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي
وقت وهو من اوى لان البعض آو الى الكل قل إنما علمها عند ربي

استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها الا هو لا
يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى
وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس
ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين هولها
وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما
قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك
حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ
في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل
هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له
ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي
تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي (بالسؤال) عنها
تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها
عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من
خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار
للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك
فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان

يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليأنس بها
ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او الى جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا
الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف
عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو
النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف و
فاستمرت به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت
الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على
البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا
سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما
آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء
فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس
في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما
يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم فهمّا منه ثم عاد اليها
وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل
عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما في الملائكة
ولدت سمته عبد الحرث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون
الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسها

سورة الانفال ١٧ اورق

الشياطين ٥

فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله **وإخوانهم يمدونهم**
أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين **في الغي** بالتزيين
والحمل عليه وقرئ يمدونهم من أمد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل
والإغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال **ثم لا يقصرون** لا يمسكون
عن إغوائهم حتى يردوهم ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن
الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع
الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له **وإذا لم تأتهم بآية**
من القرآن أو مما اقترحوه **قالوا لولا اجتبيتها** هلا جمعتها تقولا
من نفسك كسائر ما تقرؤه أو هلا طلبتها من الله **قل إنما أتبع ما يوحى**
إلي من ربي لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها **هذا بصائر**
من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره **وإذا قرئ القرآن**
فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون
فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي
وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة
واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف **واذكر ربك في**
نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة
سرا بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه **تضرعا**
وخيفة متضرعا وخائفا **ودون الجهر من القول** متكلما كلاما
فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص **بالغدو والآصال**
بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل

يكفون

في الأصيل مطابق للغدو **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله **إن**
الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى **لا يستكبرون عن**
عبادته ويسبحونه وينزهونه **وله يسجدون** ويخصونه بالعبادة
والتذلل ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم
السجدة اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة
وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الأعراف جعل
الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال أي الغنائم وإنما
يعني حكمها سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه
الإمام للمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه **قل الأنفال لله والرسول** أي أمرها
مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف
المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار
وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم
حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها
فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم
الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت
سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي

الرفيق
ده
ويخضعونه

ولا لك اطرحه في القبض وطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه
وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا
الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا
الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم
كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن
المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي
الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره
استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس
ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم
يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم
بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم

كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما
فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي
امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره
هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او
صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله و
الرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني
المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من
المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال
وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة
يا اهل مكة النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا
بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل
من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء
منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت
العرب يجتمعون عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين
اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا
القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على

ساحل البحر ومعها ابو جهل فقيل له عليك بالعير ودع العدو
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت
الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما
امرك فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي
ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه
بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على
عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند
اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر
قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم قال لان
الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم
قوله **يجادلونك في الحق** في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه **بعدما تبين** انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول

أجل قال

الحرب

فنشطه

كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة
من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى
ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين**
على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها **انها لكم وتودون**
ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعدتهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك **ويريد الله ان يحق الحق**
ان يثبته ويعليه **بكلماته** الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة
بالامداد وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** ويستاصلهم والمعنى
انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين
واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين **ليحق الحق ويبطل الباطل**
اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم
من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها **ولو كره المجرمون** ذلك **اذ تستغيثون ربكم** بدل
من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم
لما علموا انه لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك
اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف
والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز
لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله عنه يا نبي الله كفاك

مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم أني
ممدكم بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرئ بالكسر على ارادة
القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بألف من
الملائكة مردفين متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال متبعين او
متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء
وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان
فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في
سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين
كانوا على المقدمة او على الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف
في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم
وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة
وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل
او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته
الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير
وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع أمنة منه امنا من الله وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم
بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي

او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين صح

وان

وان يحمل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه
كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له امنة
من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود
وقرئ امنة كرحمة وهو لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من
تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء
وانتم تصلون محدثين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على
عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم
وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر
حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي
ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة أني معكم في
اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء
الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب
كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك
جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله
سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال

غلب

فيه

[illegible] فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او
الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم
واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب
للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله
بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق
خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع
او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون
الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول
معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه
موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ
وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على
مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف فلا تولوهم الادبار بالانهزام
فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين
الاية ويجوز ان يكون ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده
ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير

وانتصابه على الحال

العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة
اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما
روي ان ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون
وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثنا
من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا
لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم
الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم
تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء
الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني
فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان
تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم وياسرونهم
ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفا
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت
اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها
الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق
على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب

ويريث بالحصا ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن
بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم
رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في
الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة
بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمي
ومحل الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين
معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال
حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد
بالاضافة او التخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان
تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة
الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني لنصره
ولن يدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت
فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص وان
بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة
عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج
العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا
تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض
عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول
لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي
دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع
وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر
الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق
البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم
ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت
لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد
علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق و
القبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا
فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام
قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا
دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي
انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا
لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان
الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي
ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من

العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم
من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم
العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب
مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها
قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه
على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر
ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرء
بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف
على لغة من تشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار
المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير
القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق
هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان
اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض

للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم
منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ
انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش و
الخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس
والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من
عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة
او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار
او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من
الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين
آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان
تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم روي انه عليه السلام
حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم
بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية
في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو يحلني

[illegible]

الذي نجاه بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها
الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق
به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد الامانة
لتضمنه اياه **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو **وانتم تعلمون** انكم تخونون او وانتم
علما تميزون الحسن من القبح **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** لانهم
سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم
حبهم على الخيانة كابي لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** لمن آثر
رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه **يا ايها
الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** هداية في قلوبكم
تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين
واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين
او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي الصبح **ويكفر عنكم سيئاتكم** ويسترها **ويغفر لكم** بالتجاوز والعفو
عنه وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما
تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم **والله ذو الفضل العظيم**
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما
يوجب تقواه عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل **واذ يمكر
بك الذين كفروا** تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله
في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ۞
ليثبتوك بالوثاق والحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه

حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من
البيات وليقيدوك **او يقتلوك** بسيوفهم **او يخرجوك** من مكة
وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال
انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا
ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي
ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس
الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان
تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل
النبي عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على
مضجعه فخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار **ويمكرون
ويمكر الله** برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين
معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال
هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم
واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
هو قول نضر بن الحرث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم

فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية
مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد
تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه
مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان
هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك
القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان
القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب
اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه
الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي عليه السلام
وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل
كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف
في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه
والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم

مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك
الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية
لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد
بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة
او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا وقرئ صلاتهم
بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب وعدم
ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة
الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم
يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة
واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد
الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا

المال على حرب محمد صلى الله عليه وسلم لعلهما لم يترك منه ما ان ينفقوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه
لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل
ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى ثبتوا على الكفر
منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة
بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم
حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه
ويضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم
كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم
قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان
ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم وان
يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على
الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى

لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل
عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى
فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة
الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة
على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب
وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به
ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اى الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا
خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان
ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد
قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين
به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان
يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل
الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضي الله عنه سقط
سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية
وعن مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى راى الامام يصرفه الى ما يراه
اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف
سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة

ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم
الرسول ولذي القربى بني هاشم وبني المطلب لما روي انه عليه السلام
قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما
هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت
اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم
وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم
ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس
عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه
واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم و
اقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه
العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا
على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي
الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير
فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا
بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالحركات الثلث وقرئ بها
والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم
بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسها قلب الواو كالدنيا

والعليا

والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل
من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة
القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو
تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة
منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان
يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله
مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة
شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح
وقرأ ابن كثير برواية البزي ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام

للحمل على المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من
آمن وثوابه ولعله جمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
إذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر
به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات
الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها وإذ يريكموهم اذ
التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من
الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى
جنبه اتراهم سبعين قال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه
السلام ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور
قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم
حتى يرونهم مثليهم لتفاجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم
آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا
لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن
ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان
مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء
على الوجه المحكي وهاهنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه
وإلى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم
جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب

في القتال فاثبتوا للقاهم واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا
يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال وأطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا
جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعار للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها
الحقيقة فان النصر لا يكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة
والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة
حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى
نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من
حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى
المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى
واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله
معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن
على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين
لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان

لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم
وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا
اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس
صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي
تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد
ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما
رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة
سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من كنانة
فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين
اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث بن
هشام وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه
من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم
ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم
شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر

هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا
وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب
لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته
البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان
لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر
والظرف وكذا المفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل
وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا
واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة
او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل
المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم
بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار
منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب
بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصي وهو خبر
لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على ان
سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا
ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد
كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم و
طريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل

فرعون **كفروا بآيات الله** تفسير لدأبهم **فأخذهم الله بذنوبهم** كما
أخذ هؤلاء **إن الله قوي شديد العقاب** لا يغلبه في دفعه شيء **ذلك**
إشارة إلى ما حل بهم **بأن الله** بسبب أن الله **لم يك مغيرا نعمة
أنعمها على قوم** مبدلا إياها بالنقمة **حتى يغيروا ما بأنفسهم** يبدلوا
ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن
تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في
إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل
ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى تغير حالهم وأصل يك
يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف
اللينة تخفيفا **وأن الله سميع** لما يقولون **عليم** بما يفعلون **كدأب آل
فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون** تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله
بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ
به والثاني لتشبيه التغيير في النعم بسبب تغييرهم ما بأنفسهم **وكل** من
الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش **كانوا ظالمين** أنفسهم بالكفر
والمعاصي **إن شر الدواب عند الله الذين كفروا** أصروا على الكفر ورسخوا
فيه **فهم لا يؤمنون** فلا يتوقع منهم إيمان المعطوف عليه يستدعي تحقق
المعطوف وقوله **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل
مرة** بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود
قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا

نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن
الأشرف إلى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة
مرة المعاهدة أو المحاربة **وهم لا يتقون** سبة الغدر ومغبته أو لا
يتقون الله فيه أو نصر المؤمنين وتسليطهم عليهم **فإما تثقفنهم** فإما تصادفنهم
وتظفرن بهم **في الحرب فشرد بهم** ففرق عن مناصبتك ونكل عنها
بقتلهم والنكاية فيهم **من خلفهم** من وراءهم من الكفرة والتشديد
مشتمل على الاضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم
والمعنى واحد فإنه إذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء **لعلهم
يذكرون** لعل المشردين يتعظون **وإما تخافن من قوم** معاهدين
خيانة نقض عهد بأمارات تلوح **فانبذ إليهم** فاطرح إليهم عهدهم
على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه
يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع
الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو من المنبوذ
إليهم أو منهما على غيره وقوله **إن الله لا يحب الخائنين** تعليل للأمر
بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف
ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله **الذين كفروا سبقوا** مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم أو الذين كفروا أو
المفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف
لأن أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على **إنهم لا
يعجزون** بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين
أي مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم

لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان
الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ
العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا
لهم ايها المؤمنون لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعته عليه
السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر
لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال
بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة
ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل على الملائكة ترهبون به
تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم
من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا
تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب
وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى باللام والى للسلم للصلح
او الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث
الضمير لحمل السلم على نقيضها قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف
من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وحيفه انه هو
السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب

لانضمامها معهم وقيل عامة لنسخها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم
حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام
القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده
وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم
فانساهم الله ذلك وألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها
النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل
النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك
او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله
والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في
حثهم عليه واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص
من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة
الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة

ما الفت بين قلوبهم

اي بالغ عداوتهم الحد لو
انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض
من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
ولكن الله ألف بينهم

سيف مهند

بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات
المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قَتلوا ولا يستحقون من
الله إلا الهوان والخذلان **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين بإذن الله** لما أوجب على الواحد عشرة ومنع الطرح
والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم مقاومة الواحد الاثنين وقيل كان
فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر
الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن
وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم
وحمزة والضم وهو قراءة الباقين **والله مع الصابرين** بالنصر والمعونة
فكيف لا يغلبون **ما كان لنبي** وقرئ للنبي على العهد أن يكون له أسرى
وقرأ البصريان بالتاء **حتى يثخن في الأرض** يكثر القتل ويبالغ فيه حتى
يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض إذا أثقله
وأصله الثخانة وقرئ يثخّن بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** حطامها
بأخذكم الفداء **والله يريد الآخرة** والله يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل الآخرة
من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله أكل امرئ
تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا **والله عزيز** يغلب أولياءه على أعدائه **حكيم**
يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة
للمشركين وخيره بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين
روي أنه عليه السلام أتي يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب
فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضي الله عنه قومك وأهلك استبقهم لعل الله

يتوب

يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب
أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب
له ومكن عليا وحمزة من أخويهما ولنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن
وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر
مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فأخذوا
الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو
وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت
فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الأنبياء يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن
لا يقرون عليه **لولا كتاب من الله سبق** لولا حكم من الله سبق إثباته
في اللوح وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر أو قوما
بما لم يصرح لهم بالنهي عنه أو أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم **لمسكم**
لنالكم **فيما أخذتم** من الفداء **عذاب عظيم** روي أنه عليه السلام قال
لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لأنه أيضا أشار
بالإثخان **فكلوا مما غنمتم** من الفدية فإنها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا
عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره أبحت لكم الغنائم
فكلوا وبحوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة **حلالا** حال
من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم منه
بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الأولين ولذلك وصفه بقوله **طيبا واتقوا الله**

في مخالفته إن الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم أباح لكم ما أخذتم يا أيها
النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى وقرأ أبو عمرو من الأسارى إن
يعلم الله في قلوبكم خيرا إيمانا وإخلاصا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من
الفداء روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفدي نفسه وابني
أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت
فقال فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني
لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل فقال وما يدريك قال أخبرني به ربي تعالى قال فأشهد أنك لصادق
وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها
في سواد الليل قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم
ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة
وأنا أنتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور
رحيم وإن يريدوا يعني الأسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد
خانوا الله من قبل بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل فأمكن منهم
أي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم
والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا يعني المهاجرين هاجروا
أوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا بأموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح
وأنفقوها على المحاويج وأنفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين
آووا ونصروا هم الأنصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم
أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والأنصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم

أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من
ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم
بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة كأنه بتوليه صاحبه
يزاول عملا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم
على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم
لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض
في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم
وبين المسلمين إلا تفعلوه أي إن لا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي
بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن
فتنة في الأرض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر
وفساد كبير في الدين والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا
لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان منهم هم الذين حققوا
إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم
الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم
ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من
بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون
والأنصار وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب
في كتاب الله في حكمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث
ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة
الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من
النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته
يستغفرون له ايام حيوته ونفعنا الله تعالى به سورة براءة مدنية
وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر
التوبة والمخزية والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهي التبرئة منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة
وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع
الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة
او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة
الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة
ولم تكتب بسم الله **براءة من الله ورسوله** اي هذه براءة ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ
لتخصيصها بصفتها والخبر **الى الذين عاهدتم من المشركين** وقرئ بنصبها
على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به
المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة
على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق
الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا
منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين

اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال **فسيحوا في الارض اربعة اشهر**
شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ
كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر
رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا
رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل
التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني
ليس على العموم لانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته
بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة
الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا
رجل من اهلي **واعلموا انكم غير معجزي الله** لا تفوتونه وان امهلكم
وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة
واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان
والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين **يوم الحج الاكبر** يوم العيد لان
فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام

وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين {أن الله} أي بأن الله {بريء من المشركين} أي من عهودهم {ورسوله} عطف على المستكن في بريء أو على محل أن واسمها في قراءة من كسرها إجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم أن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين {فإن تبتم} من الكفر والغدر {فهو} فالتوب {خير لكم وإن توليتم} عن التوبة أو ثبتم على التولي عن الإسلام والوفاء {فاعلموا أنكم غير معجزي الله} لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا {وبشر الذين كفروا بعذاب أليم} في الآخرة {إلا الذين عاهدتم من المشركين} استثناء من المشركين أو استدراك فكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم {ثم لم ينقصوكم شيئا} من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط {ولم يظاهروا عليكم أحدا} من أعدائكم {فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم} إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين {إن الله يحب المتقين} تعليل وتنبيه على أن إتمام عهدهم من باب التقوى {فإذا انسلخ} انقضى وأصل الانسلاخ الخروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة {الأشهر الحرم} التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم

وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها {فاقتلوا المشركين} الناكثين {حيث وجدتموهم} من حل وحرم {وخذوهم} {واحصروهم} بينهم وبين المسجد الحرام {واقعدوا لهم كل مرصد} كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف {فإن تابوا} عن الشرك بالإيمان {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة} تصديقا لتوبتهم وإيمانهم {فخلوا سبيلهم} فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله {إن الله غفور رحيم} تعليل للأمر أي فخلوهم لأن الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف وعدهم الثواب بالتوبة {وإن أحد من المشركين} المأمور بالتعرض لهم {استجارك} استأمنك وطلب منك جوارك {فأجره} فأمنه {حتى يسمع كلام الله} ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر {ثم أبلغه مأمنه} موضع أمنه إن لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل {ذلك} الأمر أي الأمن {بأنهم قوم لا يعلمون} ما الإيمان وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون الحق {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله} استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغر صدورهم أو لأن يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله وهو على الأولين صفة للعهد أو ظرف له أو ليكون وكيف على الأخيرين حال من العهد وللمشركين إن لم يكن خبرا فتبيين {إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام} هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أو الجر على البدل أو الرفع على

وخذوهم وأسروهم والأخيذ الأسير
واحصروهم واحبسوهم أو حيلوا بينهم

ان الاستثنا منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفا وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق
وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين
سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقا حكمه مع
التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت
بالقرى اى فكيف مات وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان
يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا او قرابة قال
حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل
ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا
به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده
الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشي اذا حدده او من
ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا
ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف ل
بيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر
ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد
اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم
وتابى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا
عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السو اشتروا بايات الله استبدلوا

بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار
والفا للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى الصد انهم سا ما كانوا يعملون
عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وهو تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود
او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة
فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم
في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض
للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او لخصال التائبين وان
نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او
الوفا بالعهود وطعنوا في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة
على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقا بالقتل وقيل
المراد بالائمة رؤسا المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او
للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب
ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن وقرا هشام بادخال
الالف بين الهمزتين وروي عنه ايضا الخلاف في ذلك انهم لا ايمان لهم
اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي
اذا طعن في الاسلام نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله
وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث

بعض ثم نقيل لرده المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يوفون على
الاخبار عن قوم معينين او نفي الايمان عنهم فيراعوا لاجله لعلهم
ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم
عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض
على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا
في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم
بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة
والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم أتخشونهم أتتركون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا
اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه
قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه
والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور
قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد
اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء

ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ
ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال
كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وبما
يكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وارادة نفي المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا
عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة يوالونهم يفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو
كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم
ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو
المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم
بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره
روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له
علي عليه السلام في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا
لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت ٥
اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي

وفي النار هم خالدون لاجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة أي إنما تستقيم عمارتها
لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش و
تنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم
تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي
المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان
بالله قرينته وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة
عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية
لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم
وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم
ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن
بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة
مصدرا سقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم
أهل سقاية كمن آمن أو أجعلتموها كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة
من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون
وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم
بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله

ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم
وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم
وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة
ممن لم تجتمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك
هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم
دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء
التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد
يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما
استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا
قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت
نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
أولياء يثبطونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا
الكفر على الإيمان إن اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم
فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل
من العشيرة فإنها الكثيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها أحب
إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي

فان قل من يتحمل معه التكاليف الا المحفوظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب
ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقلّ من يتخلص منه
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم
حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر الموطن
بالوقت كمقتل الحسين عليه السلام ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه
أن يعطف على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف
حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة
والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر
ألفا العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيف
وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر رضي الله عنه
أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا
فأدرك المسلمين إعجابهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابن عمه
أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس
وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا يا أصحاب الشجرة يا أصحاب
سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة
فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض بما
رحبت برحبها أي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن إليه نفوسكم من

شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال
ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين
الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها
بأعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف
الأقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك جزاء
الكافرين أي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للإسلام والله غفور رحيم يتجاوز
عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناسا منهم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا
وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من
الإبل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا إما سباياكم
وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري و
الأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن
يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه
مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه أنهم رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس
لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أو لأنهم لا
يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه

ودليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اعيانهم
نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد
واكثر ما جاء تابعا لرجس **فلا يقربوا المسجد الحرام** لنجاستهم وانما
نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج
والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر
المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع
وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم
من المكاسب والارفاق **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه او تفضله
بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل
تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال **ان**
شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك
وان الغنى الموعود لبعض دون بعض وفي عام دون عام **ان الله عليم**
باحوالكم **حكيم** فيما يعطي ويمنع **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم**
اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو
الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا **ولا يدينون دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون **حتى يعطوا الجزية** ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه **عن يد** حال من الضمير اي عن

يد مؤاتية يعني منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي
غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير
او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم
بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد **وهم صاغرون**
اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي
تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية
من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه صلى الله عليه وسلم اخذها من
مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه صلى الله عليه وسلم
صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر
الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة
على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب **وقالت اليهود عزير ابن الله** انما قاله بعضهم
من متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد
وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم
التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل
على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه
عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع
صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف

الابن او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وان كان الخبر المقدر **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها **ذلك قولهم بافواههم** اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان **يضاهئون قول الذين كفروا** اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه **من قبل** اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض **قاتلهم الله** دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم **انى يؤفكون** كيف يصرفون عن الحق الى الباطل **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم **والمسيح ابن مريم** بان جعلوه ابنا لله **وما امروا** اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ **الا ليعبدوا الها واحدا** وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله **لا اله الا هو** صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد **سبحانه عما يشركون** تنزيه له عن ان يكون له شريك **يريدون ان يطفئوا نور الله** حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه

عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **بافواههم** بشركهم او تكذيبهم **ويابى الله الا ان يتم نوره** لا يرضى الا باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي **ولو كره الكافرون** محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق** كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر **ولو كره المشركون** غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم **يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل** يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه **ويصدون عن سبيل الله** دينه **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله صلى الله عليه وسلم

فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من
نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما
يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها و
اصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل
الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير
وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال
علي كرم الله وجهه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا
قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام و
بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها
على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم و
ظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم
الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه
وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي
هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول
لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم
تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون
ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر
اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر
وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت

او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق
الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة
سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم
الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل والعرب ورثوه
منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه
لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم وفي الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد
الاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر
كف عن الكف فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله
مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي
تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي
بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه
تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به
الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله يحلونه عاما يحلون النسيء
من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر فيتركونه على حرمته
قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم

ويحرمونه عاما

فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال **ليواطئوا**
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه
او بما دل عليه مجموع الفعلين **فيحلوا ما حرم الله** بمواطاة العدة وحدها من
غير مراعاة الوقت **زين لهم سوء اعمالهم** وقرى على البناء للفاعل وهو الله
تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا **والله لا يهدي**
القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء **يا ايها الذين آمنوا ما**
لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرى تثاقلتم على الاصل واثاقلتم
على الاستفهام للتوبيخ **الى الارض** متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل
فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف
في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم **ارضيتم**
بالحيوة الدنيا وغرورها **من الآخرة** بدل الآخرة ونعيمها **فما متاع**
الحيوة الدنيا فما التمتع بها **في الآخرة** في جنب الآخرة **الا قليل** مستحقر
الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه **يعذبكم عذابا اليما** بالاهلاك
بسبب فظيع كقحط وظهور عدو **ويستبدل قوما غيركم** ويستبدل بكم آخرين
مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس **ولا تضروه شيئا** اذ لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول صلى
الله عليه وسلم اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق
والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بلا مدد كما قال **الا تنصروه فقد نصره الله** اي ان لم تنصروه فسينصره الله
كما نصره **اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين** ولم يكن معه الا

رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه او ان لم تنصروه فقد اوجب
الله النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج
الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله بالخروج وقرى
ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب
ونصبه على الحال **اذ هما في الغار** بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد
به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا **اذ يقول** بدل ثان او ظرف لثاني **لصاحبه** وهو ابو بكر رضي الله
عنه **لا تحزن ان الله معنا** بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا
فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا
يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه **فانزل الله سكينته** امنته التي تسكن عندها القلوب
عليه على النبي صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا
وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او
ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر **وكلمة الله**
هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول
صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده اياه بالملائكة
في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب
على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها
وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل **والله عزيز حكيم** في

لنشاطكم له أو لمشقة عليكم أو لقلة
عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن
انفر فقال نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
في سبيل الله بما أمكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه
إن كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبر الله به
فصدقتموه فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا
قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن
بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون بالله أي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو
استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم
ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه
يهلكون أنفسهم بإيقاعها في العقاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب
ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم إنهم لكاذبون في ذلك
لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الإذن فان
العفو من روادفه لم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه
والمعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت
حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه
قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذه الفداء
واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم

الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك
في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه
فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة
ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه إنما
يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص
الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع
عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة اهبة وقرئ
عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وعده بكسر
العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله
ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم
أي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع
القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم
بخروجهم شيئا إلا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال
حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا
ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل
من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا

الرسول صلعم

وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون
حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد
ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد
فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك
الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى
جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون
اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن
تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا
تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع
المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان
جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني
اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا
فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم
لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لان احاطة اسبابها
بهم كوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة
كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا

رأيهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول
صلى الله عليه وسلم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا
في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو
من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه
من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا
ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا
على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى
العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص
بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من
السماء او بأيدينا او بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو
عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن
يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او
كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا
بان يمتحنوا فينفقوا فينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس
واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه
وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان
وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي
ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ نقبل على ان الفعل لله
ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون

كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون
فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا
لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين
وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان
تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه
مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون
فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون
ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن
كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان
لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل نزلت في ابي الجواظ المنافق قال
الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل
في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله
فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية
ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة
وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بامره وقالوا

حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى
ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله
والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين
مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له
ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار وكانه اصيب فقاره والمسكين
من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون وانه صلى الله عليه وسلم يسأل
المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين
عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف قد يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام
نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه صلى الله
عليه وسلم كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف
قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير
سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في
فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب
فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى
في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها و
الغارمين والمديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح

ذات بين وان كانوا اغنياء كقوله لا يحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في
سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على
المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها **وفي سبيل الله** وللصرف
في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء
القناطر والمصانع **وابن السبيل** المسافر المنقطع عن ماله **فريضة من
الله** مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير
المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة **والله عليم حكيم**
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية
بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد
وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله
على ان الاية بيان ان الصرف لا يخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم **ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن** يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي
بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس
عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد
اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول **قل اذن خير لكم** تصديق
لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله
ثم فسر ذلك بقوله **يؤمن بالله** يصدق به لما قام عنده من الادلة **ويؤمن
للمؤمنين** ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان **ورحمة** اي وهو رحمة **للذين آمنوا**

منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على
انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة
بالجر عطفا على خير وقراءة النصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن
لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر
ثان **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم** بايذائه **يحلفون
بالله لكم** على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا **ليرضوكم** اي لترضوا عنهم
والخطاب للمؤمنين **والله ورسوله احق ان يرضوه** احق بالارضاء
بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام
في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه او لان التقدير والله احق ان
يرضوه والرسول كذلك **ان كانوا مؤمنين** صدقا **الم يعلموا انه** ان الشان
وقرئ بالتاء **من يحادد الله ورسوله** يشاقق مفاعلة من الحد **فان له نار
جهنم خالدا فيها** على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا من يحادد الله ورسوله
يهلك وقرئ فان بالكسر **ذلك الخزي العظيم** يعني الهلاك الدائم **يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة** على المؤمنين **تنبئهم بما في قلوبهم**
وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم
ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء
وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله **قل
استهزءوا ان الله مخرج** مبرز او مظهر **ما تحذرون** اي ما تحذرونه من
انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم **ولئن سألتهم**

ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا
فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما
يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزئون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاما للحجة
عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فإنها معلومة الكذب قد كفرتم قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول صلى الله
عليه وسلم والطعن فيه بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف
عن طائفة منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق أو مقدمين على
الإيذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما
وهو الله وإن نعف بالتاء والبناء للمفعول ذهابا إلى المعنى كأنه قال إن ترحم
عن طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي متشابهة في النفاق
والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد وقيل إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فإنه يدل على مضادة حالهم
لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الإيمان والطاعة ويقبضون أيديهم عن المبار فقبض
اليد كناية عن الشح نسوا الله أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم
فتركهم من لطفه وفضله إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار

نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها و
لعنهم الله أبعدهم من رحمته وأهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم أي
أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
وأكثر أموالا وأولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم
فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى
التقدير فإنه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ
الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم وخضتم ودخلتم
في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا أو كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض
الذي خاضوه أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا في الدارين وأولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة
ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح أغرقوا بالطوفان
وعاد أهلكوا بالريح وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلك
نمرود وأهلك أصحابه وأصحاب مدين وأهل مدين
وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت
بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل أو قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر أتتهم
رسلهم بالبينات يعني الكل فما كان الله ليظلمهم أي لم يكن من
عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله في سائر الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة فإن السين مؤكدة
للوقوع إن الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع
الأشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث
أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر في جنات عدن
إقامة وخلود وعنه صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين
ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل إلى أن يكون إلى تعدد
الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو إلى تغاير وصفه وكأنه وصفه
أولا بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم
أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن الشوائب
الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ
الأعين ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها
فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال ورضوان من الله أكبر لأنه
المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى
الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا
لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من
ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم

أبدا ذلك أي الرضوان أو جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر
دونه الدنيا وما فيها يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بإلزام
الحجة وإقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي أنه صلى الله عليه وسلم أقام
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن
سويد لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت
توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر بعد إظهار
الإسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن
خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته
إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف
الإبل وقعقعة السلاح فقال إليكم يا أعداء الله فهربوا أو إخراجه وإخراج
المؤمنين من المدينة أو يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما أنكروا أو وما وجدوا ما يورث نقمتهم
إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في
ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم
وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألف
درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل فإن يتوبوا يك
خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك
للتوب وإن يتولوا بالإصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا

في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير
فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لا
عطين كل ذي حق حقه فدعا له واتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسال عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه
الاخوية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى
ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم
يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه فلما آتيهم من فضله بخلوا
به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم
ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى
فاورثهم البخل نفاقا الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه
وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان

خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ
يكذّبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق
او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين
يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون
بالضم المطوعين اي المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه صلى
الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف
درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة فامسكت لعيالي
اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين
الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري
بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي و
جئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله
ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو
مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزئون بهم سخر
الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم
على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين
في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة

فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت
فقال عليه السلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من
السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراءه فبين له ان المراد التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة
والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام
العدد فكأنه العدد بأسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة
الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور
فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم
الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان
مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره
المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول صلى الله عليه
وسلم في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون
على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين
آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو
خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون
انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم

مقعها

لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثر
تموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها
ايثارا للدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون اخبار عما يؤولون اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة
الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين
عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم
فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم
لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة وكان اسقاطهم عن ديوان

إنكم رضيتم بالقعود أول مرة تعليل له

الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع
الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع
الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه
في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب
ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه
ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافأة
لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على
الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على
قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا

وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير
للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة
من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا بالله
ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم
ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا
بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا
خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول
من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو
خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة
والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة
تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم
من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان
استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر
بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر
اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر
اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون

من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال
على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف
في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الايمان وان كان هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب او المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى
والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة
وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة
في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا
يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس
عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير
للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله
غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من
الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير
وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن
معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما
احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب

اذا وأعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي
مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه تدل
على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او
المصدر لفعل دل عليه ما قبله ألا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا
او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك
وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف
لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام
في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن
وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة
لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي
الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله
عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة
وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع
الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن
علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب
عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم
فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان
المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو
علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال
انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل

ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا
عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم
لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله
وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله
فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن
الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات
نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر
لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب
والسنة وأجدر ألا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل
الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق
به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه
وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء
عليهم بنحو ما يتربصون به او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة
في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان
والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع
لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرونه ومن الاعراب

يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات
وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات
الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق
عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام
اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره ألا انها
قربة لهم شهادة من الله للمتصدق بصحة معتقده وتصديق لرجائه على الاستئناف
مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله
في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله
غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية
في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى كانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع
عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله
عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه
الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير
من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم و
وممن حولكم من حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة

وممن حولكم

عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا
على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن
جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه
بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق
لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم
في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك
لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او
باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون الى
عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا
بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على
سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله فدخل المسجد
على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار
الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق
والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة
على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم
ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله
غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا

فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من
اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي
بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم
تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ
حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن
في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض
عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن
لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ
شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم
فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى
لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب
والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه
وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم
من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو
وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق
واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين
بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ

والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية و
مرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله
فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او
مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على
الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا
مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا
لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى
نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
ابن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا
يجتمعون للصلاة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله
من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين
انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان
يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل

متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه
فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا
ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة
على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا
للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة
لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد
رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه
اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي
والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون
عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء
المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال
أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا
معهم فقال عليه الصلوة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال
أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال

يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند
الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس
بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به
في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما
وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره
به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك
على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته
التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في
النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن
عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على
الاضافة واسس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على
ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله
ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب
شكهم وتزايده فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله

عليه وسلم ورسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول ورسمه على قلوبهم
إلا أن تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار
وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأزمنة وقيل المراد بالتقطع
ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا
وقرأ يعقوب إلى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر
وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل
والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما أمر بهدم بنائهم إن الله اشترى
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم
الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استئناف ببيان ما لأجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الأمر
وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب
الترتيب وأن فعل البعض قد يسند إلى الكل وعدا عليه حقا مصدر
مؤكد لما دل عليه الشرى فإنه في معنى الوعد في التوراة والإنجيل
والقرآن مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن ومن أوفى بعهده من
الله مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال
وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح أي هم التائبون والمراد
بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره
التائبون من أهل الجنة أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على
الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا

صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون
لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله
عليه الصلاة والسلام سياحة أمتي الصوم شبه بها لأنه يعوق عن
الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك
والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلاة الآمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في
حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون
لحدود الله فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله
مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل إنه للإيذان بأن التعداد قد تم
بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد
آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به
هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه
على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك و
حذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة
أحاج لك بها ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر
أمه ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي
واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين ولو كانوا أولي
قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر

بها وعدها أبي بقوله لأستغفرن لك

وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع
النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن لك
اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة
من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له
انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه
قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه
ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له
مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم
مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى
يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن
استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول
في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان
الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات و
الارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم
من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ
عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه
ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤوا عما
عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار من اذن للمنافقين في التخلف او برأهم عن
علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل

هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص
دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام
الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم
في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين
كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من
الثبات على الايمان او اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب
غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير
للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب
عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو
مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا علموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم
تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التائبين او رجع اليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في
اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا
مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين
اى في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم

عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده
من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل
ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح
ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا الجزم والنصب وذلك
اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا
يطؤن موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو
نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب و
ذلك مما يوجب المتابعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب و
تنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوي للمجنون واما في حق المومنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل
اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم
الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان
المومنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلد جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا

الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم
ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه
دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان
يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم
يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب
المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المومنون
الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى
اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل
والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي وضمير النافرين اذا
رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا
بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حول المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة
وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم
من المنافقين من يقول انكارا او استهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم
بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل
من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا

الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى
ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرا حمزة بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف
البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليهم من الايات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية
وغيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة
الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان يراهم اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته
مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي
مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم
المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على
الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو
رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام و
المقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل
هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس مكية
وهي مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن
ابن كثير ونافع وحفص وقرا ورش بين اللفظين وامالها الباقون اجراء لالف
الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من

الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم
او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه
ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب و
اللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل
منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصر نظرهم على الامور
العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصر
على عظمائهم فيما يعتبر فيه الا المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان
اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في الانعام
ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا
وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة
اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة
رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق
لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا
يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان
الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقري ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام التي
هي اصول الممكنات ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته
حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار
الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله
ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله

اي الموصوف تلك الصفات المقتضيه للالهيه والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في
شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على
انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى
غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد الله حقا مصدر
آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم
او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من
حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان
المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى
اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء
ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما
كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله تعالى المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة
ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله
او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط والياء منقلبة من الواو وقرأ ابن كثير ضئاء برواية قنبل في كل القرآن ضئاء بهمزتين
في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة
وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى
بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره
منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه
بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله

لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم و
تصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة
يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان
وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض
من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم
يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا
يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا
من الآخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين
هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير
الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات راسا والانهماك في
الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين
من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الآجل
والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل
يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو
الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية
وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال
من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه او من الانهار
او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم آخر دعائهم .

ان الحمد لله رب العالمين اي يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن
الآفات والفوز باصناف الكرامات والله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان
هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان
استعجالهم به تعجيل لهم وبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم
بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ
ابن عامر ويعقوب لقضى على بناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل و
لكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته
مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع
الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره
او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال
ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه اي كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات و
لقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال
القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو
حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي
كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق ا

انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع
الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم
استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون
اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف مفعول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات
الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن
غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد
الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك
آية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل
لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون
فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات
ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب
وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه
ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم
ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ ابن كثير برواية قنبل والبزي بخلاف عنه
ولادريكم بلام التاكيد اي ولو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى
انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم
بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع
اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي

حتى تحصله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين
سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق
للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق
وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص
الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون
اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله تعالى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم
على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر و
المعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة
ان يكن بعث وكانهم شاكون فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموحد
الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم
عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو انه شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او
هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في
السموات ولا في الارض حال من العايد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون
من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور
مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين
يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين اول النحل والروم بالتاء وما
كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك

ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وبعد الطوفان او على الضلال في فترة من
الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طايفة واصرت
اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى
يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك
المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها
فقل انما الغيب لله هو مختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل
الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة
صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها
والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم
قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقع جوابا لاذا
والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان
يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم
على السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل من الخطاب الى الغيبة للمبالغة
كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا
بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا

الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من
شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما
انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا
اليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه
على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه
على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا خبر بغيكم
ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب
فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او
مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد
اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك
بسببه حتى خلط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها
المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله
تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحها ليلا او نهارا فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم تغن زرعها اي لم
تنبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله

وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات
فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع به اهله وظنوا
انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك
نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام
دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك
او دار يسلم الله والملئكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله
رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا على مذهب من
يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه
على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء
او تقديره مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من
سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من

الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو الموصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان

الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي من يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا

اهدي او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح و
عزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغمت وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا
ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على
المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تميز ونظر ولا
يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من
الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم
في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد
على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله
افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها ولا يكون كاذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه
بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تعالى تصديق الذي و
قرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من
العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين
خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض
او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد
المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه

محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن
النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم
والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به
من دون الله سوى الله فانه تعالى وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل
ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث
والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ
اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق
او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان
يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم
التحدي فراموا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن
المكذبين من يؤمن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب
عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على
الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على
تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي و
لكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي
ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنه وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف و
منهم من يستمعون اليك اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا
افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم

وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع كلام الله تعالى فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به
البهايم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة الوهم
ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم
غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلايل نبوتك
ولكن لا يصدقونك افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان
انضم الى عدم البصر عدم البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير
الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب
حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
اسبابه وقرا حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع
الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان
لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة
او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في
يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل
المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم واما نرينك بعض
الذي نعدهم بنصرتك بعض الذي نعدهم في حياتك من العذاب كما اراهم يوم بدر او نتوفينك
قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف

فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها
ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مود شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم
الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم
بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون
وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء هم رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المومن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعاد له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمومنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله كاين لكل امة اجل
مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون
ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي
تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم
ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو
متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان
يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او
عرفوا الخطاء فيه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة
متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الان
على تقدير القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون

من الكفر والمعاصي ويستنبئونك يستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة
تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على
اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فانه تعريض بانه باطل
واحق مبتدا والضمير المرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في محل النصب بيستنبئونك قل
اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى
نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما
انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير ما في الارض
من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه
واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لما عاينوا مما لم يحتسبوا من فظاعة الامر وهوله
فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه
يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن به وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا
اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة و
العقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم
لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا
فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة و
الممات قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة
العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن الزاجرة عن المقابح و
الحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين

ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها عن ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيهما للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا
والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله
واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد
روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال
وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها
المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر
في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم
دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه
انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله
اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك
اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة بمعنى الهمزة فيها تقريرا لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن

اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت
شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه له لان تلاوة القران معظم شان
الرسول صلى الله عليه وسلم او لان القران يكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران فاضماره قبل الذكر ثم بيانه
تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا
رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبا من مثقال ذرة يوازن نملة
صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا
غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقدم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه
البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه
مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار جعل
الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والاية مجملة تفسيره
قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون قيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان توليهم لربهم لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف
الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض

لتحقق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك
قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا
استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم
فكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملئكة والثقلين واذا كان
هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا
يكون ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء على
الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبعون
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء
ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء
والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله
ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان
هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله ويحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد
هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين
الظرف المجرد وبين الظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر
واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور
له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض
ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او

نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا
تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة
وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع
في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم
او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون
الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي
مكاني يعني نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او مقامي على
الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم
فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل
وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل
انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع
والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله
وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا
من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم
او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن
تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني
لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او
توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه

فاصروا

فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت
عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين ثمانين
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده
من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم
بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك
دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من
بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع
فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالات
ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين
اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا
يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام
فيه للتقرير والمحكي مقالوا ومقولهم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون
تمام من كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر
تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحر قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف

الملوك الكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء
السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي
جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو
السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب بفعل يفسره ما بعده تقديره اي
شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل
المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله
الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن
لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا
من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا او مؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملئهم
اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون
آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون وهو بدل منه
او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ بسببه وان فرعون لعال
في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط
الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا
من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام
حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت عليه فقالوا على
الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم

الظالمين

الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ان اتخذا مباءة تسكنون فيها او ترجعون اليها
للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو
القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا
يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة
في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور
ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة
في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين
به من اللباس والمراكب واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء
عليهم بلفظ الامر لما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل
اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا
تكريرا للاول وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم مقدمة لقوله ربنا اطمس على
اموالهم اهلكها والطمس المحو وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع
عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء
بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى و
هارون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة
ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان
بوعد الله وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين

ولا يتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جاوزناهم في
البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ وجوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف
وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا ادركته فرعون وجنوده
بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
لحقه قال امنت انه اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ
حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكث
على الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن الان وقد ايست من نفسك
ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين
الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر
ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك
من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي
ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكان له درع من
الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه
كان مظاهرا بها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم
من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى
ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مال امرك ممن
شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم
الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية
كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة
الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا

بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من
اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية
وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز الحق من الباطل بالانجاء
والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك
والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم و
لا اسئلك وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت
ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين
ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة
ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض
قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا
العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت
قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبل الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول
ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز
ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد

من القرى اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا
قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روي ان
يونس بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل
الى اربعين فلما دنا الموعود اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضهم الى بعض وعلت
الاصوات والعجيج فاخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف
عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشا
ايمانهم مجتمعين على الايمان فان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف
الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشا الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على
المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان
خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ
روي انه صلى الله عليه وسلم كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت فلذلك قرره
بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد
نفسك في هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء
وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج و
الايات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا
ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت
استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله
وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا

من قبلهم مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين
هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا
كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا
ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا واصحابه حين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرا حفص والكسائي
ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا
وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا
اعبد ما تختلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي
بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار
من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما
في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء
الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء
عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من
المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان
فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر عن تبعة
الدعاء وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله
وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي اراد لك به ولعله ذكر الارادة مع الخير
والمس مع الضر مع تلازم الامرين تنبيها على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد

الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق
لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده
وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسولا او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير
الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون
سورة هود مكية وهي مائة وعشرون وثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر
كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال
من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت
بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال
نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او
خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره
وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا الا الله وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى
القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل
ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك و
الثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم

بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة
ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى
هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمار لكنها سميت بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل
ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا
الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس
وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون
صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه
او يولون ظهورهم وقرئ يثنون بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة ويثنون ويثنوي
كيرعوي واصله يثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم
للثني وتثنون من كل اثنان كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع عليه رسوله
والمؤمنين قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا
وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم وقيل انها نزلت في المنافقين وفيه
نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى
فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم
وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او
بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها

في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما
بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي
العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون
السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن
الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل الماء
كان على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق ما
خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم
وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل
البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل
علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان
وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى
ذكرت او يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا بانكاره
لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم
يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم
عليه وهو دليل على جواز تقدم خبرها عليها وحاق بهم احاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل

تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه
ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما
سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى
بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي
ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها
وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ
الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة و
الاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن
حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك
تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا
يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ هاهنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا
ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق صدرك والله
على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه
ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا

استسلام كردن منقادن

بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل عليهم الامر وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي
تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة والمعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه
وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم ولا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم
الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا
الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام
الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم الهتهم من باس الله فهل
انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون فيه اذ تحقق عندكم اعجازه مطلقا
ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم فقد عرفتم
من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم
عليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا
الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من
كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا
من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف
على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل
الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار

في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم
السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا
به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير
للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين
علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا
من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب
فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا
وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه اي شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران
من قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القران
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب
بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقراه من قبل القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه
الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن
يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند
اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا

على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين
يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او
يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم
لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان
يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم
ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن
آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون
الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض أولئك
الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من
الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم
انهم في الآخرة هم الأخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وأخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة أولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز ان
يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر
معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه
الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او
صفة او حالا أفلا تذكرون بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع
وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا

او نذير

او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب
وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا
بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم
أراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر او ارذل جمع رذل بادي ظاهر
الرأي وغير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو
بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم بذلك لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف
عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمن اتبعك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة
واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم
بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي على ع
حجة شاهدة بصحة دعوى وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت
عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها
يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما
وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله أنلزمكموها
أنلزمكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه
على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول منه وما
انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم او
انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم
او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع
انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفات والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف

الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي
ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى
اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان
من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله
اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
قلب تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي
الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح
قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت
من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء
عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان
الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق
ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا
طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان
يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته
واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي
وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من
ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر
بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على

طريقة التمثيل ووحينا الينا كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم
ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزؤوا به
لعمل السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له
صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق
في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه يعني اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل حلول الدين الذي لا انفكاك
عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من
الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء منه وارتفع كالقدر يفور
والتنور تنور الخبز ابتدا منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في
الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها
في السفينة من كل من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص
والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك
عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه
من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم
وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة حام وسام
ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روي انه اتخذ السفينة في سنتين
من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل
في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها
اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها و
مرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت

اجراها وارساها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف
محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز ان المراد بهما رفعهما
بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراها باسم الله على ان بسم الله
خبره او صلته والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من
الواو او الهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو فقال
بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي
وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسى وكلاهما يحتمل
الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته
لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا
مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء
عند اضطرابه كل موج كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل ان الماء طبق بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال عشرون
ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه
بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو
خطا لان الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه
على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور
كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها
في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث برواية قنبل وعاصم فانه فتح
هنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر
المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين

في الدين او الاعتزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون
رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين
وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه
والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما
لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من
عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء
نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بامل روي انه ركب السفينة
عاشر رجب ونزل عنها عاشر محرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير
للهلاك وخص بدعاء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة
على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على بناء المفعول دلالة على تعظيم
الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل
هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف
قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وكل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم تنج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم
من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر

واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فا
سد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما
هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء
ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا
تسئلن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سماه سؤالا لتضمن
ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه
وانما سماه جهلا وزجره عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من
سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه
حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير
انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة
للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها برواية ورش في الوصل قال رب اني اعوذ بك
ان اسئلك فيما استقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي ما فرط مني
من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام
منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا
عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد
وهو الخير النامي وعلى امم ممن معك اي وعلى امم هم الذين معك سموا امما لانهم امم او لتشعب الامم
منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك
امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل
قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع
بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبران والضمير لها اي موحاة
اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن الانباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا

قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت و
قومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف
بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين في الدنيا
بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله
نوحا الى قومه وهود عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ
بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء او بجعلها
شفعاء يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه
ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرء
عن الغير انما يكون بعد الايمان والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير
الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما
ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة
دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا
بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك
بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك يعني ما نقول الا قولنا
اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها
وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء

مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون اجابه به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن
اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد
في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء
ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما
منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني
فاني توكلت على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله تعالى وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها آخذ
قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط
مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا
فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام
الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في
ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه
قيل فان تولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف
اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او
امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجينا
هم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل انوفهم وتخرج

من ادبارهم

من ادبارهم فتقطع امعاءهم والمراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك
عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا
بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما
عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين
والعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما
ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة و
يوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا
ربهم جحدوه وكفروا نعمته او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك
والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر به
الدلالة على انهم الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود
عطف بيان لعاد وفائدته تميزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى استحقاقهم البعد
بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي
خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها
وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل
الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا
هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة

من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة
نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن
الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني
الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم
هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال
تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعا والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له افي بك فان
وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا
نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ
وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرا نافع والكسائي ههنا وفي المعارج
من قوله من عذاب يومئذ بالفتح لاكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو
القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان
ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر
وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم
يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل
بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما

سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة
والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما تاخر عنه والجار في ان مقدر
او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا
عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم
نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر
واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا اثر الخوف لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملئكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا
ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا
بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم
اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي
بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها و
قرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه
عطف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين
ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي يعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس
من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه من وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان
يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها
للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا
يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل ءالد وانا عجوز ابنة

تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او
مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على الخبر
مبتدإ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني
الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار
اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعمة والكرامات ليس ببدع ولا حقيق
بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح
او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان
قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم
ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو الجواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في
سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل الجواب المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع
في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة القلب وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت
الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير
ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان فظن انهم
اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
سيء وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت والملك والباقون باخلاص حركة
السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة

المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون
اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل
ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون
لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدا بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او
مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي
يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا
اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا
تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم
فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران
قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي الى ركن شديد قوي امتنع به عليكم
شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى
ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب على اضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا
يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا
واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون
النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل
حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف

او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط **الا امراتك** بالنصب استثناء من قوله
فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل
الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع
على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت
العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة
والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر
القراء على غير الافصح ولا يلزم ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستيناف بقوله **انه مصيبها ما اصابهم** ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع **ان موعدهم**
الصبح كانه علة الامر بالاسراء **اليس الصبح بقريب** جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب **فلما جاء**
امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله **جعلنا عاليها سافلها** فانها
جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلبها عليهم **وامطرنا عليها** على المدن او على شذاذها **حجارة من سجيل**
من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر
عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه عن نون **منضود** نضد معدا لعذابهم او
نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به
مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من
يرمى به **عند ربك** في خزائنه **وما هي من الظالمين ببعيد** فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه
وعيد لكل ظالم وعنه صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا
وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في

اسفارهم

اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان **والى مدين اخاهم شعيبا** اراد
اولاد مدين بن ابرهيم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من
البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض **اني اراكم بخير** بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا
على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة
النهي **واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط** لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط
بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب
لاشتماله عليه **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان** صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها
على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونه **بالقسط**
بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به و
قد يكون محظورا **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار
او في غيره وكذا قوله **ولا تعثوا في الارض مفسدين** فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من
انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع
الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلم وقيل
معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم **بقية الله** ما ابقاه لكم من
الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم **خير لكم** مما تجمعون بالتطفيف **ان كنتم مؤمنين** بشرط ان
تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين
لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء
وهي تقواه التي تكف عن المعاصي **وما انا عليكم بحفيظ** احفظكم على القبائح او احفظ عليكم
اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم
الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم **قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا** من الاصنام

اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه
داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذا
جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف
ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره **او ان نفعل في اموالنا ما نشاء** عطف على
ما اي ان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب
النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك **انك
لانت الحليم الرشيد** تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه و
استبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك **قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي** اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة **ورزقني منه رزقا حسنا**
اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا
كد مني في تحصيله **وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه** اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد
به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا
قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس **ان اريد الا الاصلاح ما استطعت**
اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان
العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس
وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة
موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته
فحذف المضاف **وما توفيقي الا بالله** وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته

عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا **واليه
انيب** اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات
طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشرا
شره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء **ويا قوم لا يجرمنكم** لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي **ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح** من الغرق **او قوم هود** من الريح **او قوم صالح** من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي
جرم لانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من
المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل
بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد
منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء
بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه **ان ربي رحيم** عظيم الرحمة للتائبين **ودود**
فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة لمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول** كوجوب التوحيد وحرمة البخس
وما ذكرت عليهما دليلا وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه **وانا لنراك فينا ضعيفا** لا قوة لك فتمتنع منا ان
اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف
ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين **ولولا رهطك**
قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة

لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك
من الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف
النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر
باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ
والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط
فلا يخفى شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار و
التمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو
ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق
بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب مني ومنكم وكان قياسه
ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
على زعمهم وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب
كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره
بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط
فانه ذكر بعد الوعد وهو وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين
ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة
كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب
الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتوراة و

المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها
ويجوز ان يراد بها واحد والمعنى ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا
في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة
والقاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا
امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما تبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة فاتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى
فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون
برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة
الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ
الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود
اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية
كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان
المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
اي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل
الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك
اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك
القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة
وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا
قدرت ان يدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه
ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك

بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر **اذا اخذ القرى** اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على
المضي **وهي ظالمة** حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها
وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة
ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير **ان في
ذلك** اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم **لاية** لعبرة **لمن خاف
عذاب الاخرة** يعتبر به عظة لعلمه ان ما حاق بهم انموذج مما اعده الله للمجرمين في الاخرة و
احال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك
الايام لا لذنوب المهلكين بها **ذلك** اشارة الى القيامة وعذاب الاخرة دل عليه **يوم مجموع
له الناس** اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع ليوم الجمع ومعنى الجمع له
الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة **وذلك يوم مشهود** اي مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محضر من نواحي الناس مشهود اي كثير شاهدوه
ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك
وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة
مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانها غير معدودة **يوم يأت** اي الجزاء او اليوم لقوله تعالى هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة
لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار
اذكر او بالانتهاء المحذوف **الا باذنه** الا باذن الله لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و
هذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون
فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة **فمنهم شقي** وجبت له النار بمقتضى الوعيد
وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله
لا تكلم نفس او للناس **فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق** الزفير اخراج النفس والشهيق

رده واستعمالهما في اول النهيق واخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن
استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم
خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص
دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون
عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم
ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم
لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سماوات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما
لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا
يجدي له التشبيه **الا ما شاء ربك** استثناء من الخلود في النار لان المراد موات الاخرة بعضهم وهم
فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله
عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ
معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا
بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة
كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد
ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا
يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من
العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان
الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا
التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا

بمعنى سوى كقولك على الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر
لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع.
مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس
الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص
سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله لغة في اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا
عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية في شك بعد ما انزل اليك من مآل الناس مما يعبد
هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء
عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل
استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون الا كعبادة ابائهم
من ذلك فيلحقهم مثل ما لحقهم لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد
فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذر ل
التاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته
حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به
قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي
بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن
مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه
وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات
فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله

اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت
عنه شيء وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب
في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في
العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من
تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت
للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن
تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد
بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف
بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو
الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي
عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على
نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول
من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياكم وقد اوعدكم بالعذاب واوجبه لكم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم
الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل

وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة
الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما
بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر في
بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى بمعنى قربة ان الحسنات يذهبن السيآت يكفرنها وفي
الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكباير وسبب النزول ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير ان لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله
الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات
وعلى المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود و
دليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا فهلا كان
من القرون من قبلكم الو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل
ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه
يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم
لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا
مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم و
اتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ
المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ
واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم
الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى
شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم

الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد
الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق و
بعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله
من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او
قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما
وكلا وكل نبإ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او
بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات
نفسه صلى الله عليه وسلم على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر
بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به من فؤادك من انباء الرسل وجاءك
في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى
ساير فوايده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا
وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات ١١
والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرئ نافع وحفص فيرجع
على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على
انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن
عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى
وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله سورة يوسف مكية وآياتها مائة واحدى عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين اشارة

الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات آيات السورة الظاهرة امرها في الاعجاز
او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان
علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
فنزلت انا انزلناه قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما
بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول
وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله
بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم
فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن
القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لانه يشتمل على العجائب والحكم
والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا
بايحائنا اليك هذا القران يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على
المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك
قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو
كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا انه مضارع بني للمفعول او الفاعل
من آسف لان المشهورة شهدت بعجميته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض
حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف
الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ
بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن

كاصلها لانه حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيصح تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا
لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن
يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها
يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم
لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها
بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة لا
تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام
من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهو
انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال
النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك
فتصير مشاهدة ثم ان كان شديد المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه
معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو
مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير

الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة
او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبيا وكلمات الحكما وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع
الباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان وصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب يريد
به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل
على ابرهيم بالخلة والانجا من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح من قبل من قبلك
او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشيا كما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلايل قدرة الله
وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير آية للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة
وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها
يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم
يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة
اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من طرفين
احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جايز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك
لان الامور يعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في
المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل واخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد
قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضي
به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك
نصب كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم

ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب
باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره قتلا او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم فيصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم
فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره
سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرا نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه
لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه بعض السيارة بعض
الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا
ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه
وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه استنزاله عن رايه في حفظه
منهم بما تنسم من حسدهم والمشهورة تامنا بالادغام بالاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن
الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التا والادغام ارسله معنا غدا
الى الصحرا يرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوه من الرتعة وهو الخصب ويلعب بالاستباق
والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بكسر البا فيه وفي نلعب
وقرا الكوفيون بكسر نون نلعب ويعقوب باليا والسكون على اسناد الفعل الى يوسف
وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون
اي يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
واخاف ان ياكله الذيب لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام ان الذيب قد شد
رواية على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وابو عمرو وقفا
وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقرا ورش والكسائي وابو عمرو واذا قرا بالادغام الكبير
وحمزة اذا وقف كغيرهم والباقون بترك الهمزة واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة

وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن
اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء
مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيه والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض
اردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل
فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به
الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به
على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر
يلبسوك ويؤانسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت
فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبعة عشر سنة وقيل
كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى وفي القصص ان ابرهيم حين القي في النار
جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى
يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم لتحدثنهم
بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد
المغير للحلى والهيات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون بشره بما يؤل اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء يبكون آخر
النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون
متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل

وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى المكذوب
فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو
اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال المهملة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج
على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب
على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما
سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه فالقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت
لكم انفسكم امرا سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر
جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى
الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف
وهذه الجريمة قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر
فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيها فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها فتدلى يوسف
فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا او
انك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ
يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره فقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة
وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة
نصب على الحال اي اخفوه متاع التجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله

عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه
وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم
بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل
عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير
في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه
والملتقط للشيء متهاون به خايف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم
اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو
متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك
يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى
عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة واتاه الحكمة والعلم
وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من
جعل ثمنه عشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ملؤه فضة وقيل
ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني
تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة
شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض
كما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له
فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي وكان

العقد

القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله
واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها
قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر
يوسف اراد به اخوة يوسف شيا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه
وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم
اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله و
اتقانه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان
يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت
سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر اي
تهيات لك والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك
وقرا ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بفتح
التاء وكسر الهاء من غير همز كعيط وهو لغة فيه وقرا هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه
ضم التاء وقري هيت كجيت من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن
تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن
منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجاوزون الحسن بالسيء
وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا
هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما

يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عند
قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها
جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وهم
بها قيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت
مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين
اخلصهم لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران اذا كان
في اوله الف ولام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من وراءه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط
الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغيره
على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال
هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب
ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا
في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع
عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على

ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع
بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما
قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين
فلما راى قميصه قد من دبر قال انه اي قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان
هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لساير النساء ان كيدكن عظيم
فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال
والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث
اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين
من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هو اسم لجمع امراة
وتانيثها بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة
ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي و
الخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها
اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها
حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه
وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنريها في ضلال مبين في ضلال
عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه
كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكا ما
تتكين عليه من الوسايد واتت كل واحدة منهن سكينا حتى تتكين والسكاكين بايديهن
فاذا خرج عليهن بهتن وشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن

بالحجة أو يهاب يوسف من مكرها إذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر
وقيل متكأ طعاما أو مجلس طعام فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك
نهي عنه قال فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ الطعام يحز حزا
كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء بإشباع الفتحة كمنتزاح
ومتكا وهو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ إذا
اتكأ **وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه** عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى
تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها
تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللام أي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة **وقلن حاش لله** تنزيها له من
صفات العجز وتعجبا لقدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت الألف
الأخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام
للبيان كقولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي
صار في ناحية الله مما يتوهم فيه **ما هذا بشرا** لأن هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة
أهل الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أي بعبد
مشترى لئيم **إن هذا إلا ملك كريم** فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق و
العصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان
به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا الذي لمتنني

فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار إليه **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم**
فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته **ولئن
لم يفعل ما آمره** أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكونا من الصاغرين الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعا
على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين **قال رب السجن** وقرأ يعقوب بالفتح على
المصدر **أحب إلي مما يدعونني إليه** أي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا إلى العاقبة وإن كان
هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفنه عن
مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما
كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل
الصبر **وإلا تصرف عني كيدهن** وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك وتحسينه عندي
بالتثبيت على العصمة **أصب إليهن** أمل إلى إجابتهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي
والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من
الصبابة وهي الشوق **وأكن من الجاهلين** من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا
يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء **فاستجاب له ربه** فأجاب الله
دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف **فصرف عنه كيدهن** فثبته بالعصمة حتى وطن
نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان **إنه هو السميع** لدعاء
الملتجئين إليه **العليم** بأحوالهم وما يصلحهم **ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات** ثم
ظهر للعزيز من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد
القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره **ليسجننه
حتى حين** وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه

يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرى بالتاء على ان بعضهم خاطب
به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان
اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل معه حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه
للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تأكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون
تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم
او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام
ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته
وكيفيته فانه شبه تفسير المشكل كان اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق
القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء
في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة
والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني
ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه
ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان
ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم
وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا
يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون

اليهما

اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه
او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب
متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد القهار المتوحد بالالوهية
القاهر الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن
على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا
تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق
للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته والموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه
الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج
عن القيم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريقة
الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل
غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي
السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما
الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده
فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه
ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن
باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر
ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار

ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغير الله ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
في كشف الشدايد وان كانت في الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد
انعقد حبها واخر يابسات وسبعا آخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون
المميز لان التميز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التميز بها عن الموصوف فانه لبيان الجنس
وقياسه عجف لانه جمع اعجف لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في
رؤياي اي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من
الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات
وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب
الخيل او لتضمنه اشيا مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام
المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه
مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة
وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض

ومفعول

ومفعول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف
ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو
المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد
اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام
فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين
دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا
ويكون الجملة حالا وقرا حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه
في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة
خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين
المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما
يعصرون كالعنب والزيتون من الثمار لكثرتهما وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي
بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون بنى الفاعل
منه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او
بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر
بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في
السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان
السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول

بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
وانما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر
الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي
مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة
وانما قال ما بال النسوة اللاتي ولم يقل فسئله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث عن تحقيق الحال
وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون
ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه
بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان
يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر
من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد الرسول اليه
واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من
الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء
الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا
يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها
زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي وما انزهها
تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه
من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال جبريل
عليه السلام ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع

مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما
رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع
اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وقرأ قالون عن نافع والبزي عن ابن كثير بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي
غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه
ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا
لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا
مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بك بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا بالعربية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي
منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير
وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل
فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها
والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما رأى
انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب
التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى
اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء وينزل
من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا
والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة

خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة
يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط
الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه
فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منهما ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم
بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم
ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين
اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد و
مفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من
حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم
اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما
يحمل من بلد الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم
من ابيكم روي انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنوا اب واحد
وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية
فهلك قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد
لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا فقال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى
اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم
فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين
للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي و
لا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود
عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين
جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم

في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا
وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي
يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم
الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم
تذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتال ما نحتاج اليه
وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى
اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على
اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض
امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين و
انتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله
لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا
ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا
متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح
لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا
بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل
بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية
احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا
ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك

او يزداد واليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل
لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد **قال لن ارسله معكم** اذ رايت منكم ما رايت **حتى تؤتون موثقا من الله**
حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله **لتاتنني به** جواب القسم اذ
المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به **الا ان يحاط بكم** الا ان تغلبوا فلا تطيقوا
ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني
به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم
اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك **فلما اتوه موثقهم** عهدهم **قال الله
على ما نقول** اي من طلب الموثق واتيانه **وكيل** رقيب مطلع **وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة** لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر
بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم
يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على
بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في عوذته
اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة **وما اغني عنكم
من الله من شيء** مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر **ان الحكم
الا لله** يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك **عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص
كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدي به **ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم** اي من ابواب متفرقة في البلد **ما كان يغني عنهم** راي
يعقوب واتباعهم له **من الله من شيء** مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب

الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني
شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا **قضاها** اظهرها ووصى بها **وانه لذو علم
لما علمناه** بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر
بتدبيره **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر **ولما دخلوا
على يوسف اوى اليه اخاه** ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم
فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي
فاجلسه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم
يلدك يعقوب ولا راحيل **قال اني انا اخوك فلا تبتئس** فلا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون في حقنا **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية** المشربة **في رحل اخيه**
قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت
من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا
ثم اذن مؤذن نادى منادي **ايتها العير انكم لسارقون** لعله لم يقله بامر يوسف
او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف
من ابيه او أئنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي
تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها
فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة **قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون** اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه
وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا **قالوا نفقد صواع الملك** وقرئ صاع
وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة **ولمن جاء به حمل بعير** من
الطعام جعلا له **وانا به زعيم** كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل

قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة
انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك فيما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما
جزاء السارق والسرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله و
استرقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او
خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه
على اقامة الظاهر مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي
الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء
اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ
بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم الضعف لما اخذ دون
الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله الا ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء
من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات
من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم
انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي
علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة
ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت
تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت

كعم البعير شد فاه

ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي
امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير تفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل
من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم
عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا الضمير الشان والله اعلم
بما تصفون وهو اعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان
اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم
هذا وان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحته ورضاه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه
من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي
استايسوا بالالف وفتح التاء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة
على الياء على الاصل خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم من الله موثقا
عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن وتاكيد منه من جهته
ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما
مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موضع النصب بالعطف

على مفعول تعلموا ولا باس بالفاصل بين العاطف والمعطوف
عليه بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء
والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع
عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح
الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او
يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها العزيز والله لتتركنا او لاصيحن
صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف
لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب
غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير
الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان
ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا
الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب للباطن
الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله وكنا للعواقب
عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق وانك تصاب به كما اصبت
بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب
العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل
سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم
اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه

والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري
صبر جميل او فصبري صبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف
وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفي تعال فهذا اوانك والاسف
اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف
دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات
وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته
وفي الحديث لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم
يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه
من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي
وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع
ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند
الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم
وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له
في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم
الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله
تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما

في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة

وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله فيصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا

بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا
كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم
تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير
للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبر لا والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو
مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن
جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه
يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم
لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام
ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة
ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص
المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع
بصيرا اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم
وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون
تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال
عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك

القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار
ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما
احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد
بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من
الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام
مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان
يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو
الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم
فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان
قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل
واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر
وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا
حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا
سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته
واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك

ابرهيم واسمعيل او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شي في وقت وعلى وجه يقتضيه الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل

فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني الحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه من اجر

جعل كما يفعله حملة الاخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين
عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والأرض
يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون
فيكون لها الضمير وعليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
وما يؤمن أكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون
بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور
والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة
وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب أفأمنوا أن تأتيهم غاشية
من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير
سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي
يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله
أدعو إلى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء أنا تأكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او
مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما أنا
من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما أرسلنا من قبلك إلا
رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء
نوحي إليهم كما اوحي اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي
وفي كل القرآن وحمزة والكسائي في سورة الانبياء من أهل القرى لان اهلها
اعلم واحلم من اهل البدو أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة

الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من
المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار
الحال او الساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا يعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء
حملا على قوله قل هذه سبيلي اى قل لهم أفلا تعقلون حتى إذا استيأس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغررهم تمادي ايامهم
فان من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا أنهم
قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم
بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد
كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اى
وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر
عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم
الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة
او ان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير
الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا
به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء
نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا انزل

بهم وفيه بيان المشبهين لقد كان في قصصهم في قصص الأنبياء وأممهم
أو في قصة يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب لذوي العقول المبرأة
من شوائب الإلف والركون إلى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان
القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلهية
وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وله سند
من القرآن بوسط أو بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها
خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم
علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية إلا ويقول الذين كفروا الآية
وآيها خمس وأربعون بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه أنا الله أعلم وأرى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب
السورة وتلك إشارة إلى آياتها أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو
القرآن والذي أنزل إليك من ربك هو القرآن كله ومحل الجر
بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو إحدى الصفتين على الأخرى
أو الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الأولى وتعريف
الخبر وإن دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو أعم من المنزل صريحا
أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن أكثر
الناس لا يؤمنون لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الأمر بغير عمد
أساطين جمع عماد كإهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم وقرئ عمد كرسل

أو عمد

ترونها صفة لعمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك
وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية
لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وأن يكون لمخصص
ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بإرادته وعلى هذا المنهاج
سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة
ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لأجل مسمى لمدة معينة
يتم فيها أدواره أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي إذا الشمس كورت
وإذا النجوم انكدرت يدبر الأمر أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام
والإحياء والإماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة
أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي
تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء
وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء وهو الذي مد الأرض بسطها طولا
وعرضا لتثبت فيها الأقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي
جبالا ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنه صفة
أجبل أو للمبالغة وأنهارا ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
إن الجبال أسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها
زوجين اثنين وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو
والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار
يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي
وأبو بكر يغشي بالتشديد إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فإن

تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها
وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها
بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك
لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط
ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب
والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات
صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة
الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله بالتذكير
يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر
وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب
منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه
والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة
من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته
ااذا كنا ترابا اانا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل

في اذا محذوف دل عليه انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية
وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت
من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة
والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف
والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات
على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن
منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة
بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من
الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات

لا بما يقترح عليك **ولكل قوم هاد** نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما
هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل
من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول
قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما
لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال **الله يعلم ما تحمل كل
انثى** اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة
وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة
والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع
سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرفنا اربعة واليه ذهب
ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل
بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا
ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين
تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله
او لما فيها **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين
وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق
وما عند الله باق بالتنوين على الاصل اذا وقف وقفا لينا وفي هذه الاربعة
الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء

عالم الغيب الغائب عن الحس **والشهادة** الحاضر له **الكبير** العظيم الشان
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين
وتعالى عنه **سواء منكم من اسر القول** في نفسه **ومن جهر**
به لغيره **ومن هو مستخف بالليل** طالب للخفاء في مختبا بالليل
وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف
على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قال سواء منكم انسان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله **له** لمن اسر او جهر او استخفى او سرب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه
اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله و
افعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة
او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة
على تعويض الياء من حذف احدى القافين **من بين يديه ومن خلفه** من جوانبه
او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باسه متى اذنب بالاستمهال
او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله و
قد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه
من قضاء الله **ان الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة **حتى يغيروا**
ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة **واذا اراد الله**
بقوم سوءا فلا مرد له فلا راد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب **وما**
لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل

على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا
في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع
او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار
ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل
يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب
في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين
به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله
وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته
من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث
يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة
والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد
في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة
او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار
اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى
عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في

بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه
من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال
الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة
وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى
الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته
دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق
على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة
او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من
حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على
الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله
عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي
والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه
لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا
استجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه
وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان
بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها

بمن اراد ان يغترف الما ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرى تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار و
باطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل
ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمومنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة
وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم وظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص
وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف
ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد
والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع
اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرى
والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض
خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه
ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم
من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا
اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع
الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء
رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود
الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات و
النور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا

لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة
لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق
فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا
شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه
الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق
موجبا للعبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد
اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر
فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما
توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد
والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب
حلية او متاع كالاواني والات الحرث والحرب والمقصود من
ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل
زبد الماء هو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته
وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة

والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه
فى منافعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والابار
وفى الفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم
ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبديهما
وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء مرميا به اى يرمى به
السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى
واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث فى
الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم
الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة
واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدا خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء
الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شىء
ومأويهم جهنم مرجعهم وبئس المهاد المستقر والمخصوص
بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب
كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان
تقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب
ذووا العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى

او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق
بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع
الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم
وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم
قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة ونحوهما واقاموا الصلوة
المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذى وجب عليهم انفاقه سرا
لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون بالحسنة السيئة
ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون
مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء
وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره
يدخلونها والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع
فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه
يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما
لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد

الاينان لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم
لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار
وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء
وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد
ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه فى
مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه و
يضيقه وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى
الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الآخرة فى جنب الآخرة الا متاع
الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا
من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر
قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات ويهدى اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد
وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال لهم ما اعظم عنادكم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين
آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا

به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القرآن الذى
هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا
وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت
ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع
والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك
يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها
امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذى اوحينا
اليك لتقرا عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل
شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم و
انزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل
نزلت فى مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن
قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو لا يستحق
العبادة سواه عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى
ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه
والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم
اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به
الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا
وعيونا او كلم به الموتى فقراته فتسمع وتجيب عند قراءته لكان
هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار

او لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا
قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر
الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك
فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم
وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال
الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء
وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه
من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد
ذلك قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم
وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين قرؤوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل
اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المايوس عنه لا يكون الا معلوما ولهذا
علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي
هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق
بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
من الكفر وسوء الاعمال قارعة او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها
ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين
بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز

داهية تقرعهم وتقلقهم

ان يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من
دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت او القيامة او فتح
مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم
افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او
شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر
محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف
على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون
الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل
سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه
وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة
لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء
ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة
واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح
اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله

[illegible]

أنه مخذول لم فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة أشق
لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق
حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم
مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة
زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها
الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف
من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك
لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى
الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير
وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن
سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم
او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك
به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده
وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف

شرائعكم

شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره
واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق
عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فيما يختلف بالاعصار والامم
فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل
على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع
بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه
وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونهم اليها
كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعدما
جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك
ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس
منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت
وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات
التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم
قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت
الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد

وعنده أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو
مكتوب فيه وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وكيف ما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فإنما عليك البلاغ
لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا
تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه أولم يروا أنا نأتي الأرض
ارض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله
يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم
للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل
لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم
عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر
الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب
كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما يأتيهم
العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام
تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار
كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون
والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلم اذا اخبر ويقول الذين
كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز

او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي
وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا
بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم
الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون
مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي
من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم
القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى سورة
ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب اي هو كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس بدعائك اياهم
الى ما تضمنه من الظلمات إلى النور من الضلالة الى الهدى بإذن ربهم
بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة
لتخرج او حال من فاعله او مفعوله إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله
الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط
الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل
سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الأرض على قراءة
نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين
عطف بيان للعزيز كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين
من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه
لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على

من انواع الضلالة

الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها
من غيرها ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ
ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا
لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها
زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه
او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر
الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به
فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس
اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم وكذلك امر النبي بانذار عشيرته اولا
ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع
من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم
الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد
النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش
ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير
في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية
ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم
فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب
فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له

وهو العزيز فلا يغلب عن مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي
الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان
اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت
على الامم الدائرة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور يصبر على البلية ويشكر النعماء فانه اذا سمع
بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما
يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك
تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه
وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة
للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا
من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير
المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما
جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم
من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء
منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ
تأذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد

وما وعد ظهر انه ابلغ لما فيه من التفضيل من محض التكليف والمبالغة لئن
شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل
الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول
تأذن على انه جار مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن
شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته
ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم
لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت
به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا
منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم
باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا
كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم
من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اى ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم

والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث
جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا
لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء
قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان
الكلام في المشكوك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة
وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه
ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم في جميع القران تفرقة بين
الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
على المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل
مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث
الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان
يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم
واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا
به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده

بل لمشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه
عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض
بمشيئته تعالى **وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله** اي ليس الينا
الاتيان بالآيات ولا يستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر
يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**
فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل
وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله **وما لنا الا نتوكل على الله**
اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه **وقد هدانا سبلنا** التي بها نعرفه
ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت
ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم
مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم **وعلى الله فليتوكل المتوكلون** فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم **وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا** حلفوا على ان يكون
احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة
لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن
معه فغلبوا الجماعة على الواحد **فاوحى اليهم ربهم** اي الى الرسل
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه
ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن **ذلك** اشارة
الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين **لمن خاف مقامي**

موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي
عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم **وخاف وعيد** اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار **واستفتحوا** سألوا من الله الفتح
على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل
وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن **وخاب كل جبار عنيد** اي ففتح
لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من الفريقين كان اوقع **من
ورائه جهنم** اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا
مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى
عنك **ويسقى من ماء** عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى **صديد** عطف بيان لماء وهو ما يسيل
من جلود اهل النار **يتجرعه** يتكلف جرعه وهو صفة الماء او حال
من الضمير في يسقى **ولا يكاد يسيغه** ولا يقارب ان يسيغه فكيف
يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة
وقبول النفس **ويأتيه الموت من كل مكان** اي اسبابه من الشدائد
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول
شعره وابهام رجله **وما هو بميت** فيستريح **ومن ورائه** ومن بين
يديه **عذاب غليظ** اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل
هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل

او لاهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم
بدعوة رسوله فخيب رجاؤهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل
سقياهم صديد اهل النار **مثل الذين كفروا بربهم** مبتدأ خبره محذوف
اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله **اعمالهم كرماد**
وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر
كرماد **اشتدت به الريح** حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح
في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم
نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من
معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف **لا يقدرون**
يوم القيامة **مما كسبوا** من اعمالهم **على شيء** لحبوطه فلا يرون له اثرا
من الثواب وهو فذلكة التمثيل **ذلك** اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم
محسنون **هو الضلال البعيد** فانه الغاية في البعد عن طريق الحق **الم تر**
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على
التلوين **ان الله خلق السموات والارض بالحق** بالحكمة والوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات **ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد** يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم
ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع
عليه ذلك كما قال **وما ذلك على الله بعزيز** بمتعذر او متعسر فانه قادر بالذات
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به

ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء **وبرزوا لله جميعا** اي
يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا
يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه **فقال
الضعفاء** الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو **للذين استكبروا**
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم **انا كنا لكم تبعا** في تكذيب
الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به
للمبالغة او على اضمار مضاف **فهل انتم مغنون عنا** دافعون عنا **من
عذاب الله من شيء** من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض
واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض
اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى
مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء
قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا
بهم **لو هدانا الله** للايمان ووفقنا له **لهديناكم** ولكن ضللنا
فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق
الخلاص **سواء علينا اجزعنا ام صبرنا** مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول
على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون

تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم
وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد
بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان
كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان
دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة
لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم
تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد
بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل
ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بالكسر على الاصل في التقاء الساكنين
وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة
ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء
او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته
واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من
قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله

ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان
ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو
الله تعالى بطاعتكم اياي في دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من
قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه
او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وادخل على التكلم فيكون قوله
باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام
باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة
طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر
مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى
جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها
اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ
ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ
تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن
ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء

لها من الحصة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان عروقها
قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة
ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم
ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة
ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا والشجرة
الخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن
في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى
عليهما السلام وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي
الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم
اهوال القيامة وروي انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي
محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض
عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين

بيته

لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام
ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلوات الله وسلامه عليه فكفروا
ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما
بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين تابعوهم في الكفر
دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم يصلونها حال منها
او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب
لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا
عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن
يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ
الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم
او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد
به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى
النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي
الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم
فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك
فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق

القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس
اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا
مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه
ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا
وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي
سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر
ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع
لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع
فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما
على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون
به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان
له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة
او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر
بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لا
نتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما وفي
اصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه
يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل

[illegible marginal note]

المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل
او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون
المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء
ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال
اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا
تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها ان الانسان لظلوم ... شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال
ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف
عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني
وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة
الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما
كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث
ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن
باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه
مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور
رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء وبعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان
كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني

فضلا عن افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان

اسكنت من ذريتي اى بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض
له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم
يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اى اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم
فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة
فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان
يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم
رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا
اشركينا في مائك نشركك في الباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام
لام كي وهي متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق
ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار
بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لاقامة
الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة
من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال
افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او
للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل
ان يكون مقلوبا افئدة كآدر في ادؤر وان تكون اسم فاعل من افدت الرحلة
اذا عجلت وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين

معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم
يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات
كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم
واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علانيتنا والمعنى
انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب
لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل
ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل
عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته
الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اى
وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين
سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اى لمجيبه من
قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل
الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز
وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله
حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم
الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب
في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية
انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل

اراد بهما آدم وحوا ويوم يقوم الحساب يثبت مستعار من
القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف
المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو
عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه
الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين
مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة
هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل
بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه
يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان
جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم
ياتيهم العذاب يعني يوم القيامة او يوم الموقف فانه اول ايام عذابهم
وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا
اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى
حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك
نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل
قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل
ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب

على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون
بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا
وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن
تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد
وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه
في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال
من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا
مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم
ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او وعنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم
وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى
لازالة الجبال معدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة
والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات
الله وشرائعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي
الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي
وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثاني اعلاما بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف

الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض
غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف
وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله
سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها
ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير
الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم
انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسما على الحقيقة
ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر
به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي
سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته
وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا
مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة

بالملكات

والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل
ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفت ايديهم وارجلهم في الاصفاد
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة
بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد
سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود
منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه
مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن
يعقوب من قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره
والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم
النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره
مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة
عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله
كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس
من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم
علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا
ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة

الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الله **بلاغ للناس** كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا به** عطف
على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة
بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له **وليعلموا انما هو اله واحد**
بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه
وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم
واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هى الغاية والحكمة في انزال
الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من
الفائزين بهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطى من الاجر
عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد **سورة**
الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية **بسم الله الرحمن الرحيم**
الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب
هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا
وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**
حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ
نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات
ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة
تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب
في اخبار الله تعالى كالماضى في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان
بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم
افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة
في قولك حلف بالله ليفعلن **ذرهم** دعهم **يأكلوا ويتمتعوا** بدنياهم
ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه
والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم
من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام
للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل **وما اهلكنا**
من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى
جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها
منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا
للصوقها بالموصوف **ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون** اى وما
يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى **وقالوا يا ايها**
الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم
الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم **انك لمجنون** ونظير ذلك قول فرعون
ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين
حتى تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن **لوما تأتينا** ركب لو مع ما
كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض **بالملائكة**
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون

معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان ياتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل

في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من المفعول لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات

لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب و
حركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه
الصلوة والسلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا
من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب
اخر وقيل الاستثنا منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد تطلق
للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها و
القينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي
الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن
متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب
النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم
والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك
وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم
وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين
مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة
خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته
والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه
ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما
من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه
فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي

لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة
الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها
بالايجاد في بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص
حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من
انشا سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات
للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح
الطوائح
وقرئ ارسلنا الريح على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين او حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهوا في
بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء
تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد
الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما
يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم و
لقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج
من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او تقدم في الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه
وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت

وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على
انه القادر والمتولى لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل
الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن فى افعاله عليم وسع علمه كل شئ ولقد خلقنا الانسان من
صلصال طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل
اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة
الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمإ مسنون مصور من سنة
الوجه او مصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ
فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل
بينهما يكون منتنا ويسمى السنين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان
يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من
شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه
بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة
كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى
الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء
الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق
الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على

المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع
والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة انى خالق بشرا
من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته
لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحى حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه
فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق
اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية
فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه
بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر فى سورة النساء فقعوا
له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد
بتاكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة
وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان
الامر كذلك كان الثانى حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا
اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اى ولكن ابليس ابى
وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد
قال يا ابليس ما لك الا تكون اى غرض لك فى ان لا تكون مع الساجدين
لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى
ان اسجد لبشر جسمانى كثيف وانا ملك روحانى خلقته من صلصال
من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص
آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف قال
فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود
من كل خير فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن

الجواب عن شبهته وإن عليك اللعنة هذا الطرد والإبعاد إلى
يوم الدين فإنه منتهى أمد اللعن فإنه يناسب أيام التكليف ومنه
زمان الجزاء وما في قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل إنما حد اللعن به لأنه أبعد غاية يضربها
الناس أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فأنظرني
فأخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم إلى
يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة في الإغواء أو نجاة عن الموت إذ لا موت
بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني قال فإنك من المنظرين
إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم
وهو النفخة الأولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة
يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا
بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من
ذلك أن لا يموت أول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة
وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة
والإذلال قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه
لأزينن لهم في الأرض والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم
المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله أخلد إلى الأرض وفي انعقاد
القسم بأفعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الإغواء
بالنسبة إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام أو
بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له وهو سبب لزيادة

غيه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم
يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أو لم يمهل وأن في إمهاله
تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي
الألباب ولأغوينهم أجمعين ولأحملنهم أجمعين على الغواية إلا عبادك
منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل
فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بالكسر في كل القرآن أي
الذين أخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي أن أراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه
أو الإخلاص على معنى أنه طريق علي يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج و
ضلال وقرئ علي من علو الشرف إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
إلا من اتبعك من الغاوين تصديق لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع
لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فإن
منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن
دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الأول يدفع
قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثنا ين
وإن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين أو المتبعين أجمعين تأكيد
للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل لها سبعة أبواب
يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي
جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية

ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات في الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب
منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني
لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس و
السادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ
جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف بالتشديد ومنهم حال منه
او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة
في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية ادخلوها على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام
سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في الدنيا
بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من
غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب
اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او
الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر
متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى
متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها
نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم

منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد
والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي
الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالمغفرة والرحمة دون التعذيب
ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي
تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم
عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك
لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من
واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من بشره بغلام هو اسحق
عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني
على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه وانكار له
لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فبأي
اعجوبة تبشروني او فبأي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن
على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف
نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية
على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس
فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف

من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم صلوات الله عليه
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة
الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى
البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من
قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين
به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين
وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به
القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى
خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من
آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين
اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا
قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر
عن عاصم قدرنا بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى

القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم
وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط
المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان
تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما
تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب
الذي توعدتهم به فيمترون فيه وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم
وانا لصادقون فيما اخبرناك به فأسر باهلك فاذهب بهم في الليل
وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب
وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على
اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد
لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن
الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى
حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث
وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا
اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم
له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من
الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري

هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم
قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسي
الى ضيفه فقد اسي اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون
ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية
وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم
عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء
القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان
كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك و
التقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه
كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم
سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة
في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان
المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها

ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة
لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم
فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان
مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها
وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار
الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك
اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان
الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل
ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ
بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم

العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل إليه ليحكم بينكم أو هو الذي
خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان
وأبي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص
بالكثير **ولقد آتيناك سبعا** سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة ولذلك لم
يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل
سبع صحائف وهي الأسباع **من المثاني** بيان للسبع والمثاني من التثنية
أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه ومواعظه
ومثنى عليه بالبلاغة والإعجاز ومثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمى
وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فيكون
من للتبعيض **والقرآن العظيم** إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن
عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع فمن عطف
أحد الوصفين على الآخر **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب
إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة
إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات وفي حديث
أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا
أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه عليه الصلاة والسلام
وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب
والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها
ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه
القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** أنهم لم يؤمنوا وقيل أنهم المتمتعون به

واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم **وقل إني أنا**
النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا
كما أنزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي أنزلنا عليهم فهو وصف
لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فأهلكهم
الله يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أي تقاسموا على أن يبيتوا صالحا
عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فإنه
بمعنى أنزلنا إليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث
قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف
لهما أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين أو أهل الكتاب
آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤونه من كتبهم
فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن إلى آخره
اعتراض ممد لها **الذين جعلوا القرآن عضين** أجزاء جمع عضة
وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وقيل أسحار فعلة من
عضهته إذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة العضة السحر وإنما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره
فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم أو النسبة
إلى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي **فاصدع**
بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو فافرق به
بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع

محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع وأعرض عن المشركين فلا تلتفت
إلى ما يقولون إنا كفيناك المستهزئين بقمعهم وإهلاكهم
قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب يبالغون
في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبرئيل لرسول الله
عليهما الصلاة والسلام أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد
فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في
عقبه فمات وأومى إلى أخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى أنفي عدي فامتخط قيحا فمات
وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي
الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن
والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع إلى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد
يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على أن هداك للحق
وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام أنه
كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا
ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر
كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد
صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان

وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول صلى الله عليه
وسلم من قيام الساعة أو إهلاك الله إياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا
ويقولون إن صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى
أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا
تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى
عما يشركون تبرأ وجل عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون على تلوين
الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روي أنه نزلت أتى أمر الله فوثب النبي
صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة
بالروح بالوحي أو القرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم
في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق
الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وإزاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من
أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ أبو بكر تنزل
على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من أمره بأمره أو من أجله على من
يشاء من عباده أن يتخذه رسولا أن أنذروا بأن أنذروا أي أعلموا من أنذرت بكذا
إذا أعلمته أنه لا إله إلا أنا فاتقون أن الشأن لا إله
إلا أنا فاتقون أن خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا وقوله
فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود وأن مفسرة لأن الروح بمعنى
الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب

بنزع الخافض او محذوفه من المستقبل والاية تدل على ان نزول الوحي بوساطة
الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية
والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والايات
التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد
لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على
ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار
وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما
يشركون منها او مما يفتقر في وجوده وبقائه اليها ومما لا يقدر على خلقهما
وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو
خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل
من يحيي العظام وهي رميم روى ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام
الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على
الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء
ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها
بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها
كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي
الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات
المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة

الى المرعى فان الانعام تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين
الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى
البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على
ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا
عن ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله
الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان
ربكم لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم
والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة
اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها
وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود
من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا
يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا
يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا
ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر
الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي
يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان
يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في
الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان

وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي لان
زينة

مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا
او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد
اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد
بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد
عن القصد او عن الله ان يبين طرق الضلالة على او لان المقصود بيان سبيله
وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى
عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين
لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة الاهتداء هو الذى انزل من
السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه
ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم
يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال
نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى
العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر
بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام
فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا
تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها ان فى ذلك لاية
لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع فى

وتفسير الاسلوب لانه ليس بحق على الله

الارض

الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق و
الازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية
الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من
الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او
لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك
ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض
الوجوه المحتملة فلا دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع
وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتدا والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون جمع
الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة
غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم فى الارض
عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا
الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان فى ذلك لاية لقوم
يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع
حكيم وهو الذى سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه

بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته
في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان
من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على
العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر
دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه **وتستخرجوا منه**
حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم **وترى الفلك** السفن **مواخر**
فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت
جري الفلك **ولتبتغوا من فضله** من سعة رزقه بركوبها للتجارة **ولعلكم**
تشكرون اى تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب
الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش **وألقى في الارض رواسي** جبالا رواسي **ان تميد بكم** كراهة ان
تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة
وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على
ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال **وانهارا** وجعل فيها انهارا لان القى
فيه معناه **وسبلا لعلكم تهتدون** لمقاصدكم او الى معرفة الله **وعلامات**
معالم تستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحوها **وبالنجم هم**
يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه

قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات
النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة
مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن
الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه
الزم لهم واوجب عليهم **افمن يخلق كمن لا يخلق** انكار بعد اقامة
الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد
من مبدعاته لان تساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من
ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم
او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم
او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس
كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده **افلا تذكرون** فتعرفوا
فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق
العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور
ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها **رحيم**
لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها **والله يعلم ما**
تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك

باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اى والآلهة الذين يعبدونهم
من دونه وقرأ ابو بكر تدعون بالتاء وقرأ حفص ثلثها بالياء لا يخلقون
شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بيّن انهم لا يخلقون شيئا لينتج
انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال
وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي
ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم اموات لا تعتريهم الحياة
او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات لتتناول كل معبود والاله ينبغي ان
يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون
وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان
يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث
من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين
لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم
بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل
متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا
يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر
والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في
الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا
يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم
او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين

وانما

وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض او على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق
فيه والقايلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم
في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم
ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا
ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه
فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله
فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا
عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة
الاف ذراع ليترصد من السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من
تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه استهزاء
او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء الذين
كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة ان
الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفايدته اظهار
الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم

الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل
الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من
سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على
الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى
شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل
من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء واحتمل ان يكون الراد
عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد
له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي
انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال
معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم
في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده
حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار
المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ
محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان

لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم
انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية
الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة
الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم
الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر
ربك القيامة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك و
التكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه
فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او
تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه
والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا
ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم
يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم
البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدوره عنهم
ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه
على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله
وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ

الموضح للحق وهو وان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه بالكلية سوى انه يؤدي اليه
على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل
باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم
كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء
الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله بعبادة الله واجتناب الطاغوت
ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه
على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته
بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم ما هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص على هداهم يا محمد فان
الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة
وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من ينصرهم بدفع العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين
عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم
وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه حقا
انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة
التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه

ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي
يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من
حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف
له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء
بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي
فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما
ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل
وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل
لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين
عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك
في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع
لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن
ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي

إليهم رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً أي جرت السنة
الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشراً يوحي إليه على ألسنة الملائكة و
الحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام فإن شككتم فيه فاسألوا أهل الذكر
أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على
أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكاً للدعوة العامة وأما قوله جاعل الملائكة رسلاً
معناه رسلاً إلى الملائكة أو إلى الأنبياء وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين
بصورة الرجال ورد بما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل على صورته
التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر أي أرسلناهم بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل
بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً في الاستثناء مع رجالاً أي وما أرسلنا
إلا رجالاً بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيداً بالسوط أو صفة لهم أي رجالاً ملتبسين
بالبينات أو بيوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله
فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيت والإلزام وأنزلنا إليك
الذكر أي القرآن وإنما سمي ذكراً لأنه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل
إليهم في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه
عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد إلى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق
أفأمن الذين مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا
لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد أصحابه
على الإيمان أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط

أو يأخذهم في تقلبهم أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين أو يأخذهم على تخوف على مخافة بأن يهلك قوماً فيتخوفوا
فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم
وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته روي أن عمر رضي الله
عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال
هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها
قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكاً قرداً
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فإن ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا
إلى ما خلق الله من شيء استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما
موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله أي أولم ينظروا إلى المخلوقات التي
لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي
كل واحد منها استعارة من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين
وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه
في قوله سجداً لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله
والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت
النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب أو
سجداً حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع
الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها

قبلهم

مستمرا انتقالها من جانب لجانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة
اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها
من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه اخذة في الارتفاع
والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الاظلال في اول
النهار تبتدى من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال
تبتدى من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في
السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات
والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية
سواء كانت في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل
على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان
الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات
وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتهما من الحفظة وغيرهم
وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان
اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون
ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو
فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في
لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون
ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون

من الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان
المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي
الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية
فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا
بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما
في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما
لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من
الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا
ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا
نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو
من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله
لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه
والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا
اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه
قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان تكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم
كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما اتيناهم من نعمة الكشف
عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول

عطف على ليكفروا وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد
والفاء للجواب **ويجعلون لما لا يعلمون** أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها
جماد فيكون الضمير لما أو التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل أنها
تنفعهم وتشفع لهم على أن العائد إلى ما محذوف أو لجهلهم على أن ما مصدرية
والمجعول له محذوف للعلم به **نصيبا مما رزقناهم** من الزروع والأنعام
تالله لتسألن عما كنتم تفترون من أنها آلهة حقيقة بالتقرب إليها وهو
وعيد لهم عليه **ويجعلون لله البنات** كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة
بنات الله **سبحانه** تنزيه له من قولهم أو تعجب منه **ولهم ما يشتهون**
يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات
على أن الجعل بمعنى الاختيار وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول
لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف **وإذا بشر أحدهم بالأنثى**
أخبر بولادتها **ظل وجهه** صار أو دام النهار كله **مسودا** من
الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير
وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة **يتوارى من القوم** يستخفي منهم **من سوء
ما بشر به** من سوء المبشر به عرفا **أيمسكه** محدثا نفسه متفكرا في
أن يتركه **على هون** ذل **أم يدسه في التراب** أم يخفيه فيه
ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما **ألا ساء ما يحكمون**
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم **للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء** صفة السوء وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالموت
واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق
ولله المثل الأعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق

والنزاهة

والنزاهة عن صفات المخلوقين **وهو العزيز الحكيم** المنفرد بكمال
القدرة والحكمة **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم **ما ترك
عليها** على الأرض وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها **من دابة** قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في
جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم
لم يكن الأبناء **ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى** سماه لأعمارهم أو لعذابهم
كي يتوالدوا **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** بل
هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم
إليهم أن يكون كلهم ظالمين حتى الأنبياء عليهم السلام لجواز أن يضاف
إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم **ويجعلون لله ما يكرهون** أي ما
يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل
وأراذل الأموال **وتصف ألسنتهم الكذب** مع ذلك وهو **أن لهم
الحسنى** أي عند الله لقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة **لا جرم أن لهم النار** رد لكلامهم
وإثبات لضده **وأنهم مفرطون** مقدمون إلى النار من أفرطته في طلب الماء
إذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الإفراط في المعاصي وقرئ
بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فأصروا
على قبائحها وكفروا بالمرسلين **فهو وليهم اليوم** أي في الدنيا وعبر باليوم
عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية
حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان

للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر
مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على
محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في
ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام
لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف
لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين
للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على
افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن
لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ
نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا
فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو
الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة
الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة
الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك

المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق
به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين
فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها
الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط و
الالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه
الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره
وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا
رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه
سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف
لبيان الاسقاء او بتتخذون صفة تتخذون اي ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه
للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر
مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل
والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين

الغيابة والمتوسطة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت أعراض الكرام
سكرا أي تنقلت بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
ما يحصل من أثمانه إن في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالنظر والتأمل في الآيات وأوحى ربك إلى النحل ألهمها وقذف
في قلوبها وقرئ إلى النحل بفتحتين أن اتخذي بأن اتخذي ويجوز
أن تكون مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى
فإن النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف
التبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم أو سقف
ولا في كل مكان منها وإنما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء
الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا تقوى عليها حذاق
المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ
بيوتا بكسر الباء لأجل الياء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي
من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما أكلت
سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك
أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك
لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال
من السبل أي مذللة ذللها الله وسهلها لك أو من الضمير في فاسلكي
أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به يخرج من بطونها عدل به عن
خطاب النحل إلى خطاب الناس لأنه محل الإنعام عليهم والمقصود من خلق
النحل وإلهامه لأجلهم شراب يعني العسل لأنه مما يشرب واحتج به
من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها

عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء
طلية حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها
ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالأفواه
مختلف ألوانه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف سن النحل
أو الفصل فيه شفاء للناس إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره
كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير
فيه مشعر بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما أنشط
من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل إن في
ذلك لآية لقوم يتفكرون فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم
الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعا أنه لا بد من قادر حكيم
يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم
من يرد إلى أرذل العمر أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية
في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون
لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في
النسيان وسوء الفهم إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير يميت
الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال
الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم
ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل

بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالٍ يتولون
رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين
فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت أيمانهم على مماليكهم
فإن ما يردون عليهم رزقهم الذي جعل الله في أيديهم فهم فيه سواء فالموالي
والمماليك سواء في أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة
لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على
المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن
يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه أفبنعمة الله يجحدون
حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم
ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله
عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء
لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي من
جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم
من أزواجكم بنين وحفدة وأولاد أولاد أو بنات فإن الحافد هو المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على
البنات يخدمن في البيوت وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم
والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو
من الحلالات ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها أفبالباطل
يؤمنون وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام

أو تحريم ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص
مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات ورزقا إن جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل منه ولا يستطيعون أن يتملكوه
أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما
مفرد في معنى الآلهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء
مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الأمثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه
حال بحال إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على أن
عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما
تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل
للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه
ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال
وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد
دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك
به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج
بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية
على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني
القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد

العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن
المكاتب والماذون وجعلهم قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك
لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون
لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل
الحمد لله لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم
لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على
شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال
وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه
على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا
وتوجه بلفظ الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو
ومن يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس
بحثهم على العدل الشامل الجامع للفضائل وهو على صراط مستقيم وهو
في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه مطلبا الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل
تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل
ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر
ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما
عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر
قيام القيامة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من
اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون

في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق
دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان
قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تستعجلون فيه هو
كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير
فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته
فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه
لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في
اهراق لا تعلمون شيئا جهلا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات
الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها
بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد
طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه
خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما
يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة
فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران
بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه
وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون
بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم
كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود

الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر
والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها
من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم
ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول
وقرا الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها
واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير
الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين
الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او
الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل
والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تستكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها
جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت
اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال
يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه
وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون
فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما
عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون
نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون

بانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة
آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة
محمد عليه الصلوة والسلام عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا و
معنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون
عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما
لانه يقام مقام الكل في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من
كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا
يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى
الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من
الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم
يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب
يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا
قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف
عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين
شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا
مخطئين في ذلك او التماس ان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله
وانهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون

بعبادتهم ولا يمتنع إنطاق الله الأصنام به حينئذ أو في أنهم حملوهم على
الكفر وألزموهم إياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم
فاستجبتم لي وألقوا الذين ظلموا إلى الله يومئذ السلم
الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم
وبطل ما كانوا يفترون من أن آلهتهم يشفعون لهم حين
كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الإسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق
بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم
نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم يعني نبيهم فإن نبي كل أمة
بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على أمتك
ونزلنا عليك الكتاب استئناف أو حال بإضمار قد تبيانا بيانا
بليغا لكل شيء من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال بالإحالة إلى
السنة أو القياس وهدى ورحمة للجميع وحرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة إن الله يأمر بالعدل بالتوسط في الأمور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط
بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والإحسان
إحسان الطاعات وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب
الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الإحسان أن تعبد الله كأنك
تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وإيتاء ذي القربى وإعطاء الأقارب ما يحتاجون
إليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الإفراط في متابعة

القوة الشهوية كالزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها والمنكر
ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء
والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فإنها الشيطنة التي هي مقتضى القوة
الوهمية ولا يوجد من الإنسان شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادر
بتوسط إحدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه
هي أجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون
ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى
ورحمة للعالمين ولعل إيرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه
عليه يعظكم بالأمر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
تتعظون وأوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
الإسلام لقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل كل أمر
يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله إذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الإيمان
بالله ولا تنقضوا الأيمان أي أيمان البيعة أو مطلق الأيمان بعد توكيدها
بعد توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا بتلك البيعة فإن الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب
عليه إن الله يعلم ما تفعلون في نقض الأيمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت أي نقضت غزلها من بعد إبرام وإحكام أنكاثا طاقات
نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثاني
لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه
وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك

تتخذون أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا أو في الجار الواقع
موقع الخبر أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم مفسدة
ودخلا بينكم وأصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه **أن تكون أمة هي أربى
من أمة** بأن تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا
شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم **إنما يبلوكم الله به**
الضمير لأن تكون أمة لأنه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم
وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو وقيل للأمر بالوفاء **وليبينن
لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب
والعقاب **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة** متفقة على الإسلام
ولكن يضل من يشاء بالخذلان **ويهدي من يشاء** بالتوفيق **ولتسألن
عما كنتم تعملون** سؤال تبكيت ومجازاة **ولا تتخذوا أيمانكم
دخلا بينكم** تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح
المنهي **فتزل قدم** عن محجة الإسلام **بعد ثبوتها** عليها والمراد أقدامهم
وإنما وحد ونكر للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة
وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا **بما صددتم عن سبيل الله** بصدودكم
عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة
لغيره **ولكم عذاب عظيم** في الآخرة **ولا تشتروا بعهد الله** ولا
تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله **ثمنا قليلا** عرضا يسيرا وهو ما
كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد **إنما

عند الله** من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة **هو خير لكم** مما
يعدونكم **إن كنتم تعلمون** إن كنتم من أهل العلم والتمييز **ما عندكم**
من أعراض الدنيا **ينفد** ينقضي ويفنى **وما عند الله** من خزائن رحمته **باق**
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق
ولنجزين الذين صبروا أجرهم على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق
التكاليف **بأحسن ما كانوا يعملون** بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات
والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى**
بينه بالنوعين دفعا للتخصيص **وهو مؤمن** إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العقاب **فلنحيينه حياة
طيبة** في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان
معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ
بعيشه وقيل في الآخرة **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** من الطاعة
فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته كقوله إذا قمتم إلى الصلاة **فاستعذ
بالله من الشيطان** فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلي يستعيذ
في كل ركعة لأن الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر
العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من
هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ **إنه ليس**

بل غاية سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا إنما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله أو بسبب الشيطان مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما والله أعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب إذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود للمبالغة وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزل تنبيه على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التشديد من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم أنهم يقولون

إنما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون إليه أعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما سمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذاك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون أنها من عند الله لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلى الجنة ولهم عذاب أليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين كفروا

لعالى من تقريرهم وهم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في
الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم
انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين
لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ
خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب [illegible] مرفوع او منصوب لان
شرط محذوف الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان
لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن
من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا و
ابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة
في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما
اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل
يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه
واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فجعل يمسح
عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه
اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول في
فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال

ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان
الله لا يهدي القوم الكافرين اى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم
الغافلون اى الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر
العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار بالولاية والنصرة وثم لتباعد حال
هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا
على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة
على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل
عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم
لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم
نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف

يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او
جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق
لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون
عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد
عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر
منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا
يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا
صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب
ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ان زجرهم
عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا
لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمت الله ان
كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم

ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما
تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومساق الكلام يقتضي وتصدير الجملة
بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه
السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب
منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به
السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم
بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها
بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب
او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل
مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله
او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا
وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا

ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم و
انه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر
في العواقب لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من
بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم كان امة لكماله
واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله
وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة
المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي
فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس
كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما
قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من
المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم صلوات
الله عليه شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر
النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس
حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا
طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة
كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه

والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام
ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة
اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب
فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل
السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه
على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم
الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات
والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل
وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة
وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هاهنا لتهديد المشركين كذكر
القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما
يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص
الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل
معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك
انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة و
اما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين

والمهتدين وهو المجازي لهم وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما أمره بالدعوة وبين طرقها أشار إليه وإلى من شايعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وإن عاقبتم فعاقبوا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو أي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالأمر لرسوله صلى الله عليه وسلم لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك إلا بالله إلا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق إن الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل إلا قوله وإن كادوا ليستفزونك إلى ثمان آيات وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الإضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد أو لأنه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الفجر يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون إلى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في أنه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على أنه أسري بجسده إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة

ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من انيه وقد برهن
فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل
الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله
عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله ببركات الدين
والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليهم السلام ومحفوف
بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر
ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف
الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه
بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبنى اسرائيل الا تتخذوا على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ
ابو عمرو بالياء على لان لا تتخذوا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
غيرى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ
لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير
بانعام الله عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة
انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على
مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية
على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلم وقضينا الى بنى اسرائيل

واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا فى الكتاب فى التوراة لتفسدن فى
الارض مرتين جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى
القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا و
ثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا
ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد
عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على
بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولى
بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم
وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط
الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا
وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله فى
قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف
شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع
الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما
ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا
وجوهكم اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف

للبلاء المذكور او لاخطيه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه
للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون لنسوءن بالنون والياء
والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه
جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه
او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح
قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى
قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي
احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم
نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد
صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى
بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا
كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة
التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه
بشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر

ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله
او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان
الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه
السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه
الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت
عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء
استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير
الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم
بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر والحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق
والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة
مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا
كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري
الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل
التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا
فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع
يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب
معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او
بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون
اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل

إنسان ألزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر
القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو
سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله
فإن الأفعال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها
ملكات ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده
قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ يخرج يلقاه منشورا لكشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على إرادة القول كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز
وعلى صلته لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى
ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لأنه يكفي
المدعي ما أهمه وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على
تأويل النفس بالشخص من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما
يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة
وزر أخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل إنما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم
الحجة وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع وإذا أردنا أن نهلك قرية
وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر
كقولهم إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة أمرنا مترفيها متنعميها
بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فإن

الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة
من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك
أمرته فقرأ فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة على أن الأمر مجاز من الحمل
عليه أو التسبب له بأن صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق
ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوي كقولهم أمرته فعصاني وقيل معناه كثرنا
يقال أمرت الشيء وآمرته فأمر إذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وهو أيضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة
يعقوب آمرنا ورواية أمرنا عن أبي عمرو ويحتمل أن يكون منقولا من أمر القوم
إمارة أي جعلناهم أمراء وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ولأنهم أسرع
إلى الحماقة وأقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة
بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا
أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارها وكم أهلكنا وكثيرا أهلكنا
من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم
الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد
كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهم
فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى
حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله به ذلك وقيل
الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها
من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون
بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا
شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة
كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب
على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه
نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل انفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء
بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك
محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال
وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر
لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله
الها اخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل
احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او
فتعجز من قولهم قعد عن الشيء صلى الله عليه وسلم اذا عجز عنه مذموما مخذولا
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى
ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا
به الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا
لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان
يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا
بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق

الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح
لحوق النون المؤكدة الفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة
والكسائي بالالف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا
في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو
مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم
للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء
قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر
بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل
النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما
جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل
للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت
بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد
جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة
كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر
وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما
الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما

رحمة الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة
ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما
لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت
تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب
لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط
منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان
يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جنايته ولورود على
اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر
عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل
التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا
السرف فقال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر
او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي
وروي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه
كفورا مبالغا في الكفر به فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت

عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه
لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال
القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول
الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله و
اياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو
الكرم فتقعد ملوما محسورا نادما او منقطعا فتصير ملوما عند الله
وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير بك لا شيء عندك من حسرة السفر
اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى
امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره
ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا الصلوة فلم يخرج
فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من
الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم
فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله
العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى

تبسطها تارة وتقبضها اخرى فما تستوفي الحق ولا تقبضها كل القبض ولا تبسطها
كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه
وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا
كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم
يقال خطئ خطئا كأثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو
اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع
لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه منقع الماء راسب
وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
ولا تقربوا الزنى بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه
كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه
وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب
للقتل فقد جعلنا لوليه الذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا
تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله
مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف
اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود
عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيده الاول قراءة ابي فلا
تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا

علة النهي على الاستئناف او الضمير الاول للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت
القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما للولي فان الله نصره حيث اوجب
القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص
او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم
الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب
من العاهد انه لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب
عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب
قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا
واوفوا الكيل اذا كلتم لا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي
اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير
ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير و
احسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع ما ليس لك
به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع
اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من
سند سواء كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص
بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول
الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع

والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء
لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب
في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان
كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير
في عنه للمصدر او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه
كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ
لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه
على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح
ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو
باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا
بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة
لا يعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين
المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي
عنه فان المذكورة مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة
على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى
هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى
فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن
في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي

لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى
ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة
التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر
كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل
عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها
ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى
فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله
افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة
للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ
من الملائكة اناثا بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام
لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم
بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا
هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز
ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا
القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا
ليتذكروا ويتعظوا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر
وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان
معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه
وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع
وابن عامر وابو بكر في الثانية على ان الاولى مما امر

المتقول كقول المصطفى فيما لا يحتمل الحجة عن المشركين وبالياء فيهما ابن كثير وحفص بر نفسه
عن مقالتهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن مقالتهم الشنيعة والمعنى
لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمعاداة كما يفعل الملوك بعضهم
مع بعض أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك
الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى
عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فإنه
في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ
الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات
السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو
من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بإمكانها
وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم
أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن
يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى ما يتصور
منه اللفظ عند من جوز إطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع

والى ما لا يتصور منه وعليهما

وابن عامر وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة
على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه
عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس
أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا
ما أنزل عليهم من الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا له وبيانا

بعدما نفى عنهم التفقه للدلالة

لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة

أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولا لما دل عليه قوله
وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا
يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت
لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال
وأصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على أدبارهم نفورا
هربا من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد
وقعود نحن أعلم بما يستمعون به بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن
إذ يستمعون إليك ظرف لأعلم وكذا وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم
من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجي إذ يقول الظالمون
إن تتبعون إلا رجلا مسحورا مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع
الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم
والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة أي إلا
رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الأمثال
مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع
ذلك فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير
في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا
حطاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه
مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال قل

حجرا او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اى مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شى منها فان قدرته تعالى لا
تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما
مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشى اقبل لما عهد فيه
مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وكنتم
ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل
ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون في زمان قريب وان
يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم
يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر
امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم
اى حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه
وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذى
مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادى يعنى المؤمنين
يقولوا التى هى احسن الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوا المشركين ان
الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى
الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم
تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم

غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم
تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال
منهم روى ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في
السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد
لاستبعادهم ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن
العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلم فان شرفه
بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من
ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا
في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده
قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبور
او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم
انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا
يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا
ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل
من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير
الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون

الهم آلهة إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل و
الملائكة وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
بالموت والاستئصال أو معذبوها عذابا شديدا بالقتل وأنواع البلية كان
ذلك في الكتاب مسطورا في اللوح المحفوظ وما منعنا أن نرسل بالآيات وما صرفنا
عن إرسال الآيات التي اقترحتها قريش إلا أن كذب بها الأولون إلا تكذيب
الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها
تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا
أن لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم
المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم
مبصرة بينة ذات إبصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح
فظلموا بها فكفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
أي المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل
أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة فإن
أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة والباء مزيدة أو في موقع الحال
والمفعول محذوف وإذ قلنا لك واذكر إذ أوحينا إليك إن ربك أحاط
بالناس فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم
العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ليلة المعراج وتعلق به من قال إنه
كان في المنام ومن قال إنه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية
حين رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها
حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله إذ يريكهم الله في منامك قليلا

[illegible] وقوله لكأني أنظر مصارع القوم هذا مصرع فلان
هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من
بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إلا فتنة للناس ما حدث
في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم
لما سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول
ينبت فيها الشجر ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السمندل من أن تأكله النار
وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر
أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به
على المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه أبعد مكان من الرحمة أو
بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد أولت بالشيطان
وأبي جهل والحكم بن أبي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي
والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم
إلا طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوز الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب
بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين
أو منه أي أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه إيماء بعلة الإنكار قال
أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب
وهذا المفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي
كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي
لئن أخرتن إلى يوم القيامة كلام
مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته إلا قليلا لاستأصلنهم

بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا
جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما ماخوذ من
الحنك استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير
او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته
وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب
للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه
وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او
حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه
والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم للاتصال
وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب
وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي
والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه
على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده
حتى استاصلهم وقرا حفص رجلك وشاركهم في الاموال بحملهم على
كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل
الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل
بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم
المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة
لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور
تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة

والتقييد

والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان
اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك
على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في
البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان
بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر
من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب
عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر
ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم
الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل
اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر
بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او
يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون
فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل
كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه
من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم
ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان
ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي

فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء وعلى إسناده إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب
إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً
مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة
والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق
والإشارة والخط والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في
الأرض والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية
والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو أن كل حيوان يتناول طعامه
بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وحملناهم في البر والبحر
على الدواب والسفن من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما
حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً
بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص
منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع
نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب بإضمار اذكر أو
ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الألف واواً
في لغة من يقول أفعو أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله وأسروا النجوى
الذين ظلموا أو ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها
ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل أناس بإمامهم بمن ائتموا
به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا أي تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل

بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف
وخفاف والحكمة في ذلك إجلال عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن
والحسين رضي الله عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنا فمن أوتي من المدعوين
كتابه بيمينه أي كتاب عمله فأولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجاً وتبجحاً
بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلاً ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء وجمع
اسم الإشارة والضمير لأن من أوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب
باليمين يدل على أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله ومن كان
في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى أيضاً مشعر بذلك فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب
والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة أعمى
لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلاً منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان
الآلة والمهلة وقيل لأن الاهتداء بعد لا ينفعه والأعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالأجهل والأبله
ولذلك لم يمله أبو عمرو ويعقوب فإن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت
ألفه في حكم المتوسطة كما في أعمالكم بخلاف النعت فإن ألفه واقعة في الطرف
لفظاً وحكماً فكانت معرضة للإمالة من حيث إنها تصير ياء في التثنية وقد
أمالهما حمزة والكسائي وأبو بكر وإن كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو
موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة
فإن قالت العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك

من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي
الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال
عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا
اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك
وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى
انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في
انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان
العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب
به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما اضيف موصوفها وقيل الضعف من اسماء
العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان
كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك وان خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته
بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك

في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة وان كادوا ليستفزونك
لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال
عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان
يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل
لانها من اجلهم ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة
لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب
للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام
للتأقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء
الاخيرة وقرآن الفجر وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا
وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب
فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده الملائكة
الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم
الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده
الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة
الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله
لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان المبدأ الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل

تهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك
زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق
في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله
عنه انه عليه الصلوة والسلم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره
بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال
بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله
مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا
حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل
ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام
على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب
وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا
غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام دخل مكة
يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد
منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم

خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به
فكسر وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في
تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان
كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة
وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا
خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه
مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المتكبرين
وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض
او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه
واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا
وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن
الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد
بحدوث مكونه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله
بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن
بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل
الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من
وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب

العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئا
من أحواله المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض
تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين
بذكر بعض صفاته روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون
بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن
يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أنما في الأرض من
شجرة أقلام وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الحق والخير
ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالإضافة إلى معلومات
الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه كثير ولئن
شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه
عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا
استرداده مسطورا محفوظا إلا رحمة من ربك فإنها إن نالتك فلعلها
تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بإبقائه بعد المنة في تنزيله إن فضله
كان عليك كبيرا كإرساله وإنزال الكتاب عليه وإبقائه في حفظه قل لئن
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن
النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان
وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان
جوابا للشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الإتيان به ولعله لم يذكر الملائكة
لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه ويجوز
أن تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه
مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل
من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الأنفس فأبى أكثر الناس
إلا كفورا إلا جحودا وإنما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيدا لأنه متأول
بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا تعنتا
واقتراحا بعدما ألزمتهم الحجة ببيان إعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات
إليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والأرض أرض مكة والينبوع
عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو يكون لك
بستان يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
يعنون قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى
وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن
إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة ونافع وأبو بكر في غيرهما وحفص في
ما عدا الطور وهو إما مخفف من المفتوح كسدر وسدر أو فعل بمعنى مفعول
كالطحن أو تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه أي شاهدا
على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال
الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله وإني وقيار بها لغريب
أو جماعة فيكون حالا من الملائكة أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب

ونقد ترى به واصعد اليه أو ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك

وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي

تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة

هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله

عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى

يتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا

عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس أن يؤمنوا إذ

جاءهم الهدى أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا أن

قالوا أبعث الله بشرا رسولا إلا قولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة

تمنعهم عن الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرا قل جوابا

لشبهتهم لو كان في الأرض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين

فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به

والتلقي منه وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه فإن ذلك

مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون

موصوفا به وكذلك بشرا والأول أوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم

على أني رسول الله إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواي أو على أني بلغت ما أرسلت به

إليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال أو التمييز إنه كان بعباده خبيرا

بصيرا يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول

صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل

فلن تجد لهم أولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف

يمشون

يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على

وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ

مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر

وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب

من الموقف إلى النار مؤفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت

سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بأن نبدل جلودهم

ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم

الله بأن لا يزالون على الإعادة والإفناء وإليه أشار بقوله ذلك جزاؤهم

بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون

خلقا جديدا لأن الإشارة إلى ما تقدمه من عذابهم أولم يروا أولم يعلموا أن الله

الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم فإنهم ليسوا أشد

خلقا منهن ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء وجعل لهم أجلا لا ريب فيه

هو الموت أو القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق إلا كفورا إلا جحودا

قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وأنتم مرفوع بفعل

يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير

المبالغة مع الإيجاز والدلالة على الاختصاص إذا لأمسكتم خشية

الإنفاق لبخلتم مخافة النفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو

آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه فهو إذن بخيل بالإضافة إلى جود الله

تعالى وكرمه هذا وإن البخلاء أغلب فيهم وكان الإنسان قتورا بخيلا

لأن بناء أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل

والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني
اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن
صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله
شيئا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا
الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا
من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل يديه ورجله
فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت
بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا حكم مستأنف زائد على الجواب
ولذلك غير فيه سياق الكلام **فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم** فقلنا له سلهم
من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا
او سأل على هذه القراءة او فاسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى
بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر
الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار
اذكر على الاستيناف **فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا** سحرت فتخبط
عقلك **قال لقد علمت** يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه **ما انزل**
هؤلاء يعني الآيات **الا رب السموات والارض بصائر** بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال **واني لاظنك يا فرعون مثبورا** مصروفا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان

ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من
تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام
الفارقة **فاراد** فرعون **ان يستفزهم** ان يستخف موسى وقومه وينفيهم
من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال **فاغرقناه**
ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق **وقلنا من**
بعده من بعد فرعون واغراقه **لبني اسرائيل اسكنوا الارض** التي اراد ان يستفزكم
منها **فاذا جاء وعد الآخرة** الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة
يعني قيام القيامة **جئنا بكم لفيفا** مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق انزلناه**
وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله
وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا
محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراض البطلان له اول الامر وآخره **وما ارسلناك الا**
مبشرا للمطيع بالثواب **ونذيرا** للعاصي من العقاب فلا عليك الا
التبشير والانذار **وقرآنا فرقناه** نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق
من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة
نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة **لتقرأه على الناس على مكث** على
مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث **قل آمنوا به او لا تؤمنوا** فان
ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله **ان**
الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من

هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة
الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك
وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم
واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون
على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة
محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون
سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان
وعده كائنا ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان
الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران
حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران
خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت
حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه
ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
فانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد
انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى
والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء
عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد

ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان
اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال
والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك
يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها بحيث لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان
الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول
اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع
قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت
بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له
ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان
يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما
يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد
لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص
مملوك نعمه او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد
ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلوة والسلام
اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في

الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية سورة
الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الآية وآيها
ماية وعشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق
الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال
العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا
من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق
وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا
تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال
او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال
من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف
اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك
قيل فيه تقديم وتاخير لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين
كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة
واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا
ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين
فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر
المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه

او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه
من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب و
الابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا
لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما
فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير
ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم
صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا
بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا
فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه
لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم او متاسفا والاسف فرط الحزن والغضب
وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية
انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها
لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به
وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض
التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة
ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل
احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من

{كانوا من آياتنا عجبا} وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع
الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة
واحدة ثم ردها إليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف
الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم
قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم
والقوم في الكهف همد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعلت
على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون
لأهلهم فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه
فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد
استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم
فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت
ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخا
ضعيفا لا أعرفه وقال إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه
جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى
رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت
مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا
ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت إلي نفسها
فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت أخاف الله فقلت لها خفتيه
في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن فعلته
لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان
همان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات

يوم غيث فلم أرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت
إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي
على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج
عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير {إذ أوى الفتية
إلى الكهف} يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك
فأبوا وهربوا إلى الكهف {فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة} توجب لنا
المغفرة والرزق والأمن من العدو {وهيئ لنا من أمرنا} من الأمر الذي نحن
عليه من مفارقة الكفار {رشدا} نصير بسببه راشدين مهتدين أو
اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة إحداث
هيئة الشيء {فضربنا على آذانهم} أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى
أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول كما حذف
في قولهم بنى على امرأته {في الكهف سنين} ظرفان لضربنا {عددا} أي ذوات
عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض
يوم عنده {ثم بعثناهم} أيقظناهم {لنعلم} ليتعلق علمنا تعلقا حاليا
مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا {أي الحزبين} المختلفين ٧
منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم {أحصى لما لبثوا أمدا} أضبط أمدا
لزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ
وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعوله ولما لبثوا حال منه
أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا
تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم
هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل دل عليه كقوله

واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق
بالصدق إنهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم
وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر
على هجر الوطن والأهل والمال والجرأة على إظهار الحق والرد على دقيانوس
الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والأرض
لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا والله لقد قلنا قولا
ذا شطط ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف
بيانه اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو إخبار في معنى إنكار لولا
يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر
فإن الدين لا يؤخذ إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وأن التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم
لبعض وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب أي وإذ اعتزلتم
القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام
كسائر المشركين ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم
وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى
عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا
إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من
رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي
تنتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله
وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا

كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد إذا طلعت تزاور عن كهفهم
تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيا أو
لأن الله زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرأ
الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار
وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم
ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة
منه أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم
روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف
في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق
رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة
عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية
لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه
ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم
أو إيواؤهم إلى كهف كذلك أو إخبارك قصتهم أو ازورار الشمس وقرضها
طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي
أصاب الفلاح والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال
هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار
بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده
وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام

ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال وقرئ ويقلبهم
بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوباً بفعل يدل عليه
وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه
فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع
مرّوا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب
كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم
فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فراراً هرباً
منهم وهو يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعباً خوفاً يملأ صدرك بما البسهم الله من
الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن
معوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله
تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً فبعث
ناساً فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد
للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعُباً بالتثقيل وكذلك بعثناهم
وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل
بعضهم بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً على كمال
قدرة الله ويستبصروا امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم بناء على غالب ظنهم
لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم

ب ويعقوب

اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين
عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في
يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا
فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر
وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف
وبالتخفيف مكسور الواو ومدغماً وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين
على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة
طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاماً احل واطيب او اكثر
وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى
لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احداً ولا يفعلن ما يؤدي الى
الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير
للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم
في ملتهم او يصيروكم اليها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولاً
على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذاً ابداً ان دخلتم في ملتهم وكذلك
اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم
ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي
هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم
وامسكها ثلاثمائة سنين حافظاً ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها

ايهما قدر ان يحشر اما انهما يردها عليها **إذ يتنازعون بينهم أمرهم**
امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول
يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين
اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال الآخرون ناموا نومهم
اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية
وقال الآخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى **فقالوا ابنوا**
عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من كلام الله ردا على الخائضين
في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في
انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق
فاخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان
آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل
فبنوا ثم مسجدا **سيقولون** اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين **ثلاثة رابعهم كلبهم** اي هم
ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول

السيد

السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا **ويقولون خمسة سادسهم**
كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا **رجما بالغيب**
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب
من قولهم رجم بالظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى
الله عليه وسلم لهم عن جبريل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه
قوله **قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل** واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف
في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم
مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين
الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم
كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومر نش
ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي
الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة
لاهل الكتاب والقليل منهم **فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا** فلا تجادل
في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في
القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم **ولا تستفت فيهم منهم احدا**
ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت لتزيد تفضيح المسؤل عنه

وتزييف ما عندهم فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش
سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم
ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش
والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل له فيما يستقبل
الا ان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله
ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها ينافي النهي واذكر ربك
مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قالها عليه الصلوة
والسلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه
وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق
ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك من
القول السابق بل هو مقول مستقل ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في الحث
عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك
او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي
لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي
من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة
عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم

ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على
آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة و
بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر
لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف
ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به
واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه
ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف
وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على
الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر
ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له
او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض
من دونه من ولي يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه
احدا منهم وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي
كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف
من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي

إليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا
أو بدله لا مبدل لكلماته لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن
تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل إليه إن هممت به واصبر نفسك
احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع
أوقاتهم أو في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم
في الأكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله
وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته
بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من أعداه وعداه
والمراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن
تعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى طراوة زي الأغنياء تريد زينة
الحياة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في
غيرها ولا تطع من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا
كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش
وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة
الجسد وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال
إلى الله تعالى قالوا إنه مثل أجبنته إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه أو من أغفل
إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم
الإيمان واحتجوا على أن المراد ليس ظاهر ما ذكروا بقوله واتبع هواه وجوابه
ما مر غير مرة وقرئ وأغفلنا بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا إيانا بالمؤاخذة وكان أمره فرطا أي تقدما على الحق

ونبذا

ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط
وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز
أن يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا أبالي بإيمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال
العبد بفعله فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إنا أعتدنا هيأنا
للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم
من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من نار وإن يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء
أو حال من المهل أو الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت
النار مرتفقا متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد
وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار إن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا
خبر إن الأولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من
أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقع
الظاهر فإن من أحسن عملا على الحقيقة لا يحسن إطلاقه إلا على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أو أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم
الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب من الأولى للابتداء والثانية
للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الإحاطة به وهو جمع
أسورة أو أسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لأن الخضرة أحسن

وما بينهما اعتراض وعلى الأول استئناف لبيان الأجر أو خبر ثان

الألوان وأكثر حاطلاوة من سندس وإستبرق مما رق من الديباج
وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين
متكئين فيها على الأرائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب
الجنة ونعيمها وحسنت الأرائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا رجلين
للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين أو موجودين هما أخوان
من بني إسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما
ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها
المؤمن في وجوه الخير وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما
أخوان من بني مخزوم كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ومؤمن وهو أبو سلمة
عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لأحدهما جنتين
بستانين من أعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة
الرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها
كرومهما يقال حفه القوم إذا أطافوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين
حوله فيزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما
ليكون كل منهما جامعا للأقوات والفواكه متواصل العمارة على
الشكل الحسن والترتيب الأنيق كلتا الجنتين آتت أكلها ثمرها وإفراد
الضمير لإفراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى أكله ولم تظلم منه ولم تنقص من
أكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام غالبا وفجرنا
خلالهما نهرا ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر أنواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله ب وكان له ثمر
إذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار إذا

رجع

رجع أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا وقيل أولادا ذكورا
لأنهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وإفراد الجنة لأن المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا
تنبيها على أنه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون أو لاتصال
كل واحدة من جنتيه بالأخرى أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة وهو
ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما أظن أن تبيد هذه
أي تفنى هذه الجنة أبدا لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما أظن
الساعة قائمة كائنة ولئن رددت إلى ربي بالبعث كما زعمت
لأجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما أي من
الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية وإنما أقسم
على ذلك لاعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه لاستئهاله له واستحقاقه
إياه لذاته وهو معه أينما تلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت
بالذي خلقك من تراب لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك ثم من نطفة
فإنها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك إنسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لأن منشأه الشك في كمال
قدرة الله تعالى ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر
على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا
فحذفت الهمزة بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان فكان الإدغام وقرأ
ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها في رواية
من الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن أنا على الأصل وهو
ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر أنا أو ضمير الله والله بدله

وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله
لكني مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي **ولا اشرك**
بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها **ما شاء الله**
الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على
انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها
وان شاء ابادها **لا قوة الا بالله** وقلت لا قوة الا بالله اعترافا
بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما
شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره **ان ترن انا اقل منك مالا وولدا**
يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل
بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل
لمن فسر النفر بالاولاد **فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك** في الدنيا او في
الاخرة لايماني وهو جواب الشرط **ويرسل عليها** على جنتك لكفرك
حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى
الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة
فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها و
اشجارها **او يصبح ماؤها غورا** غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق
فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده **واحيط بثمره**
واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط
به العدو فانه اذا احاطه غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه
اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم **فاصبح يقلب**

العدو اذا جاءهم

كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا **على ما انفق فيها** في عمارتها وهو
متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال
اي متحسرا على ما انفق فيها **وهي خاوية** ساقطة **على عروشها** بان
سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها **ويقول** عطف على يقلب
او حال من ضميره **يا ليتني لم اشرك بربي احدا** كانه تذكر موعظة
اخيه وعلم انه من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه
ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه **ولم تكن له فئة**
وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه **ينصرونه** يقدرون على نصره
بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله **من دون الله** فانه القادر
على ذلك وحده **وما كان منتصرا** ممتنعا على انتقام الله منه **هنالك** في ذلك
المقام وتلك الحال **الولاية لله الحق** النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره
تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله **هو خير ثوابا وخير**
عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك
اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا [illegible] منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا   يمنع
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على انه
قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك   من اضطرار وجزع
اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية
وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ   وقرا عاصم وحمزة
عقبى وكلها بمعنى العاقبة **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا** اذكر لهم
ما يشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة   في زهرتها وسرعة زوالها

كماء هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى
صيّر أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فالتف بسببه
وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات حتى روي
ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من
المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فأصبح
هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من أذرى
والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات
المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن
وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا قادرا المال و
البنون زينة الحياة الدنيا يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه
عما قريب والباقيات الصالحات وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها
أبد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام
رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب
خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير أملا لأن صاحبها
ينال به في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر
يوم نقلعها ونسيرها في الجو أو نذهب بها بأن نجعلها هباء منبثا ويجوز
عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ
تسير من سارت وترى الأرض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس
عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم إلى
الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر أو للدلالة على أن

حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا ما يشاهدوا فيها وعلى هذا تكون الواو
للحال بإضمار قد فلم نغادر منهم أحدا فلم نترك يقال غادره وأغدره
إذا تركه ومنه الغدير لأنه ماء تركه السيل وقرئ بالياء
وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا
على إضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا في يوم نسير كما خلقناكم
أول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى
أو أحياء كخلقتكم الأولى لقوله بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا وقتا
لإنجاز الوعد بالبعث والنشور وأن الأنبياء كذبوكم به وبل للخروج من
قصة إلى أخرى ووضع الكتاب صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل
أو في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين
مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون
هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا من
شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها إلا عدها
وأحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك أحدا
فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله وإذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للأمور
المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح
صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا
والمعرض عنها وكان سببه الاغترار بها اتباع الشهوات وتسويل الشيطان
زهدهم أولا في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والأعمال الصالحة

خير وابقى من آتيتها واعلاها ثم نبههم على الشيطان تذكيرا لما بينهم
من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن
حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان
من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء
للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه
كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة أفتتخذونه
اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته
اولاده واتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم
اي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله
ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم
خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت
متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء
له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه
يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا
للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما
خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد
بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا
بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله

للكافرين وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او
شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد
ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها
هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر
من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا انهم
مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا
ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل
من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء جدلا خصومة
بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان
اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم
ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا
طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة
قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا
وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا
بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة

اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره
ويبطلوه يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب
هزوا استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم
يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم
ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب
للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد
على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه
موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه
وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره
اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير
مضاف في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب
والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا
بتأخر العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم

وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ
قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم
الصلوة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده
لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله
حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان
يكون اصله لا يبرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى
لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع
البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل
البحران موسى والخضر عليهما الصلوة والسلام فان موسى كان بحر
علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع البحرين بكسر الميم على الشذوذ
من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى
حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن
معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان
موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة
بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل
عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على
مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه
اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى
قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في

لا ابرح بمعنى

عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان **فلما بلغا مجمع**
بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل
نسيا حوتهما نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى
من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوى
ووثب فى البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحياة فانتضح الماء
عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر
بالمطلوب **فاتخذ سبيله فى البحر سربا** فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا
من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق
عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز
تعلقه باتخذ **فلما جاوزا** مجمع البحرين **قال لفتاه آتنا غداءنا** ما نتغدى
به **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه
وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر
غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة **قال ارايت اذ اوينا** ارايت
ما دهانى اذ اوينا **الى الصخرة** يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل
هى الصخرة التى دون نهر الزيت **فانى نسيت الحوت** فقدته او نسيت
ذكره بما رايت منه **وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره** اى وما انسانى
ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار
عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها
لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسى

ذلك

ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه
من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه
او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من
نقصان **واتخذ سبيله فى البحر عجبا** سبيلا عجبا والمفعول الثانى
هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه او موسى فى جوابه
عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت
فى البحر عجبا **قال ذلك** اى امر الحوت **ما كنا نبغ** نطلب لانه
امارة المطلوب **فارتدا على آثارهما** فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه **قصصا**
يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل
اليسع وقيل الياس **آتيناه رحمة من عندنا** هى الوحى والنبوة **وعلمناه**
من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب
قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع
الحال من الكاف **مما علمت رشدا** علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ
البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول
علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز
ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب
شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان
يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد
راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا
له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه **قال انك لن**

وهو كونه كالسرب واتخاذا عجبا

تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد
كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها
مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم يحط به بمعنى
لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا
اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني
وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن واما لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد
والصبر على خلاف المعتاد شديد وفيه دليل على ان افعال العباد
واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى
ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا
على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ
الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها
فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد
للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا
امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء
نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان
اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك
اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد
شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة

والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهقني
فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا
اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل
عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على
انه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا
زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو و
رويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم
تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت
صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت
نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين
منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا وفي
الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض
عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد
جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر
ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات
والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا
تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا
من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع

من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر
الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد
من عضد فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة
وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما وقرئ
يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل
التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير
لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض
انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل
من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده
فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا
على اخذ الجعل لتنتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى
الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل
من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون
قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين
اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سأنبئك بتأويل
ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا

٤٢

من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج
وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندا بن كركر وقيل منوار بن
جلندي الازدي يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله
فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن
خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب
ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد
والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه
مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما
بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد
مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه
وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل
الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ
فخاف ربك اي فعلم او فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله فخشينا
حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما
بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب
رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب

رحما بالتثقيل والانتصاب على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة **وأما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة** قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول
حيسون **وكان تحته كنز لهما** من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم
على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما
وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله **وكان ابوهما صالحا** تنبيه على ان سعيه
في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان
سياحا واسمه كاشح **فاراد ربك ان يبلغا اشدهما** اي الحلم وكمال الرأي
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او
مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت
رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا
الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده
لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط **وما
فعلته عن امري** عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى
ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد
غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة **ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا**
اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء
بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم

ويتذلل

ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه
حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه **ويسألونك عن ذي القرنين** يعني اسكندر
الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه
طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب
بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته
مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو
مكة **قل سأتلوا عليكم منه ذكرا** خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله
انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف
المفعول **وآتيناه من كل شيء** اراده وتوجه اليه **سببا** وصلة
توصله اليه من العلم والقدرة والآلة **فاتبع سببا** اي فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأ من حمئت
البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي
حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها
مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن
في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان
ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية **ووجد
عندها** عند تلك العين **قوما** قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم
ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما

كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل على كفرهم واما
ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل
ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه
بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى فى
الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من
آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى
فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال
اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها
جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين
ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم
دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول
لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى
وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا
سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع
الذى يطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار
مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم
نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية
او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما
وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب

من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة
قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم
وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما
تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به
الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق
والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان فى اواخر
الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما
لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس وقيل بالعكس
وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي
لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه
قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من
دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج
من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وقيل عربيان من أج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرأ عاصم
ومنع الصرف للتعريف والتأنيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل
والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون لهم خضرا الا اكلوه
ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا
جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول

والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين
غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال
والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني
على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات
اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة
القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء
بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة
الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا
ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر
والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد
وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل
من الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار
والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني من العاملين المتوجهين نحو
معمول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة
الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة
بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه

عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني م

واحد اولى اذ لو كان قطرا معمول اتوني لاضمر مفعوله م

ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه و
صلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين
ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مربوطا بعضها
ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد
او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة
جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه
جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين و
تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج
حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او
يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب
والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم
الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها
فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري
وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء
كأنهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي
اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم

افظنوا الاستفهام للانكار للتقادم ... الملائكة ع
والمسيح معبودين نافعهم

سد مسد المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد
مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة وأن بما في حيزه
مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل
أو خبر له إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه
على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا
نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فإنهم
خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على البدل أو النصب على الذم وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق أولئك
الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة
ولقائه بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه فحبطت أعمالهم بكفرهم فلا
يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل
لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا توزن به أعمالهم لانحباطها
ذلك الأمر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز أن يكون
ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم خبره وجهنم عطف
بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا أي بسبب
ذلك إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله
البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا
تحولا إذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ويجوز أن
يراد به تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد

به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات
علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر بأسره لأن كل جسم متناه قبل أن تنفد
كلمات ربي فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر
الموجود مددا زيادة ومعونة لأن مجموع المتناهيين متناه بل
مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيا للدلائل
القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفد قبل غير المتناهي لا محالة وقرئ
ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا
وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وتقرءون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قل إنما أنا بشر
مثلكم لا أدعي الإحاطة على كلماته يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وإنما
تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن لقائه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا بأن يرائيه
ويرضيه الله
أو يطلب منه أجرا روي أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلاة
والسلام إن الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه
الصلاة والسلام اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء
والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في
الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا
في مضجعه يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
وإن كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام

٤٤

من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها
كانت له نوراً من الارض الى السماء   قد تم النصف الاول من تفسير
الامام العلامة قاضي قضاة زمانه ناصر الحق والدين ابي عبد الله البيضاوي
رحمه الله تعالى ولله الحمد والمنة وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين
٧٣٦

از عالم متغیر و متبدل بل نفس التغیر والتبدیل این نسخه شریفه صحیحه مصنف شرعی [illegible]
بل اللاشی فی الحقیقه [illegible] در ایام استعلام او کرم اکرم [illegible]
که مشغول از مطالعه آن شده و فیض اعتقاد و عمل بمضامین صحیحه لاریب فیها ان شاء
آمرزیدن [illegible] خط و اعتماد ذی علم [illegible]